الجمهوريـــة الجزائريـــة الديمقراطيـــة الشعبيـــة
وزارة التعليـم العـــالي والبحث العلمـــي
جامعة 08 ماي 1945 قالمة

كليـة اللغـات والآداب
قسم اللغـة والأدب العربـي

مطبوعة بيداغوجية موجهة
لطلبة السنة الأولى جذع مشترك

الموضـــــوع :

النقـــــد الأدبي القديـــــم

الأستـــاذة: فوزية عساسلة

السنة الجامعية : 2019-2020

مقدمـــــة:

إن النقد والعقل البشري لا يمكن تخيل أحدهما دون الآخر . لقدرة الثاني على التمييز بين ماهو حسن وماهو غير ذلك . فالنقد موجود بالفطرة لديه ، ما بالك والأمر متعلق بعلم قائم بذاته . في هذه المطبوعة البيداغوجية الموجهة لطلبة السنة أولى جذع مشترك ، سنقدم ما تضمنه برنامج مقياس النقد القديم من جانب نظري ، وآخر تطبيقي ؛ أي ما تعلق بالمفاهيم والأقسام والتناقض وأيضا التوافق بين النقاد حول القضايا النقدية المختلفة ، مرفقين ذلك بآرائهم من المشرق والمغرب وبلاد الأندلس . ليشهد الطالب جهود كل هؤلاء ، انطلاقا من العصر الجاهلي ، فالعصر الإسلامي بما يتضمنه من عصر أموي وعباسي.

إن ما يضمه هذا البحث من قضايا يجعل الطالب شغوفا باللبنات الأولى التي بُني عليها النقد العربي ، كما أنه سيشغف أكثر حين يتعرف إلى النقاد أنفسهم ، وما دار بينهم من مناقشات مختلفين أحيانا ومتفقين في كثير من الأحيان ، لسعي كل منهم إلى خدمة الأدب أولا ، والذوق العربي ثانيا ، والتاريخ العربي قبل كل ذلك الذي يبنى أساسا على الأدب.

إن تنوع القضايا النقدية في حد ذاته جعل علماء العربية بمختلف انتماءاتهم الفكرية من (نحويين وبلاغيين وفلاسفة) يتبارون جاهدين للحصول على الأفضل للأدب العربي فيشجعون عليه ، وينقّحون ما شابه التزييف ، ويمقتون ما جاء على ألسنة تُنزل الذوق العربي إلى أسفل المستويات . وكان لهم باع كبير في نقل ما يخدم هذا الأدب من النقد الأجنبي خاصة اليوناني منه ، ليجعلوه جديرا بمكانة هذا الأدب خادما له ، رافعا إياه درجات تليق بالذوق العربي واللغة العربية .

ومن بين القضايا التي ضمها هذا البحث (الانطباع ، والانتحال ، والفحولة ، واللفظ والمعنى ، والصدق ، والموازنات ، والنظم ، والغموض ، والسرقات ، والإعجاز، والمنظوم والمنثور ، والشروح ، والموشحات ، والتأثر بالنقد الأجنبي ، والنقاد الفلاسفة ...إلخ) .

ستكون هذه المطبوعة –إنشاء الله– سبيلا منيرا لطلبتنا الأعزاء .

تمهيـــد :

يختص النقد الأدبي القديم بفترة معلومة من الفكر تمتد بين عهدين : العصر الجاهلي ، ونهاية عصر بني العباس . وقد صال العلماء وجالوا على مختلف تخصصاتهم الأدبية واللغوية والفلسفية في إثراء هذا الموضوع ، جامعين بين ما ألّفه العرب من شعر ، وما أنتجته أذهانهم من نظرات إعجاب به ونفور منه ، وما أملته عليهم الثقافة اليونانية من منطق واستدلال ، فكان النقد الأدبي العربي متنوعا بتنوع عصوره ومشاربه ، وهذه أهم القضايا التي احتواها:

1-النقد العربي
مفهومه وتطوره وجغرافيته في المشرق والمغرب

1-مفهوم النقد الأدبي :

قبل التطرق إلى مفهوم النقد اصطلاحا علينا أن نمر بمفهومه في اللغة ؛ إذ جاء في لسان العرب "النقد ... تمييز الدراهم وإخراج الزَّيْف منها[1]" . ما يعني أنه عملية فحص للمادة المراد التأكد من محتواها ، والعمل على فصل الجيد عن الرديء فيها .

هذا عن عملية النقد بصفة عامة ، أما ما تعلق بالنقد الأدبي فهو أهم نشاط فكري عرفه الإنسان منذ النشأة الأولى للأدب ، وقد عُرّف بأنه "فن دراسة الآثار ، وإظهار قيمتها ، والتمييز بين الأساليب المختلفة[2]" ، وأنه "نشاط إنساني ... مقتصر على الإبداع الأدبي ... [ف] هو أدب وصفي ... [و]عملية متشعبة تتناول درس الأثر الفني أو الأدبي وتحليله وإظهار فضائله وعيوبه

---

[1]-عبد الله محمد بن المكرّم بن أبي الحسن بن أحمد الأنصاري ، لسان العرب ، تحقيق : عبد الله علي الكبير ، محمد أحمد حسب الله ، هاشم محمد الشاذلي ، سيد رمضان أحمد ، ، ج50 ، بان النون ، (دط) ، ص 4517 .

[2]-حنا الفاخوري ، تاريخ الأدب العربي ، ط12 ، المكتبة البوليسية ، 1987 ، ص 748 .

ومواطن القوة فيه ومواطن الضعف ، اعتمادا على أهم الأصول الفنية ، والأدوات النقدية ... وعلى الذوق الذي ثقفته الخبرة"[1].

ما يعني أن النقد الأدبي متعلق فقط بمادة الأدب ، شعرا كان أم نثرا ، يشترط في ذلك الاعتماد على وسائل في غاية الأهمية مثل : (الوصف ، والتمييز ، والتحليل ، والأصول الفنية ك (المقدمة الطللية ، والفخر ، وحسن التخلص...إلخ) ، والأدوات النقدية ك (النحو ، والصرف ، والبلاغة ، وعلم الأصوات...إلخ) ، والذوق ، والخبرة) . ودون كل هذا لا يستطيع المهتم بالنقد أن يميز الأصيل من الزائف ، والجيد من الرديء . ما يجعلنا نصف النقد بأنه غربال أدبي . وقد فسّر أحمد الشايب ذلك بقوله : النقد "دراسة الشعر أو النثر ، وتفسيرهما ، وبيان عناصرهما ، وفنونهما ، وما يعرض لهما من أسباب الحسن أو القبح ، والتنبيه على الجيد المقبول ، والرديء المنبوذ إلى نحو ذلك مما هو إيضاح وعرض ، ثم تفسير وموازنة ، ثم أحكام ونصائح ، أو قوانين نافعة في فن الأدب منظوما ومنثورا[2]" .

2-تطـــوره : عرف النقد العربي القديم تطورا هاما عبر مراحله المختلفة ، وتميزت كل مرحلة بظروف اجتماعية وسياسية وثقافية صبغته بصبغتها ، فكان كمايلي :

أ-النقد الأدبي في عصر ما قبل الإسلام (الجاهلي):

كان النقد الأدبي في هذا العصر مواتيا "لطبيعة الإنسان ... فكان فطريا ، لا يعتمد أصولا واضحة ولا طرائق معقدة ، بل ينقاد لإحساس مجمل بقيمة الشعر أو بمكانة الشعراء ... [وكان النقاد] يأخذون الشعر منقطعا عن المؤثرات المختلفة ، بل منقطعا عن شخصية الشاعر ومذهبه الأدبي ، ومنقطعا عن سائر شعره ، والقيمة الشعرية ترتكز في عُرفهم على الصياغة الخارجية والمعاني الجزئية ، فيكون النظم محكما أو غير [ذلك] ، والألفاظ مصقولة منسجمة أو معقدة نافرة ، والقافية

---

[1]-فائق مصطفى ، وعبد الرضا علي ، في النقد الأدبي الحديث منطلقات وتطبيقات ، (ط1) ، دار الكتب للطباعة والنشر ، جامعة الموصل ، 1989 ، ص 95 .

[2]-أحمد الشايب ، أصول النقد الأدبي ، ط 10 ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، 1994 ، ص116 .

جارية على المعهود من السنن الشعري أو بخلاف ذلك ، ويكون المعنى مرذولا إذ دخله غلو كثير أو أسند إلى غير ما يسند إليه ، ومقبولا إذا جارى الطبيعة وبلغ إلى القوة والبراعة[1]" .

وكان أبرز ما يذكر في كتب النقد أن سوق عكاظ من أهم البيئات النقدية آنذاك ، فقد كان الشعراء يلتقون فيها كل عام ليتباروا أيهم أشعر . وكان النابغة الذبياني أشهر شخصية نقدية فيها ، ومن أبرز المشاهد التي تذكرها كتب النقد عن سوق عكاظ أن "أنشد الأعشى مرة ، ثم أنشده حسان بن ثابت ، ثم شعراء من بعده ثم الخنساء حيث أنشدت قصيدتها التي ترثي فيها أخاها صخرا تقول :

وإنّ صَخْراً لَتَأتمُّ الهداةُ بهِ كَأنَّهُ عَلَمٌ فِي رأْسِهِ نَارُ[2]

فأعجب بقصيدتها ، وقال لها : لو أن أبا بصير أنشدني لقلت : إنكِ أشعر الجن والإنس[3]".

لكن الملاحظ حول هذا الرأي أن لم يكن بأدلّة سوى قوله : أنت أشعر ؛ أي أفضل ، لنتسائل فيما كانت أفضل شعرا ؟ هل كان التميز في اختيار الألفاظ ، أم في السبك ، أم في الصور ، أم في الغرض (الفخر) ، أم في الوزن ؟ كل هذا لم يُذكر سوى تعليقٌ بالجودة . وهذا مسار النقد الأدبي في ذلك العصر . ربما لأن العرب وقتها كانوا يعلمون مكامن الجمال والجودة دون حاجة إلى ذكرها أو التفصيل فيها . ولأنهم يَنْشُدونها كلهم دون استثناء حتى الصغار منهم ، ومثاله نقد طرفة للشاعر المسيب بن علس بقوله : "استنوق الجمل. "

ومن نماذج النقد في هذا العصر أيضا أن "اجتمع رهط من شعراء تميم في مجلس شراب وهم : الزبرقان بن بدر ، والمخبل السعدي ،وعبدة بن الطبيب ، وعمرو بن الأهتم ... وتذاكروا أشعارهم ، وقال بعضهم : لو أن قوما طاروا من جودة الشعر لطِرنا ، فتحاكموا إلى أول من يطْلع عليهم ؛ فطلع عليهم ربيعة بن حذار الأسدي ... وقالوا : أخبرنا أيُّنا أشعر ، فقال : أما عمرو فشعره برودٌ يمنية تُطوى وتنشر ، وأما أنت يا زبرقان ، فكأنك رجل أتى جزورا قد نُحرت ، فأخذ من أطايبيها ، وخلَطه بغير ذلك ، أو قال له : شعرك كلحم لم ينضج فيُؤكل ، ولا تُرك نيْئًا فينتفع به ، وأما أنت يا

---

[1]–حنا الفاخوري ، تاريخ الأدب العربي ، م س ، ص 749.

[2]–ديوان الخنساء ، اعتنى به وشرحه : حمدو طماس ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ط2 ، 2004 ، ص 46.

[3]–طه أحمد إبراهيم ، تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 1985 ، ص 18-19 .

مخبل فشعرك شُهُب من الله يُلقيها على من يشاء من عباده ، وأما أنت يا عبدة فشعرك كمزادة أُحكم خرزها فليس يقطُر منها شيء[1]".

يعني أن الأول شعره سهل جيد ، والثاني متوسط ليس بالحسن ولا الرديء أي أنه بمرحلة النضج ، والثالث هجاء كله ، والرابع ممتاز . ما يوحي أن النقد في هذه المرحلة كان انطباعيا نابعا من إحساس الناقد بالشعر ، وفطرته التي تملي عليه ردة فعله ؛ حيث كان "يتناول اللفظ والمعنى الجزئي المفرد ، ويعتمد على الانفعال والتأثر دون أن تكون هناك قواعد مدَوَّنة يَرجع إليها النقاد في شرحٍ أو تعليلٍ ، وينتهي إلى بيان قيمة الشعر ومكانة الشاعر بين أصحابه[2]" .

فمن خلال النماذج القليلة السابقة يمكن استنتاج أن النقد الأدبي في هذه المرحلة كان **يميـــزه** : (الإيجاز ، وعدم التعليل ، والذاتية ، والجزئية ، وتحكّم العرف ، والفطرة ، والعصبية القبلية)[3] . هذا عن سماته . أما إذا تكلمنا عن **أنواعـــه** فقد قسمها المهتمون به فيما بعد إلى ستة أنواع ، وهي كالآتي :

-"النقد اللغـــوي : ومثاله قول المسيب بن علس :

أَلا انْعِمْ صَبَاحًا أَيُّهَا الرَّبْعُ واسْلِمِ نُحَيِّيكَ عَنْ شَحْطٍ وَإِنْ لَمْ تَكَلَّمِ

فلما بلغ قوله:

وَقَدْ أَتَنَاسَى الهَمَّ عِنْدَ احتضاره بِتَاجٍ عَلَيْهِ الصَّيْغَرِيَّةِ مُكْدَمِ

والصيغرية سمة للنوق لا للفحول، فجعلها للفحْل ، وسمعه طَرَفَة وهو صبي يُنشد هذا فقال : استنوق الجمل ، فضحك الناس وسارت مثلا[4]". فهذا دليل على "أن طرفة أدرك بفطرته أن كلمة (صيعرية) وُضعت للدلالة على تلك السمة في عنق الناقة ، فلما ابتعد بها الشاعر عن أصل وضعها من غير

---

[1]-طه أحمد إبراهيم ، م ن ، ص 20 .

[2]-أحمد الشايب ، أصول النقد الأدبي ، م س ، ص 123 .

[3]-دروس في النقد الأدبي ، (دون مؤلف) ، ص 6-7 (الأنترنيت) pdf .

[4]-ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ، تحقيق : أحمد محمد شاكر ، (دط) ، دار المعارف ، القاهرة ، ج1، (دت) ،ص. 183

سبب معقول ... فطن إلى ذلك بفطرته ، ونبّه الشاعر إلى خطئه بهذه العبارة[1]". وهو نقد متعلق باللفظ ومعناه واستعماله في غير محله .

-النقد المعنـــوي : مثاله قول حسان بحضرة النابغة الذبياني :

"لَنَا الجَفَنَاتُ الغُرُّ يَلْمَعْنَ بالضُّحَى وَأَسْيَافُنَا يَقْطُرْنَ مِنْ نَجْدَةٍ دَمَا

وَلَدْنَا بَنِي العَنْقَاءِ وابْـــنَيْ محـــرِّقٍ فأَكْـــرِمْ بِنَا خَالًا وَأَكْرِمْ بِنَا أبْنَمَا[2]

قال له النابغة : أنت شاعرٌ ، ولكنك أقْلَلْتَ جِفانك وأسْيافَك ، وفخرت بمن وَلَدْتَ ، ولم تفخر بمن وَلَدَكَ ... [فـ]نقد البيت الأول يدل على وجوب التعبير عن المعنى باللفظ الذي يؤديه أداء كاملا ، بحيث ينهض اللفظ بحق المعنى ، وهذه ملاحظة بارعة لأن العرب تستحسن المبالغة في مواطن معينة ، والفخر من هذه المواطن التي تجمل فيها وتستحب . [و]نقد النابغة للبيت الثاني يدل على وعي بتقاليد العرب وعاداتهم التي تعتد بالآباء والأجداد وتقيم وزنا لحسب القبيلة ونسبها[3]" . وهو نقد متعلق بالمعاني التي تترك في النفس آثارا بالغة سواء بالإعجاب أو بالسخط.

-النقد العروضـــي : مثاله الإقواء عند القافية يقول النابغة :

"سَقَطَ النَّصِيفُ وَلَمْ تُرِدْ إِسْقَاطَهُ فَتَنَاوَلَتْـــهُ وَاتَّقَتْنَـــا بِالْيَدِ

بِمخضبٍ رخْصٍ كَأَنَّ بَنَانَهُ عَنَمٌ يَكَادُ مِن اللَّطَافَةِ يُعقدُ

يذكر محمد بن سلام الجمحي أن النابغة لما "قدِم المدينة ... عيب ذلك عليه ، فلم يأْبه له حتى أسمعوه إياه في غناء ، وأهل العزى ألطف نظرا من أهل البدو، فقالوا لجارية : [أنشدي أبيات النابغة فـ] إذا صِرْت إلى القافية فرتّلي ، فلما قالت "الغرابُ الأسودُ ، وباليدِ" ، علِم [النابغة عيبَه] ،فانتبه ، فلم يعد [إليه] . فقال : قدِمت إلى الحجاز وفي شعري صنعة ، ورحلت عنها وأنا أشعر الناس[4]" .

---

[1]-مصطفى عبد الرحمن إبراهيم ، في النقد الأدبي القديم عند العرب ، (دط) ، مكة للطباعة ، 1998 ، ص 31 ، الأبيات : أبو عبد الله محمد بن عمران بن موسى المرزباني ، الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء ، تحقيق وتقديم : محمد حسين شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1995 ، ص 94.

[2]-ديوان حسان بن ثابت ، شرحه وكتب هوامشه وقدم له عبد أ.مهنَّا ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ط2 ، 1994 ، ص 219 .

[3]- مصطفى عبد الرحمن إبراهيم ، في النقد الأدبي القديم عند العرب ، م س ، ص 35 .

[4]-أبو عبد الله محمد بن عمران بن موسى المرزباني ، الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء ، م س ، ص 51.

فالأبيات بها اختلاف في علامة إعراب حرف الروي ، فهي بين رفع وجر ، وهذا لا يقبله العرف الموسيقي لدى العرب . ولم ينتبه النابغة إلى ذلك إلا عند سماعه لجارية تغني أبياته . وإن كان هذا يُعد عيبا من عيوب الشعر في ذلك العصر ، إلا أنه يعد فنا من فنونه في عصور بعده ، إذ هي نوع من التلوين في أصوات القافية إبعادا للملل ، ودليل على اقتدار صاحبها في الخروج عما أُلف . وهي أيضا نوع من الإبداع الموسيقي على مستوى الأصوات (دِ، دُ ، دِ ، دُ).

-"تقديـــــم الشعراء : كتقديم الأعشى على الخنساء من قِبل النابغة الذبياني .

-"نقد الرويـــة والأناة : كقول كعب بن زهير:

"ومن للقَوَافِي شَأْنُها مَنْ يَحُوكُها إذا مَا مضى كعبٌ وفوزُ جرولُ

يَثْقَفها حتى تليــنُ كُعُــوبُها فيَقْصِرَ عَنْها مَنْ يسيءُ ويَعْملُ

كَفَيْتُكَ لا تلقى من الناس واحدًا تنخَّلَ منها مثل ما يتَنَخَّلُ[1]

[وقول] عدي بن الرِّقاع:

وقصيدة قد بِتُّ أجمع بينها حتى أُقوِّم ميلها وسِنادِها

نظَرَ المثقِّفِ في كعوبِ قناتِه حتى يُقيم ثِقافهُ مُنآدها[2]

[وقول] الأصمعي : زهير والحطيئة وأشباههما عبيد الشعر ، لأنهم نقّحوه ، ولم يذهبوا مذهب المطبوعين .[وعمر (ض) يشهد لذلك قائلا] لبعض ولد هرم [بن سنان المري] : انشِدْني بعض ما قال فيكم زهير ، فأنشده ، فقال : لقد كان يقول فيكم فيُحسن ، فقال : يا أمير المؤمنين :إنا كنا نعطيه فنجزا ، فقال عمر (ض) ذهب ما أعطيتموه وبقي ما أعطاكم[3]" .

-نقدالاختيـــار : كاختيارهم لأشهر القصائد كمعلقة زهير بن أبي سلمى ، وعمر بن كلتوم ، وطرفة بن العبد ، وعنترة بن شداد ، وامرئ القيس ...إلخ.

ب-النقد الأدبي في صدر الإسلام :

---

[1]-ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ، م س ،ج1 ، ص156 .

[2]-م ن، ، ص 88.

[3]-م ن ، ص 144 .

تمثل النقد في صدر الإسلام : في ملاحظات النبي عليه أفضل الصلاة والتسليم ، ومناقضات بين شعراء مكة والمدينة ، وبين المسلمين ومن عاداهم من قريش وأمثالهم ، فكان الشعر قائما على معايير جديدة ، والخصومة دائرة على غير عادتها في عصر سبق . ومن نماذج النقد في هذا العصر ملاحظات النبي محمد (ص) وصحابته الأجلاء :

- -ملاحظات الرسول محمد (ص) :

كان رسولنا الكريم يُعجَب بالشعر العربي إعجابا ناتجا عن ذوق سليم ، فهو قد "شرّع للنقد والفن معا قاعدته الأخلاقية ، ويوجه النقاد والشعراء إلى لون جميل يتسم به فن العربية ، ألا وهو النزوع الروحي ، وارتياد أعماق النفس البشرية لتوجيهها نحو الجمال الروحي ، [فهو قد حث على الشعر الملتزم جانب الفضائل ، واستراح لكل فن قولي يدعو إلى الأخلاق والقيم النبيلة . ومن أمثلة ذلك أن قال "للعلاء بن الحضرمي : هل تروي من الشعر شيئا ؟ فأنشده :

حَيِّ ذوِي الأَضْغَان تَسبْ قُلُوبَهم تحِيتُـــكَ الحُسْنى وقد يــرقَعُ النَّغَلْ
فإن دحسوا بالكره فاعف تكرُّمًا وإن حبسوا عنك الحديث فلا تسلْ
فإنَّ الذي يؤذيك منه سمـــــاعُه وإن الذي قالـــــوا وراءَكَ لم يُقَلْ

فقال النبي عليه السلام : إن من الشعر لحِكما"[1] .

وقد "أُعجب بشعر النابغة الجعدي وقال له : لا يغضض الله فاك ، وبلَغ استحسانه [لقصيدة كعب بن زهير] بانت سعاد أن صفح عنه وأعطاه بردته ، واستمع إلى الخنساء واستزادها مما تقول ... وهو الذي قال : إن من البيان لسحرا[2]" .

ومثال إعجابه بما ينشده النابغة الجعدي قوله:

أتيتُ رسولَ الله إذ جاء بالهدى ويتلـــو كتاباً كالمجرةِ نيّرا
بلغنا السماءَ مجدنا وجدودُنا وإنَّا لنرجو فوق ذلك مَظهرا

---

[1]- عبد الكريم النهشلي القيرواني ، الممتع في صنعة الشعر ، تحقيق : محمد زغلول سلام ، منشأة المعارف ،الاسكندرية ، جلال حزى وشركاه ، (دط) ، (دت) ، ص 23-24 .

[2]-طه أحمد إبراهيم ، تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، م س ، ص 33.

فيسأله الرسول –وقد أحس أنه يفخر فخر الجاهليين– : إلى أين يا أبا ليلى ؟ فيقول إلى الجنة يا رسول الله . فيُعجب النبي مقاله ، ويقول له إن شاء الله ، وأنشده:

ولا خيرَ في حلمٍ إذا لم تكن له بوادرُ تحمي صفوَهُ أن يُكدَّرا
ولا خيرَ في جهلٍ إذا لم يكن له حليمٌ إذا ما أوردَ الأمرَ أصدرا

فقال الرسول داعيا له : لا يفضُضِ الله فاك[1]" .

ومثال إعجابه بقصيدة كعب بن زهير ما جاء فيها :

إنّ الرَّسُولَ لَسَيْفٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ مُهَنَّدٌ مِنْ سُيُوفِ اللهِ مَسْلُولُ[2]

وقد ذكر ابن سلام الجمحي هذه الرواية فقال : "أخبرني محمد بن سليمان بن يحي بن سعيد الأنصاري عن سعيد بن المسيب قال : قدِم كعب متنكرا حين بلغه عن النبي صلى الله عليه وسلم ما بلغه ، فأتى أبا بكر ، فلما صلى الصبح أتى به وهو متلثم بعمامته ، فقال : يا رسول الله رجل يبايعك على الإسلام ، وبسط يده ، وحسر عن وجهه ، وقال : بأبي أنت وأمي يا رسول الله مكان العائذ بك أنا كعب بن زهير ، فتجهمته الأنصار ، وغلظت عليه لِما ذكر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولانت له قريش ، وأحبوا إسلامه ، وإيمانه ، فأمّنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأنشد مُدْحَتَه التي يقول فيها:

بانتْ سعادُ فَقَلبي اليومَ متبولٌ متيمٌ إثرَها لم يُشْفَ مكبُولُ

حتى انتهى إلى قوله:

وقال كلُّ خليـــلٍ كنتُ آمُلُه لا أُلفينَّك إنِّي عنـــكَ مشغولُ
فقلتُ : خَلُّوا سبيلي لا أبا لَكُم فكُـــلُّ ما وَعَد الرحمنُ مفعولُ
كلُّ ابن أُنثى –وإن طالتْ سلامته– يومًا على آلةٍ حدباءَ منقولُ
نُبِّئتُ أن رسـولَ الله أوْعدَنـي والعَفْو عنـــدَ رسول الله مَأمولُ

إلى قوله:

في فِتيةٍ منْ قريشٍ قـالَ قائلُهُم ببطنِ مكـةَ لمَّا أسْلَمُوا زُولُوا

---

[1]–محمد كريم الكواز ، البلاغة والنقد ، المصطلح والنشأة والتجديد ، الانتشار العربي ، ط1 . 2006 ، ص 148.

[2]–كعب بن زهير ، الديوان ، حققه وشرحه وقدم له : علي فاغور ، ط 1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان 1987 ، ص 67.

زالُوا فما زالَ أنكاسٌ ولا كُشُفٌ يــومَ اللِّقاءِ ولا سودٌ مَعَازيلُ

لا يقعُ الطَّعنُ إلا في نُحُورِهِم وما بِهِمْ عن حِياضِ الموتِ تَهْليلُ

فنظر النبي صلى الله عليه وسلم إلى من عنده من قريش أي اسمعوا : حتى قال :

يْمشُونَ مَشْيَ الجِمالِ الزُّهْرِ يَعصِمُهُم ضَــرْبٌ إذا عرّدَ السُّودُ التنابيلُ

يعرِّض بالأنصار لغِلْظَتِهِم كانت عليه ، فأنكرت قريش ما قال ، وقالوا لِمَ تمدحنا إذا هجوتهم ، ولم يقبلوا ذلك حتى قال:

من سرّه كرمُ الحياة فلا يَزَل في مِقْنَبٍ مِن صالحي الأنصارِ

الباذِلينَ نُفوسَهم لِنَبِيِّهِــم يــومَ الهِيــاجِ وَسَطْــوَة الجبَّارِ

يتطهَّرونَ كأنَّه نُسُــكٌ لهم بدِماءِ مَــنْ عَلِقوا مِنَ الكُفَّارِ

صَدَمُوا عَلِيًا يومَ بدر صَدْمَةً ذَلَّــتْ لِوَقْعَتِهَــا جَميعُ نِزَارِ[1]" .

والنص خير دليل على استماع الرسول (ص) لشعر كعب ، وإعجابه به ، وعفوه عنه مقابل ذلك . فقد كان النبي (ص) ناقدا فاحصا ، عالما بدقائق اللغة العربية ، وبفنون الأدب.

ومما ذكر عن اعترافه بمقدرة أصحابه الشعرية والخطابية أن روي عن عام الوُفود ، وقد قدِم "وَفْد بني تميم المسجد ، نادوا رسول الله (ص) ... أن أخرُج إلينا يا محمد ، فآذى ... رسول الله (ص) ... صياحهم فخرج إليهم فقالوا : يا محمد جئناك نفاخرك فأْذَن لشاعرنا وخطيبنا ، قال : قد أُذِنَ لخطيبِكم فليقل ، فقال عجارد بن حاجب : الحمد لله الذي له علينا الفضل والمنّ ، وهو أهْله الذي جَعَلنا ملوكا ، ووهب لنا أموالا عظاما ، نفعل فيها المعروف ، وجعلنا أعز أهل المشرق وأكثره عددا ، وأيسره عدّة ، فمَن مِثلُنا في الناس ؟ ألسنا برؤوس الناس وأولي فضلِهم ؟ فمن فاخَرَنا فليعْدُد مثل ما عدَدنا ، وإنا لو نشاء لأكثرنا الكلام ، لو كنا نحيا من الإكثار فيما أعطانا ، وأنَّا نُعرف بذلك . أقول هذا لأن تأتوا بمثل قولنا ، وأمرٍ أفضل من أمرنا ، ثم جلس.

... فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم [لخطيبه] ثابت بن قيس بن الشماس : أخي بني الحارث بن الخزرج : قم فأجب الرجل في خطبته : فقام ثابت فقال : الحمد لله الذي السموات والأرض خلقه ،

---

[1]- يعني ابن علي من سود وهم بنو كنانة ، وكان للنبي (ص) بُردةً اشتراها معاوية من آل كعب بن زهير بمال كثير ... فهي البردة التي تلبسها الخلفاء في العيدين. ابن سلام الجمحي ، طبقات الشعراء ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، (دط) ، 2001، ص 46-47 .

قضى فيهن أمره ، ووسع كرسيه عِلمه ، ولم يك شيء قط إلا من فضله ، ثم كان من قدرته أن جَعَلَنا ملوكا ، واصطفى من خير خلقه رسولا ، أكْرَمه نَسبا ، وأصدَقه حديثا ، وأفضله حَسَبا ، فأنزَل عليه كتابه ، وائتمنه على خلقه ، فكان خيرَة الله من العالمين ، ثم دعا الناس إلى الإيمان به فآمن برسول الله المهاجرون من قومه وذوي رَحِمِه أكْرَمَ الناس حسبا ، وأحسن الناس وجوها ، وخير الناس فعال . ثم كان أول الخلق إجابة واستجاب لله حين دعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ... فنحن أنصار الله ووزراء رسوله ، نقاتل الناس حتى يؤمنوا بالله ، فمن آمن بالله ورسوله مُنع منا ماله ودمه ، ومن كفر جاهدناه في الله أبدا ، وكان قتْلُه علينا يسيرا . أقول قولي هذا وأستغفر الله لي وللمؤمنين والمؤمنات والسلام عليكم. فقام [شاعر من وفد بني تميم وهو] الزبرقان بن بدر ، فقال :

نَحنُ الكِرامُ فَلاَ حيٌّ يُعادِلُنـــا مِنـَّا المِلوكُ وَفِينا يُقْسَمُ الرُبْعُ
وَكم قَسَرْنا مِنَ الأحْياءِ كُلّهِمِ عِندَ النّهابِ وَفَضْلُ العِزِّ يُتّبَعُ
وَنحنُ نُطْعِمُ عِنْدَ القَحْطِ مُطْعَمَناَ مِنْ الشّوَاءِ إذاَ لَمْ يُؤْنَس القَزَعُ
ثمَّ تَرى النّاسَ تأتِيناَ سَراتُهُمْ مِنْ كُلّ أَرضٍ هُوِيّا ثُـم تَصْطَنِعُ
فَنَنْحَرُ الكُومَ عُبْطًا في أَرُومتِنا لِلنّازِليـــنَ إذا ما أُنْزِلُوا شَبِعُوا
فلا تَراناَ إلى حيّ نُفَاخِرُهُمْ إلاّ اسْتَفادوا فكانُوا الرَّأْسَ يُقْتَطَعُ
إنّا أبَيْنَا ولاَ يَأْبَى لَنَا أَحَـــدٌ إنـّا كذَلِكَ عِنْدَ الفَخْرِ نَرْتفِع
فَمَنْ يُفاخِرُنا في ذاكَ نَعْرِفُـه فيَرْجِـعُ القَوْمُ والأَخْبارُ تَسْتَمِعُ

وكان حسان غائبا ، فبعث إليه رسول الله (ص) ، قال حسان ، جاءني رسوله فأخبرني أنه إنما دعاني لأجيب شاعرَ بني تميم ، فخرجت إلى رسول الله (ص) ... فلما فرغ الزبرقان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت : قم يا حسانُ فأجِب الرجل فيما قال ، فقام حسان فقال:

إنَّ الذّوَائِـــــبَ مِنْ فِهْرٍ وإِخوَتِهِمْ قَـدْ بَيّنُـــوا سُنّةً للنّاسِ تُتّبَعُ
يَرْضَى بِهِمْ كلّ مَنْ كانَتْ سَرِيرَتُه تَقْوى الإلهِ وَكُلُّ الخيْرِ يَصْطَنَعُ
قَوْمٌ إذا حارَبُوا ضَرّوا عَدُوَّهُـمْ أَوْ حاوَلُوا النَّفْعَ فِي أَشْياعِهِمْ نَفَعُوا
سجِيَّـــةٌ لكَ مِنْهُمْ غَيْـــرُ مُحْدَثَةٍ إنّ الخَلائِقَ فاعْلَمْ شَرَّهَا البِدَعُ
إنْ كانَ في النّاسِ سَبّاقونَ بَعْدَهُمْ فَكُلُّ سَبْقٍ لأدنَى سَبْقِهِمْ تَبَع
لا يَرْفَعُ النَّاسَ ما أَوْهَتْ أكُفُّهُمْ عندَ الدِّفاعِ ولا يوهُونَ ما رَقَعُوا

إنْ سابَقُوا الناسَ يومًا فازَ سَبْقُهُمْ أوْ وازَنُوا أهْلَ مَجْدٍ بالنَّدى مَتَعُوا

أعِفّةٌ ذُكِرَتْ في الوَحْيِ عِفَّتُهُمْ لا يَطْمَعُــونَ ولا يُرْدِيهِم طَمَعُ

لا يبْخَلُونَ على جارٍ بِفَضْلِهِــمْ ولا يَمَسّهُــمْ مِنْ مَطْمَــعٍ طَبَعُ

إذا نَصَبْنَا لحيٍّ لَمْ نَــدِبْ لهُمْ كَمَــا يدِبّ إلى الوَحْشيةِ الذّرَعُ

نَسْمُوا إذا الحرْبُ نالتْنَا مخالِبُها إذا الزّعانِفُ مِنْ أَظْفارِهَا خَشَعُوا

لا يفْخَرُونَ إذا نالُوا عَدُوُّهُــمْ وإنْ أُصِيبُــوا فلا خورٌ ولاَ هُلُعُ

كأنّهُمْ في الوَغَى والمَوْتُ مُكْتَنِعٌ أُسْدٌ بلْبَــةَ في أَرْساغِهَا فَدَعُ

خُذْ مِنْهُمْ ما أتَى عَفْوًا إذَا غَضِبُوا ولاَ يَكُنْ همُّك الأمْرَ الذي مَنَعوا

فَإنّ في حَربِهِمْ فاتْرُكْ عَدَاوَتَهُــمْ شَرّا يُخاضُ عليهِ السّمُ والسّلَعُ

أَكْرِمْ بِقومٍ رسُولُ اللهِ شِيعَتُهُــمْ إذَا تَفَاوَتَــتْ الأهْوَاءُ والشيَعُ

أهدَى لهُمْ مِدْحَتِي قَلْبُ يُــؤَازِرهُ فيمَا أحَبّ لِسانٌ حائِكٌ صَنَعُ

فإنَّهُمْ أفْضَلُ الأحْيَاءِ كلِّهِمْ إنْ جَدَ بالنَّاسِ جِدّ القَوْلِ أوْ شَمَعُوا[1]"

ما يدل على اعتراف سيدنا محمد (ص) بشعرية حسان بن ثابت . فهو لم يستدع غيره لعلمه ببلاغته وقدرته اللغوية على الارتجال والرد بأفضل القول .فقال أحدهم : شاعرهم أشعر من شاعرنا ، وخطيبهم أبلغ . وقد كان نقدا صادقا أقرّته براعة حسان ، فشهد له العدو قبل الصديق . فكان هذا في ما يعارض به الشعراء بعضهم. في عهد الرسول (ص) .

أما عن نقد المضمون في كلامه (ص) : استحسانه لما يَرْضَى عنه الإسلام ومن أمثلته قول "عدي بن زيد:

عنِ المرْءِ لاَ تَسَلْ وَسَلْ عَنْ قَرِينِهِ فَكُلُّ قَرِينٍ بالمُقَارَنِ يَقْتَدِي

[فقال] كلمة نبي أُلقيت على لسان شاعر . وسمع عائشة تنشد قول الشاعر :

أرْفَعْ ضَعِيفَكَ لاَ يحر بِكَ ضُعْفُه يَوْمًا فَتُدْرِكُهُ عَوَاقِبُ مَا جَنَى

يُجْزِيكَ أوْ يُثْنِي عَلَيْكَ وَإن مَنْ أَثْنَى عَلَيْكَ بِمَا فَعَلْتَ فَقَدْ جَزَى

فقال : صدق يا عائشة لا يشكر الله من لا يشكر الناس .

---

[1]–الأنترنيت ، بوابة السيرة النبوية ، ذكر سنة تسع وتسميتها سنة الوفود ونزول سورة الفتح ، عن الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام (للسهيلي) ، https://www.alsirah.com ، 2019 .

وقال سويد بن عامر المصطلقي:

لاَ تَأْمَنَنْ وَإِنْ أَمْسَيْـــتَ فِي حـــرمٍ إِنَّ المَنِـــــايَا بِجَنْبِي كُلِّ إِنْسَان

فاسلك طريقك تمشي غير مختشع حتى تلاقي الذي منى لك الماني

فكل ذي صاحـــبٍ يومًا مُفارِقه وكـــل زاد وإن أبقيتـــــه فانٍ

والخير والشـــر مقرونان في قـــرن بكل ذلك يأتيـــك الجديدان

فقال النبي (ص) : لو أدرك هذا الإسلام لأسلم[1]" .

-وأما عن التكلف فقال : "إن أبغضكم إليّ وأبعدكم منّي مَجلِسا يوم القيامة الثرثارون ، والمتشدقون ، والمتفيهقون[2]" .

- -ملاحظات الصحابة الكرام :

-الموضوعية :

كان **لعمر بن الخطاب رضي الله عنه** حضورٌ في النقد ؛ إذ قال لابن عباس : "هل تَرْوِ لشاعر الشعراء ؟ فقال ومن هو ؟ قال : الذي يقول :

ولو أن حمدًا يُخلد الناسَ أخلدوا ولكن حمدُ الناسِ ليس بمخلِدِ

قال : ذلك زهير ، قال : فذاك شاعر الشعراء . قال ابن عباس : وبم كان شاعر الشعراء ؟ قال عمر : لأن كان لا يعاظل في الكلام ، وكان يتجنب وحشي الشعر ، ولم يمدح أحدا إلا بما فيه"[3] .

فعمر قد اعتمد "الموضوغية التي تقوم على أسباب جوهرية في الكلام ، تصلح أساسا للأحكام ، وقاعدة ومعيارا يقوّم الشعر والأدب به ، فقد نظر في الألفاظ والأساليب ، والمعاني والمنهج ، فوصف ألفاظ زهير بالسماحة والألفة ، وأسلوبه بالوضوح والجمال والسلاسة ، والخلو من التعقيد

---

[1]-مصطفى عبد الرحمن إبراهيم ، في النقد الأدبي القديم عند العرب ، م س ، ص 70 ، الأبيات من : الثعالبي ، الإيجاز والإعجاز: 38 ، العقد الفريد 9/6 ، ط مكتبة الرياض الحديثة ، نفس المرجع والصفحة نفسها .

[2]-م ن ، ص 73 ، عن الترغيب والترهيب 562/3 .

[3]-طه أحمد إبراهيم ، تاريخ الانقد الأدبي عند العرب ، م س ، ص 34.

والتركيب والتوعر ، ومعانيه بالصحة والصدق ، ومنهجه بالتزام الحق والصدق والاعتدال ،والقصد والتباعد من الإفراط والغلو[1]" .

"وقيل أن عمر بن الخطاب (ض) كان يتعجب من قول زهير:

فإِنَّ الحقَّ مَقْطَعُهُ ثلاثٌ أداء أو نفار أو جلاءُ

وسمَّى زهيرا قاضيَ الشعراء بهذا البيت ، يقول لا يقطع الحق إلا للأداء أو النفار وهو الحكومة ، أو الجلاء وهو العذر الواضح ... وهذه الثلاث على الحقيقة هي مقاطع الحق كما قال ، على أنه جاهلي ، وقد وكّدها الإسلام"[2] .ويقول : "لو أدركت زهيرا لوليته القضاء لمعرفته"[3] .

-الأسس النقدية للموازنات الأدبية[4]: ومثاله قول**الإمام علـــي رضي الله عنه** : "لو أن الشعراء المتقدمين ضمّهم زمان واحد ،ونُصِبت لهم راية ، فجروا معا ، عَلِمْنا مَنِ السابقُ منهم . وإذا لم يكن ، فالذي لم يقل لرغبة ولا لرهبة ، فقيل : ومن هو ؟ فقال : الكندي ، قيل : ولِمَ ؟ قال : لأني رأيته أحسنهم نادرةً ، وأسبقهم بادرةً[5]" . ما يدل على أن من شروط المفاضلة بين الشعراء (التفرّد أي التميز ، والإبداع أي الإتيان بما لم يكن ، والموهبة أي قول الشعر ارتجالا بعيدا عن التقليد) .

مما يوحي أن النقد الأدبي في صدر الإسلام قد تطور بعض الشيء ، فإن لم يكن علميا بحتا ، فإنه أفضل بكثير مما سبقه ، فعُمر مثلا قد بيّن سبب إعجابه بشعر زهير ، فكانت ملاحظاته دقيقة موجزة . فبمجيء الإسلام تغيرت "المفاهيم الفنية التي أَلِفها العرب، وعدّل موازينهم...بما يتفق مع المشروع الحضاري للرسالة الإسلامية، فوقفوا حيارى أمام البيان القرآني الساحر، الذي أسكت أمثال لبيد عن قول الشعر ... [فـ]آي القرآن...كانت نموذجا لـلكمال الفني المذهل، فلم يكن القرآن شعرا

---

[1]-مصطفى عبد الرحمن إبراهيم ، في النقد الأدبي القديم عند العرب ، م س ، ص 79-80 .

[2]-ابن رشيق ، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، حققه وفصله وعلق فهارسه : محمد محي الدين عبد الحميد ، ج1 ، ط5 ، دار الجليل للنشر والتوزيع والطباعة ، بيروت ، لبنان ، 1981، ص 55-56 .

[3]-أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري ،كتاب الصناعتين الكتابة والشعر ، تحقيق علي محمد البجاوي ، ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، ط1 ، 1952 ، ص 342 .

[4]- مصطفى عبد الرحمن إبراهيم ، في النقد الأدبي القديم عند العرب ، م س ، ص91 وما بعدها .

[5]- ابن رشيق القيرواني ، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ، pdf ، ص 15-16 .

، ولم يكن نثرا، وإنّما جمع أجمل ما في الاثنين، وكان فرقانا بين الحق والباطل فوق ذلك، فإذا كانت غاية الشعراء من موسيقاهم مثلا الإطراب وإثارة الإعجاب، فإن غاية... [الإيقاع] في القرآن الكريم التأثير العجيب في النفوس، بإثارة ما ركز فيها من خير وفضيلة بالطبيعة والفطرة، وإسكات وستر ما فطرت عليه من شر ورذيلة في آن واحد. [1]"

فكان النقد في هذا العصر معتمدا سبُلا شتى ، جمعت بين أحسنها في عصر سبِقه ، وما جدّ عنه منها : (الذوق السليم ، والمضمون السمين ، والشكل المتين ، والموضوعية ، ومبادئ الدين الحنيف ، وتجنب التكلف ، وأسس الموازنة) وغيرها كثير . ما يثبت أن الصحابة رضوان الله عليهم وغيرهم من النقاد كانوا على وعي بما يجدر بالشاعر أن يلتزم به من فنون القول ، وصنعة الشعر ، إضافة إلى ما علّمهم الدين الإسلامي من مكارم الأخلاق ، فنزّهوا الشعر من رذائله كالهجاء المعيب الذي ينشر العداوة بين الناس ، كما كان لهم القرآن الكريم نبراسا عجيبا للاقتداء ، سواء تعلق الأمر باللفظ أو المعنى أو الصورة أو الهدف .

ج–النقد الأدبي في عصر بني أمية:

بدأ النقد في هذا العصر "يجنح إلى شيء من الدقة ، ويحاول [أصحابه] تحديد بعض خصائص الصياغة والمعاني ... فصار انتباه الناقد مُوَجَّها إلى الإيقاع الموسيقي في الأوزان والألفاظ ، وإلى المعاني من حيث تناسبها ...[وأبرز ما يلفت الانتباه أن النقاد قد أحسّوا] أن الشعر **طبقـات**"[2] . فقرر اللغويون أن "امرأ القيس والنابغة وزهيرا والأعشى أشعر الجاهليين ، وأن جريرا والفرزدق والأخطل أشعر الإسلاميين ... وكان اعتمادهم على دعامتين : (كثرة إنتاج الشاعر ، إما لأنه قلب في ضروب الشعر ، متنوع الأغراض ... كثير الينابيع ، وإما لأن تلك الكثرة ترجع ...إلى طول النفس وطول القصائد ، وجودة هذا الشعر الغزير ... من حيث عناصر الشعر ... والخصائص التي تستجيدها الأذواق في صياغته ومعانيه)"[3].

---

[1]–محمد التجاني محجوبي ، القضايا النقدية عند فلاسفة الأندلس ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في اللغة العربية وآدابها تخصص أدب أندلسي ، إشراف : كمال عجالي ، جامعة الحاج لخضر باتنة ، قسم اللغة العربية وآدابها ، 2008–2009 ، ص 43.

[2]–حنا الفاخوري ، تاريخ الأدب العربي ، م س ، ص 750 .

[3]–طه أحمد إبراهيم ، تاريخ النقد الأدبي حتى القرن الرابع الهجري ، م س ، ص 64–65 .

وفضلا عن ذلك فقد ظهر شعر **النقائض** في هذا العصر ؛ وهو "فن جديد من الشعر ... استلزمه الجدل السياسي والقبلي والاجتماعي والأدبي ، ونبغ فيه كثير من الشعراء (كجرير والفرزدق والأخطل) ... يقول أحدهم قصيدة في موضوع وغالبا ما يكون الفخر أو الهجاء ، فيهُبُّ الآخر للرد على الشاعر والأخذ بالثأر ، فينظِم قصيدة في موضوع وعلى نمط القصيدة الأولى وزنا وقافية غالبا ، يُبطل فيها معاني الشاعر الأول وكل أفكاره ... [وعمل هذا على ازدهار] الحركة النقدية [بين مؤيد ومعارض] ... يُظهرون للناس محاسن [هذا] وأسباب تفوقه ، [و]كذلك يبخسون شعر معارضيه"[1] .

وإضافة إلى هذا ظهرت قضايا نقدية أخرى يفصّلها أحمد الشايب فيمايلي:

-تعدد المذاهب الشعرية والسياسية ،

-إحياء العَصَبِيَّات الجاهلية ،

-ظهور الموازنات بين الشعراء ، وتقسيمهم طبقات ؛ كتعيين فحولهم ك (جرير ، والفرزدق ، والأخطل ، وذي الرمة) ، وشعراء الغزل البادين والحاضرين ك (جميل ، وكثير ، ونصيب ، وعمر بن أبي ربيعة) ،

-ظهور النقد اللغوي الذي يقوم على الصِّلة بين الأدب وأصول النحو واللغة والعروض ،

-تبيان الصِّلة بين الشاعر ...وبيئته ...ف (عدِي بن زيد) تأثر بالحاضرة وما فيها من أخلاط الناس فنال ذلك من فصاحته اللغوية وملكته الشعرية ، و(ابن قيس الرقيات) ليس بفصيح ولا ثقة شغل نفسه بالشرب ... ومنها ما لحظه الأصمعي من ضعف شعر (حسان بن ثابت) في الإسلام ، لأن الشعر قائم على الأهواء والشر ، فإذا دخل في الخير ضعف ،

-الانتباه إلى قضية وَضْعِ الشعر وصِحّة إسناده وعَلَمُها ابن سلاَّم الجمحي ،

-الثورة على الأدب القديم ك (أبي نواس ، وبشار ، وأبي العتاهية ، ومسلم بن الوليد) ، فانبرى النقاد **يفاضلـون** بين مذهبين من الشعر : قديم يتجه إلى الجاهلية وصدر الإسلام يتخذونهما مثلة ، وحديث يلتفت حوله ويجري مع مقتضيات الحياة المتجددة ، فيعمّق المعاني ويبتكرها ويلتفت إلى العبارة صانعا أو متصنعا ،

---

[1]-مصطفى عبد الرحمن إبراهيم ، في النقد الأدبي القديم عند العرب ، م س ، ص 103-104 ، عن : محمد زغلول سلام ، تاريخ النقد الأدبي والبلاغة ، طبعة منشأة المعارف الاسكندرية ، ص 81 .

-تعدد المذاهب النقدية (اللغويين ، والأدباء ، والعلماء الذين أخذوا نصيبا يسيرا من المعارف الأجنبية ، والعلماء الذين تأثروا كثيرا بما نُقِل عن اليونان من فلسفة) ؛ فمن اللغويين (المبرد ، وأبا سعيد السكري) ، ومن الأدباء (ابن المعتز) ، ومن العلماء (ابن قتيبة صاحب الشعر والشعراء) ، ومن النقاد الفلاسفة (قدامة بن جعفر صاحب كتاب نقد الشعر)"[1].

ومن أبرز **الشخصيات النقدية** في هذا العصر محمد بن سلام الجمحي في كتابه طبقات الشعراء . وكان نقده معللا ، جامعا لما سبقه من آراء نقدية مؤلفا بينها ، مصححا زائفها ، مؤكّدا على صحيحها ، فهو في كتابه قد رتّب الشعراء إلى طبقات من جاهليين وإسلاميين ، وفصّل في قضية الموضوع من الشعر (الانتحال) ، ومن أمثلة ما ورد في نقده التعليلي أن برهن على أن الشعر العربي لم يكن موجودا على عهد عاد وثمود مستدلا بالقرآن الكريم لقوله تعالى : {فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَة} ، وأن أول من تكلم العربية سيدنا إسماعيل وهو بعدَ عادٍ ، وأن عادًا لسانهم غير اللسان العربي وغيرها كثير[2].

ويحدد الباحث محمد التجاني محجوبي **تيارين نقديين** كبيرين قد ميزا هذا العصر هما :

-"التيار العربي الأصيل: ويشمل اتجاه (اللغويين الرواة)، ولهم فضل الريادة في النقد العربي المتخصص، ثم اتّجاه (المحافظين) كامتداد له، ثم الاتّجاه (الفني) ممثّل في الشعراء والكتّاب، ثم الاتّجاه (الكلامي) الذي تكفّل بقضايا الإعجاز وكانت له بالتيار اليوناني صلات،

-التيار اليوناني: ويشمل الفلاسفة الشرّاح ومَن حذا حذوهم من الشعراء والأدباء المحدثين.

ومن أبرز **القضايا النقدية** التي ظهرت إثرهما (قضية القدماء والمحدثين أو التقليد والتجديد... وقضية اللفظ والمعنى، وقضية الطبع والصنعة والتكلف، وقضية السرقات[3]" وغيرها مما سيأتي تفصيله لاحقا.

ويعود **ازدهار** النقد الأدبي في عصر بني أمية إلى عامل مهم جدا هو تشجيع الخلفاء والأمراء : ومن أمثلة ذلك : أن "دخل جرير على عبد الملك بن مروان فأنشده :

أَتَصْحُو بَلْ فُؤَادُكَ غَيْرُ صَاحِ عَشِيَّةَ هَمَّ صَحْبُك بالرَّوَاحِ

فقال عبد الملك : بل فؤادك ، فلما انتهى جرير إلى قوله:

---

[1]- أحمد الشايب ، أصول النقد الأدبي ، م س ، ص 110 وما بعدها .

[2]-طه أحمد إبراهيم ، تاريخ النقد الأدبي حتى القرن الرابع الهجري ، م س ، ص 75-76 .

[3]- محمد التجاني محجوبي ، القضايا النقدية عند فلاسفة الأندلس ، م س ، ص 43-44.

أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ المَطَايَا وَأَنْدَى العَالَمِين بُطُونَ رَاحِ

جعل الملك يقول : نحن كذلك ، ردِّدْها عليّ ، فأخذ جرير يرددها ، والخليفة يطرب لذلك ويقول : من مدحنا منكم فليمدحنا بمثل هذا أو ليسكت ، وأمر له بمائة من الإبل"[1] .

وقال الأصمعي : "اجتمع جرير والفرزدق عند الحجاج ، فقال : من مدحني منكما بشعر يوجز فيه ويحسن صفتي فهذه الخلعة له ، فقال الفرزدق :

وَمَنْ يَأْمَنُ الحَجَّاجَ وَالجِنُّ تَتَّقِي عُقُوبَتَهُ ؛ إِلَّا ضَعِيفٌ عَزَائِمُهْ

فقال جرير :

وَمَنْ يَأْمَنُ الحَجَّاجَ أَمَّا عِقَابُهُ فَمُــرّ وَأَمَّـــا عَقْدُه فَوَثِيـــقُ

يُسِرُّ لَكَ البَغْضَاءَ كُلُّ مُنَافِقٍ كَمَا كُلُّ ذِي دِينٍ عَلَيْكَ شَفِيقُ

فقال الحجاج للفرزدق : ما علمتَ شيئا إن الطير تنفُر من الصبي والخشبة . ودفع الخلعة إلى جرير[2]".

انطلاقا مما سبق نشهد تطورا سريعا للحركة النقدية في هذا العصر مقارنة بالعصرين السابقين ، إذ تعددت فيه المشارب النقدية ، والبيئات الشعرية ، والقضايا المتعلقة بالأدب والأدباء . لكن هذا لا يجعلها حركة نقدية قد اكتمل نموها ، بل سنورد ما تلاها من تطور في العصر الموالي.

د- النقد الأدبي في عصر بني العبـــاس:

بلغ النقد في هذا العصر (ق4هـ) أوجه ؛ إذ تنوعت منابعه ، فكان النقد اللغوي ، والنقد الفلسفي ، والنقد الأدبي . وبين هؤلاء جميعا كثرت الآراء النقدية وبالتالي المؤلفات في هذا العلم . ومن أمثلة نقد اللغويين أن "أخذ عيسى بن عمر الثقفي على النابغة قوله:

فَبِتُّ كَأَنِّيَ سَاوَرَتْنِي ضَئِيلَةٌ مِنَ الرُّقْشِ فِي أَنْيَابِهَا السُّمُّ نَاقِعُ

والصواب أن يقول ناقعًا بالنصب على الحال[3]" .

---

[1]-ديوان جرير ، دار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ، دط ، 1986 ، ص 76 وما بعدها.

[2]-م ن ، ص98 ، ورد في المرجع : والطير تتقي .

البيتان في : ديوان جرير ، ص 315-316 ، وديوان الفرزدق ، شرحه وضبطه وقدم له : علي فاغور ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ط1 ، 1987 ، ص 533.

[3]-طه أحمد إبراهيم ، تاريخ النقد الأدبي حتى القرن الرابع الهجري ، م س ، ص 53.

ومن مظاهر التأثر بالثقافة الأجنبية أن "تجرد [النقاد] من تأثير العصبيات والأهواء والثورة العاطفية ، والاعتماد على الشعور الهادئ والتحليل والبرهان ، وتعليل الظواهر الأدبية ، وإرجاع كل شيء إلى أصل وسبب ، وقد وضعت للنقد قواعد دقيقة منتظمة[1]" . فـ "كانت دراسة الفلسفة والمنطق وسيلة لتمكين المعتزلة والمتكلمين عامة من الحِجاج العقلي ، واستطاع علماء المسلمين عن طريق هذه الفلسفة بصفة خاصة والاطلاع على كتابي الخطابة والشعر لأرسطو أن يخرجوا بالنقد العربي من الجو العربي الخالص إلى جو آخر فيه كثير من العلل والقياسات العقلية والمنطقية اليونانية السمات[2]" . وظهرت آثار هذا في القرن الرابع الهجري بوضوح "عند قدامة بن جعفر في كتاب (نقد الشعر) ...[و]الرماني في كتابه (النكت في إعجاز القرآن) ، و...الباقلاني في (إعجاز القرآن) ، وابن سنان الخفاجي في (سر الفصاحة)"[3] .

وما ميز النقاد الأدباء أن عرف النقد بفضلهم "سعة وشمولا ...[و] عمقا ودقة ... [و] براءة من الحدود الفلسفية إلى درجة واضحة ، وذلك ...لنضج ملكة الذوق عندهم من كثرة ما درسوا ووازنوا ، وجمعوا بين جمال الطبع لتضلعهم في الأدب القديم ، وحسن الصنعة من ممارسة الأدب الحديث ، فصفا ذوقهم وعاد مهذبا لطيفا سديدا . وكان نقدهم ممتازا بـ ... تحليل الظواهر الأدبية وإرجاعها إلى أصولها الصحيحة"[4] .

ونتيجة لما فرضه اللغويون على الشعراء من قوانين اللغة ، وكثرة تخطئتهم للمبدعين ، وإبعاد أكثرهم عن ساحة الشعر ، انبرى كثير من النقاد الأدباء –لمعرفتهم بمسالك الأدب– لإعادة النقد الأدبي إلى مساره الصحيح ، ونشأ عن ذلك مؤلفات كثيرة حول الأدب والأدباء مثل : "كتاب الموازنة بن الطائيين [أبي تمام والبحتري لأبي القاسم الحسن بن بشر] الآمدي ، وأخبار أبي تمام للصولي ، والوساطة بين المتنبي وخصومه [لأبي الحسن علي بن عبد العزيز الشهير بـ]القاضي

---

[1]–حنا الفاخوري ، تاريخ الأدب العربي ، م س ، ص 749.

[2]–مصطفى عبد الرحمن إبراهيم ، في النقد الأدبي القديم عند العرب ، م س ، ص135–136 ، عن : محمد زغلول سلام ، تاريخ النقد الأدبي والبلاغة ، ص 19 .

[3]–م ن ، ص 136 .

[4]–أحمد الشايب ، أصول النقد الأدبي ، م س ، ص 112 ، عن طه إبراهيم ، تاريخ النقد الأدبي عند العرب .

الجرجاني ... [و] الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ، ورسالة الصاحب بن عباد في الكشف عن مساوء المتنبي ، ورسالة الحاتمي فيما توارد من المعاني بين أبي الطيب المتنبي وأرسطو "[1] .

ومن أمثلة النقد عند هؤلاء قول الآمدي :

"فإن كنتَ –أدام الله سلامتك– ممن يفضل سهل الكلام وقريبه ، ويُؤْثر صحة السَّبك ، وحسن العبارة ، وحلو اللفظ ، وكثرة الماء والرونق ، فالبحتري أشعر عندك ضرورة . وإن كنت تميل إلى الصنعة والمعاني الغامضة التي تستخرج بالغوص والفكرة ولا تلوى على ما سوى ذلك فأبو تمام عندك أشعر لا محالة ... فأما أنا فلستُ أُفْصح بتفضيل أحدهما على الآخر ، لكني أوازن بين قصيدة وقصيدة من شعرهما إذا اتفـتا في الوزن والقافية وإعراب القافية ، وبين معنى ومعنى ، ثم أقول : أيهما أشعر في تلك القصيدة ، وفي ذلك المعنى ، ثم احكمْ أنتَ حينئذ [إن شئت] على جملة ما لكل واحد منهما إذا أحطت علما بالجيد والرديء[2]" .

الملاحظ على نص الآمدي أنه يأخذ النصوص ويوازن بينها ، ويضع ملاحظاته النقدية ، سواء تعلق الأمر بالشكل أو المضمون ، ويستدرج القارئ حتى يحكم بنفسه على النصين ، وهذه طريقة منطقية ممنهجة اتبعها نقاد القرن الرابع الهجري ، اقتداء بمنطق أرسطو ، ومنهج المعلمين اللغويين آنذاك . فهو لا يفرض آراءه على المتلقي بل يترك الحكم له بعد أن يبرز له السبيل . وهو نقد قد تحلى فيه صاحبه بمعرفة كبيرة بالأدب والأدباء ، مع استفادته من المنطق الذي يخلو ذهن صاحبه من كل تعصب . وهي سمة النقاد في ذلك العصر.

فكثرت–بفضل هؤلاء جميعا– قضايا النقد الأدبي مثل ما تعلق "بالشاعر والطبع والتكلف ، والبيئة والشعر ، وصلة الحياة والدين والأخلاق والناس ، وأثره في النفس ، ودوافعه وغاياته ، وأسلوبه وجوانب الجمال فيه ، وكانت هذه ... [القضايا] علامات في الطريق لتاريخ النقد ومذاهبه"[3] .

---

[1]–م س ، ص 112 .

[2]–أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي ، الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري ، تحقيق السيد أحمد صقر ، ط4 ، دار المعارف ، (دت) ، ص 5–6.

[3]–مصطفى عبد الرحمن إبراهيم ، في النقد الأدبي القديم عند العرب ، م س ، ص134 ، عن : محمد زغلول سلام ، تاريخ النقد الأدبي والبلاغة ، ص 18 .

فغدا النقد –في هذا العصر– "خصبا جدا ... معتمدا على الذوق الأدبي السليم ، مؤتنسا بمناحي العلم في الصورة والشكل لا في الجوهر والروح ؛ إن حلل [أصحابه] فبذوق سليم ، وإن عللوا فبمنطق شديد ، وإن عرضوا لفكرة أتوا على كل ما فيها ... [فهُم] من صنّفوا ... [و] تضلعوا في القديم وألفوا الحديث ... وأنِسوا بما شاع في عصرهم من أساليب الجدال ، فصاغوا فيها كل ما اهتدوا إليه من نظرات وأحكام[1]" . فالنقد الأدبي في هذا العصر قد توفرت فيه عدة شروط : (موهبة الذوق ، والخبرة في مجالي الأدب وعلوم اللغة ، والتفقه في مسالك الفلسفة) ، يقول أحمد الشايب في تفسير ذلك : "الذوق في أصله هبة طبيعية تولد مع الإنسان ، فيعبر عنها بصفاء الذهن وخصب القريحة وجمال الاستعداد ...وبعد ذلك يأتي التهذيب والتعليم ، فليس من شك أن الدرس ينمي الذوق ويهذبه ويسمو به إلى درجة محمودة"[2] .

3–شروط الناقد : ليس كل إنسان قادر على النقد العلمي ، بل لذلك شروط مهمة منها:

–الفطرة والموهبة ، ما يستدعي حسن الفهم والتذوق وقوة الملاحظة ،

–ثقافة واسعة ، خاصة الإحاطة بالعلوم المختلفة والأخبار ،

–المعرفة بأساليب التعبير والتمييز بينها تمييزا دقيقا ،

–القدرة على التحليل والتفسير والتقويم والتعليل ،

–الإلمام بالدين والفلسفة ،

–مواكبة كل جديد يتعلق بالنقد ،

–الممارسة التطبيقية لمختلف النصوص والاستمرارية في ذلك"[3] .

---

[1]–طه أحمد إبراهيم ، تاريخ النقد الأدبي حتى القرن الرابع الهجري ، م س ، ص 135–136. وقد تم تحويل كل مفرد إلى جمع تماشيا مع سياق النص .

[2]–أحمد الشايب ، أصول النقد الأدبي ، م س ، ص 121 .

[3]– أماني حسن محمد حمد ، المصطلح النقدي الأدبي حتى القرن الخامس الهجري ، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها ، إشراف مشهور حبّازي ، عمادة الدراسات العليا والبحث العلمي ، جامعة القدس المفتوحة ، فلسطين ، 2019 ، ص 16 .

2 –بيبليوغرارفيا المصنفات النقدية في المشرق والمغرب:

عرف النقد العربي حركة فريدة من نوعها ، سواء في عصوره الماضية أو في عصرنا الحديث ، لأنه منبع مَحْكمةِ الفن والعلم والجمال . ولا بد من لفت الانتباه إلى أن البلاغة العربية والنقد العربي كانا معرفة واحدة قبل أن تستقل البلاغة كعلم قائم بذاته ، لذا أدرجنا بعض الكتب البلاغية لأن فيها ما يخدم النقد . ويمكن للقارئ الكريم أن يطلع على ما سنرده –انتقاء لا إجمالا– ليستعين به في تيسير سبيله ، ومنها :

المؤلفات التراثية:

–الجاحظ (أبو عثمان عمر بن بحر (ت 255هـ)) ، البيان والتبيين ، تحقيق : درويش جويدي ، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، دار الكتب العلمية ، صيدا ، بيروت ، 2003 .

–ابن المعتز (عبد الله (ت296 هـ)) ، كتاب البديع ، اعتنى بنشره وتعليق المقدمة والفهارس ، اغناطيوس كراتشوفسكي ، ط3 ، دار المبرد ، بيروت ، 1982 .

–العسكري (أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل (ت395هـ) ، كتاب الصناعتين (الكتابة والشعر) ، حققه وضبط نصه : مفيد قميحة ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 1981.

–السكاكي(أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي(ت626هـ) ، مفتاح العلوم ، صنف وكتب هوامشه وعلق عليه : نعيم زرزور ، (دط) ، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان ، (دت) .

–الجرجاني (عبد القاهر (ت471هـ)) ، دلائل الإعجاز في علم المعاني ، اختار النصوص وقدم لها : محمد عزام ، (دط) ، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق ، 1998.

–الجرجاني ، أسرار البلاغة ، تحقيق : محمد الفاضلي ، ط2 ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، 1999.

–المبرد (أبو العباس محمد بن يزيد (ت 685هـ)) ، الكامل في اللغة والأدب ، تحقيق : جمعة الحسن ، ط2 ، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت، لبنان ، 2007 .

-القرشي (أبو زيد بن أبي الخطاب) ، جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام ، حققه وضبطه وزاد في شرحه : علي محمد البجاوي ، ط1 ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، الفجالة ، القاهرة ، (دت) .

-الزركشي (بدر الدين محمد بن عبد الله (ت 794هـ) ، البرهان في علوم القرآن ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط2 ، نشر دار المعرفة للطباعة والنشر، (دت) .

-الرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني ، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، حققها وعلق عليها : محمد خلف الله ، ومحمد زغلول سلام ، (دط) ، دار المعارف ، مصر ، (دت).

-ابن العماد (شهاب الدين أبي الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد العكبري الحنبلي الدمشقي) ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، أشرف على تحقيقه وخرج أحاديثه : عبد القادر الأرناؤوط ، وحققه وعلق عليه : محمود الأرناؤوط ، ط1 ، دار ابن كثير ، دمشق ، بيروت ، 1986.

-أبو إسحاق الحصري (إبراهيم بن علي بن إبراهيم بن تميم الأنصاري (ت 413هـ) ، زهر الآداب وثمر الألباب ، مضبوط ومشروح بقلم زكي مبارك ، حققه ، وزاد تفصيله وضبطه وشرحه : محمد محي الدين عبد الحميد ، ط4 ، دار الجيل ، بيروت ، (دت).

-ابن رشيق (أبو علي الحسن (ت 456هـ)) ، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، حققه وفصله وعلق فهارسه : محمد محي الدين عبد الحميد ، ط5 ، دار الجليل للنشر والتوزيع والطباعة ، بيروت ، لبنان ، 1981.

-ابن عصفور الإشبيلي (أبو الحسن علي بن مؤمن بن محمد بن علي (ت 669هـ)) ، ضرائر الشعر ، تحقيق : السيد إبراهيم محمد ، ط2 ، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، 1982.

-القزاز القيرواني (أبو عبد الله محمد بن جعفر التميمي (ت 412هـ)) ، ضرائر الشعر ، كتاب ما يجوز للشاعر في الضرورة ، تحقيق وشرح ودراسة : محمد زغلول سلام ، ومصطفى هدارة ، (دط) ، نشر منشأة المعارف ، الاسكندرية ، (دت) .

-ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد (808هـ))، المقدمة ، ضبط وشرح وتقديم : محمد الاسكندراني ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، 2006 .

– أرسطو ، فن الشعر ، ترجمة وتقديم وتعليق : ابراهيم حمادة ، (دط) ، نشر : مكتبة الأنجلو المصرية ، (دت).

– أرسطوطاليس ، الخطابة ، الترجمة العربية القديمة ، حققه وعلق عليه : عبد الرحمن بدوي ، نشر : وكالة المطبوعات الكويت ، ودار القلم ، بيروت ، لبنان ، 1989 .

–الخالِديّيْن (أبو بكر محمد ، وأبو عثمان سعيد ابني هاشم) ، كتاب الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والجاهلية والمخضرمين ، حققه وعلق عليه : السيد محمد يوسف ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، 1965 .

المؤلفات الحديثة:

– إحسان عباس ، تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، ط 4 ، نشر دار الثقافة ، بيروت – لبنان ، 1983 .

–طه أحمد إبراهيم ، تاريخ النقد الأدبي حتى القرن الرابع الهجري ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 1985 .

–أحمد الشايب ، أصول النقد الأدبي ، ط 10 ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، 1994.

–بشير خلدون ، الحركة النقدية على أيام ابن رشيق المسيلي ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1981 .

–عبد الله شريط ، تاريخ الثقافة والأدب في المشرق والمغرب ، ط3 ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1983 .

–الأخضر جمعي ، اللفظ والمعنى في التفكير النقدي والبلاغي عند العرب ، (دط) ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، 2002 .

–شوقي ضيف ، البلاغة تطور وتاريخ ، ط6 ، دار المعارف ، (دت) .

–أحمد أمين ، فجر الإسلام ، وظهر الإسلام ، دار الكتاب العربي ، ط1 ، بيروت ، لبنان ، 2005 .

–ألفت كمال الروبي ، نظرية الشعر عند الفلاسفة المسلمين من الكندي حتى ابن رشد ، ترجمة : رمسيس بونان ، (دط) ، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، 2007 .

– حني عبد الجليل يوسف ، الأدب الجاهلي قضايا وفنون ونصوص ، ط1 ، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ، القاهرة ، 2001 .

وقد مزجنا –كما هو ملاحظ– بين القديم الأصيل والحديث الجاد ، لنترك المجال رحبا لمن يريد الاطلاع ، ومبدؤنا الوحيد هو التميز دائما والإبداع دون التفريق بين كون المادة العلمية قديمة أو حديثة.

3–النقد الانطباعي
مفهومه ومجالاته ونماذج منه:

النقد الانطباعي ملاحظات نابعة من إحساس المتلقي بما يرِد عليه من أدب شعرا كان أم نثرا ، وقد عُرف هذا النوع من النقد في العصر الأول للأدب العربي ، أي عصر ما قبل الإسلام أو العصر الجاهلي ؛ فكان النقاد يحتكمون إلى أحاسيسهم وانفعالاتهم المباشرة إثر تلقيهم للشعر الذي تجود به قريحة أحدهم . فلم تكن حينها معايير نقدية مدونة في كتب ، بل كانت المعايير في أذهانهم ، نتيجة ما أمْلته عليهم عاداتهم اللغوية والفنية التي رسخت في طبائعهم جراء ممارستهم للغة استعمالا دائما أو انتفاعا من طريق التفاخر أو التهاجي أو المدح أو الرثاء أو غيرها من الأغراض ، فكانوا بين معجبين فمقبلين أو ماقتين فتاركين . فالنقد كان نتيجة تأثرهم المباشر بوقع الكلام في أنفسهم . فهذا النوع من النقد عربي النشأة ، قائم على الذوق العربي السليم ، لم يتأثروا فيه بمؤثرات أجنبية[1] . ومن أمثلته:

–قول النابغة لحسان بن ثابت : "أنشدني يا ابن أخي شيئا من شعرك : فأنشده (من الطويل):

لنا الجَفَناتُ الغُرُّ يَلْمَعْنَ بالضُّحَا وأسيافُنَا من نَجْدَةٍ تَقْطُرُ الدَّمَا

قال له النابغة : يا بن أخي : على رِسلك فقد أخطأت في هذا البيت في ستة مواضع . قال : فماهُن يا عم ؟ قال : قلت الجفنات ، وهي أقلُ العدد ، ولو قلت الجفان كان أعم ، وقلت الغرّ ، والغرة هي البياض اليسير في وجه الفرس ، ولو قلت البيض كان أعم ، وقلت : يلمعن ، واللّمع إنما هو الضياء اليسير من بعيد ، ولو قلت : يشرقن كان أعم ، وقلت : بالضحى ، فكأنما

[1]–طه أحمد إبراهيم ، تاريخ النقد الأدبي حتى القرن الرابع الهجري ، م س ، ص 29 .

أنتم تطعمون بالضحى ثم تقطعون : ولو قلت بالدّجى كان أعمّ وأحسن ، وقلت : أسيافنا ، وهي أول العدد ، ولو قلت سيوفنا كان أعم ، وقلت : تقطر ، والقطر إنما هو كالدمعة تقطر من الحجر ومن غيره ، ولو قلت تسكب الدماء كان أعم[1]" .

-وقصة "أم جندب بين علقمة الفحل وزوجها امرئ القيس ؛حيث "تنازع امرؤ القيس بن حجر وعلقمة بن عبدة وهو علقمة الفحل في الشعر أيهما أشعر ؟ فقال كل واحد منهما أنا أشعر منك ، فقال علقمة قد رضيت بامرأتك أم جندب حكما بيني وبينك ، فحكّماها ، فقالت أم جندب لهما : قولا شعرا تصفان فيه فرسيكما على قافية واحدة ووزن واحد ، فقال امرؤ القيس:

خليليّ مُرَّا بي على أم جندب نقْضِ لُباناتِ الفؤادِ المعذّبِ

وقال علقمة :

ذهبْتِ من الهجران في غير مذهَبٍ ولمْ يكُ حقًّا كلّ هذا التّجَنُّبِ

فأنشداها جميعا القصيدتين ... فقالت لامرئ القيس : علقمة أشعر منك . قال كيف؟ قالت : لأنك قلتَ :

فللسّوط أُلْهوبٌ وللساقِ دِرّةٌ وللزّجْر منه وقعُ أخْرَجَ مُذْهِبِ

... فجهدت فرسك بسوطك في زجرك ، ومريته فأتعبته ، وقال علقمة :

فأُدرِكُهُنّ ثانياً مِن عِنانه يمرّ كمرِّ الرَّائح المتحلِّبِ

فأدرك فرسه ثانيا عنانه لم يضربه ولم يتعبه . فقال : ماهو بأشعر مني ، ولكنك له عاشقة ، فسمي الفحل لذلك"[2].

كما هو ملاحظ أن ما أورده النابغة من ملاحظات نقدية كان نابعا من ذوق عربي سليم ، نابع من فطنة العربي وما طُبع عليه من تقاليد أدبية فنية . والأمر نفسه بالنسبة لأم جندب ، فهي امرأة عربية أصيلة فقهت ثقافة الفروسية عن ذويها وبيئتها العربية البدوية ، إنها براعة البدوي وفطنته وذكائه وصفاء إحساسه . هي في الجملة عبارات وجيزة وأحكام قاطعة[3] ، شملت اللفظ والمعنى ، والموسيقى

---

[1]-أبو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي ، جمهرة أشعار العرب ، قام بتحقيقه شرحا وتديما وتبويبا : خليل شرف الدين ، دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، 1999 ، مجلد 1 ، ص 106 .

[2]-أبو عبد الله محمد بن عمران بن موسى المرزباني ، الموشح ،م س ، ص 39 .

[3]-حنا الفاخوري ، تاريخ الأدب العربي ، م س ، ص 750.

والسبك ، والأغراض ، والثقافة ، وغيرها من القضايا اللغوية والأدبية . وكانت مختلفة من حيث المنهج عما وصل إليه النقد في عصور تالية من تحليل واستنباط واستدلال واتساع . وكانت نماذجه كثيرة لا تعد ولا تحصى قد عجت بها كتب النقد .

4-مفهوم الشعر
عند النقاد المشارقة والمغاربة:

يعد الشعر العربي تسجيلا لحياة العربي بكل مناحيها (السياسية والاجتماعية والاقتصادية والنفسية) ..إلخ ، فهو قد صوّر بيئته الصحراوية وجمالها ، وعبّر عن أفكاره وتصوراته ، فكان بسيطا حينا ، وعميقا حينا آخر . فهو بين الفرح والحزن ، والعنف واللين قد داعب الحياة بكل متقلباتها ، وأثّر في أصحابها كما أثروا فيه ، فرسم كل ذلك في شكل لغة جميلة . وقد جاء تعريف الشعر عند المشارقة والمغاربة متواصلا ، وكان لكل منهم نظرته إليه ، ومن أمثلة هذا النقد نجد في المشرق:

-**الجاحظ** يقول : "وكل شيء للعرب فإنما هو بديهة وارتجال ، وكأنه إلهام ، وليست هناك معاناة ولا مكابدة ولا إجالة فكرة ولا استعانة ، وإنما هو أن يصرف وَهْمَه إلى الكلام وإلى رجز يوم الخصام ، أو حين يمتح على رأس بئر أو يحدو ببعير ، أو عند المقارعة أو المناقلة ، أو عند صراع أو في حرب فما هو إلا أن يصرف وهمه إلى جملة المذهب وإلى العمود الذي إليه يقصد ، فتأتيه المعاني أرسالا ، وتنثال عليه الألفاظ انثيالا[1]".

وفي قول الجاحظ تصوير دقيق لردّة فعل العربي تجاه ما يعتريه من عاطفة متأثرا بما يحيط به من مؤثرات على اختلاف أنواعها . فكانت له قوالبه الخاصة التي يصبّ فيها ما تجود به قريحته ، وما تسعفه به مخيلته من تعابير تريح وجدانه . فكأن الشعر بالنسبة إليه حَمْل ناتج عن تمخض مؤثرات الحياة في العربي وتفاعلات الوجدان والفكر لديه ، فتتشكل الأفكار وتنموا داخل نفسه وخياله ، فتخرج مكتملة التكوين إلى الحياة ، فتوضع بين يدي المتلقي فيقبلها حينا فيفرح الشاعر بقبول مولوده

[1]-أبو عثمان عمر بن بحر الجاحظ ، البيان والتبيين ، تحقيق درويش جويدي ، المكتبة العصرية للطباعة والنشر صيدا بيروت، شركة أبناء شريف الأنصاري للطابعة والنشر والتوزيع ، (دط) ، ج3 ، 2003 ،ص 425-426 .

من طرف المتلقين ، ويرفضها حينا آخر فيحزن الشاعر ولا يمل معيدا الكرة بعد الكرة حتى يحصل على مبتغاه وهو إرضاء الطرف الآخر ، أو يكون متمردا أحيانا فيجبر المتلقي بوسائله المبدعة على التقبل أيضا.

فالعرب حسب الجاحظ "مطبوعون لا يتكلفون ، وكان الكلام الجيد عندهم أظهر وآكد ، وهم عليه أقدر وله أفهم . وكل واحد في نفسه أنطق ، ومكانه من البيان أروع ، وخطباؤهم أوجز ، والكلام عليهم أسهل ، وهو عليهم أيسر من أن يفتقروا إلى تحفظ أو يحتاجوا إلى تدارس ... فلا يحفظوا إلا ما علق بقلوبهم ، والتحم بصدورهم ، واتصل بعقولهم من غير تكلف ولا قصد ، ولا حفظ ولا طلب ... أن ... لهم ... من الديباجة الكريمة ، والرونق العجيب ، والسبك والنحت الذي لا يستطيع أشعر الناس اليوم ولا أرفعهم في البيان أن يقول في مثل ذلك إلا اليسير والنبذ القليل"[1] .

-**قدامة بن جعفـر** : يرى أن الشعر هو "الكلام الموزون المقفى الذي يدل على معنى"[2]. وأكثر توضيحا لقوله نجد **السكـاكي** يقول : "الشعر عبارة عن كلام موزون مقفى ، وألغى بعضهم لفظ المقفى ؛ وقال : إن التقفية وهي القصد من القافية ورعايتها ، لا تلزم الشعر لكونه شعرا بل لأمر عارض ، ككونه مصرّعا أو قطعة أو قصيدة ، أو لاقتراح مقترح ، وإلا فليس للتقفية معنى غير انتهاء الموزون ، وأنه أمر لا بد منه ، جار من الموزون مجرى كونه مسموعا ، ومؤلفا ، ... ومَن اعتبر المقفى قال : الموزون قد يقع وصفا للكلام ، إذا سلم عن عيبي : قصور وتطويل ، فلا بد من ذكر التقفية تفرقه ، لكن وصف الكلام بالوزن للغرض المذكور لا يطلق . وأقام بعضهم مقام الكلام ، اللفظ الدال على المعنى ، ولا بد لمن يتكلم بأصول النحو من ذلك مع زيادة ، وهي : أن تكون الدلالة بوساطة الوضع ، على ما يذكر في حد الكلمة ، وإلا لزم ، إذا قلت مثلا :

ألا أن رأي الأشعري أبي الحسن ومتبعيه في القبيح وفي الحسن

وإن كان منسبا إلى الجهل عن قلى ، لرأي حقيق بالتأمل ، فاعلمن

---

[1]- الجاحظ ، البيان والتبيين ، م س ، ج3 ، ص 426.

نلفت انتباه القراء الكرام إلى فكرة عدم التزام الترتيب التاريخي لعلماء النقد العربي ، وذلك لضرورة المادة التعليمية.

[2]- أبو الفرج قدامة بن جعفر ، نقد النثر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، (دط) ، 1980 ، ص 84 .

أن لا يعد البيت الأول شعرا ، لكونه غير كلام بأصول النحو، مع كونه شعرا من غير شبهة ، ولا الثاني وحده . ثم اختلف فيه ، فعند جماعة : أن لا بد فيه من أن يكون وزنه لتعمُّد صاحبه إياه ، والمراد بتعمد الوزن هو : أن يقصد الوزن ابتداء ، ثم يتكلم مراعيا جانبه ، لا أن يقصد المتكلم المعنى وتأديته بكلمات لائقة من حيث الفصاحة في تركيب لتلك الكلمات توجيه للبلاغة ، فيستتبع ذلك كون الكلام موزونا ، أو أن يقصد المعنى ، ويتكلم بحكم العادة على مدرى كلام الأوساط ، فيتفق أن يأتي موزونا . وعند آخرين : أن ذاك ليس بواجب ، لكن يلزمه أن يعد كل لافظ في الدنيا شاعرا ؛ إذ ما من لافظ أن تتبّعْت ، إلا وجدت في ألفاظه ما يكون على الوزن ، أو ما ترى إذا قيل لباذنجاني : بكم تبع ألف باذنجانة ؟ فقال : أبيعها بعشرة عدليات . كيف تجد القولين على الوزن ؟ ... والمروي عن النبي عليه السلام أنه قال : من قال ثلاثة أبيات فهو شاعر ، شاهد صدق لِما ذكرنا ، لإفادته أن يمتنع تجويز عدم التعمد بالأبيات الثلاثة ، لا بد من كونها شعرا ، ومن كون قائلها شاعرا من تعمد ، دون قائل الأقل . فالشعر إذن : هو القول الموزون وزنا عن تعمد ، وأرى أن شيخنا الحاتمي ... كان يرى هذا الرأي . والرأي الأول حقه إذا سمي شعرا أن يسمى مجازا لمشابهته الشعر في الوزن ، ومذهب الإمام أبي اسحاق ... الشعر هو : ... أن يكون الوزن من الأوزان التي عليها أشعار العرب ، وإلا لا يكون شعرا ولا أرى أحدا تبعه في مذهبه هذا[1]" .

والمعنى من هذا النص الطويل المشبع بالتفصيل والتدليل ، أن الشعر هو كلام موزون مقفى ، قصَد صاحبه قول الشعر ، سائرا على أوزان العرب المعروفة.

وفي المغرب نجد :

-**عبد الكريم النهشلي** : يرى : أن العرب "رأت المنثور يندّ عليهم وينفلت من أيديهم ، ولم يكن لهم كتاب يتضمن أفعلهم تدبروا الأوزان والأعاريض ، فأخرجوا الكلام أحسن مخرج بأساليب الغناء فجاءهم مستويا ، ورأوه باقيا على مر الأيام ، فألفوا ذلك وسموه شعرا"[2] . فمفهوم الشعر عند

---

[1]-أبو يعقوب ابن أبي بكر محمد بن علي السكاكي ، مفتاح العلوم ، ضبط وكتب هوامشه وعلق عليه : نعيم زرزور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط2 ، 1987 ، ص 515 وما بعدها .

2- عبد الكريم النهشلي القيرواني ، الممتع في صنعة الشعر ، ، الممتع في صنعة الشعر ، تحقيق : محمد زغلول سلام ، منشأة المعارف ،الاسكندرية ، جلال حزى وشركاه ، (دط) ، (دت) ، ص19 .

النهشلي أعمّ ، لأنه يحدد أسباب ابتكاره ، وطُرقه ، وأهدافه . وقال "حبيب يذكر انتظام الشرف في الشعر وعقد القوافي بالمجد:

إنَّ القوافيَ والمسَاعِيَ لم تزَلْ مثل النظام إذا أصاب فَرِيدا
هي جوهر نثرٌ فإن أَلفته بالشعر صار قلائِدًا وعقودا
وتّنِدُّ عندهم العُلى إلا عُلًى جُعِلَتْ لَها مُرَرُ القصِيدِ عقُودا[1]"

-**ابن رشيق المسيلي** : رؤيته للشعر أكثر بساطة ودقة ، فهو تقريبا يدقق فيما أجمله أستاذه النهشلي يقول : "كل منظوم أحسن من كل منثور من جنسه في معترف العادة ، ألا ترى أن الدر – وهو أخو اللفظ ونسيبه ، وإليه يقاس ، وبه يشبه– إذا كان منثورا لم يؤْمَن عليه ، ولم يُنْتَفع به في الباب الذي له كُسِب ، ومن أجله انتُخِب ؛ وإن كان أعْلى قدرا وأغْلى ثمنا ، فإذا نُظِم كان أَصْوَن من الابتذال ، وأظهر لحُسْنه مع كثرة الاستعمال ، وكذلك اللفظ إذا كان منثورا تبدد في الأسماع ، وتدحرج عن الطباع ، ولم تستقر منه إلا المفرطة في اللفظ ، وإن كان أجمله ، والواحدة من الألف ، وعسى أن لا تكون أفضله ، فإن كانت هي اليتيمة المعروفة ، والفريدة الموصوفة ؛ فكم في سقط الشعر من أمثالها ونظائرها لا يعبأ به ، ولا ينظر إليه ، فإذا أخذه سِلْك الوزن ، وعقْد القافية ؛ تألفت أشتاته ، وازدوجت فرائده وبناته ، واتخذه اللابس جمالا ، والمدّخر مالا ، فصار قرطة الآذان ، وقلائد الأعناق ، وأماني النفوس ، وأكاليل الرؤوس ، يقلب بالألسن ، ويخبأ في القلوب ، مصونا باللب ، ممنوعا من السرقة والغصب[2]" .

ونجد صاحب النص قد أضاف سمة الجمال التي يضفيها كل من الوزن والقافية على الكلام ؛ إذ بفضله يغدو خالدا لا يعتريه فساد ، ويروق لكل من سمعه ، إذا لم نقل قد حفظه رغبة فيما به من عذوبة وانسياب وإيقاع وحكمة نظم ، وتميز عن النثر في السبك.

ونجد من خلال ما سبق من آراء أن الشعر في مفهومه هو نفسه لدى المشارقة والمغاربة على السواء ، إلا أن التعابير تختلف ووجهات النظر تتنوع ، والرأي بين سطح وعمق كلٌ حسب مِنظاره الخاص . وقد نجد الأمر مجملا عند **ابن منظــور** في معجمه لسان العرب يقول : الشعر "منظوم القول ، غلب عليه لشرفه بالوزن والقافية ... وسموا البيت الواحد شعرا ... وقال الأزهري : الشعر

---

[1]- تند : تنفر ، المرر : الحبال المحكمة ، م س، ص 30 .

[2]-ابن رشيق العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، م س ، ج1، ص 19-20 .

القريض المحدود بعلامات لا يجاوزها ، والجمع أشعار ، وقائله شاعر لأنه يشعر ما لا يشعر غيره أي يعلم ... والجمع شعراء ...[مثل قولهم] :

شَعَرْتُ لَكُمْ لِمَّا تَبَيَّنْتُ فَضْلَكُمْ عَلَى غَيْرِكُمْ ما سائِرُ النَّاسِ يَشْعُرُ

وسمي الشاعر شاعرا لفطنته ... وقد قالوا : كلمة شاعرة أي قصيدة ... وفي الحديث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن من الشعر لحِكمة ، فإذا ألبس عليكم شيء من القرآن فالتمسون في الشعر فإنه عربي[1]" .

وعليه فالشعر جملة متميز عن النثر كونه ، نابع عن شعور شخص فائق الذكاء ، دقيق الملاحظة ، يصبه في قالب حدوده الوزن والقافية ، وهي علامات تبعده عن عالم الكلام البسيط الساذج الذي يتعامل به عامة الناس . وهو أيضا علم لا يؤتى للجميع ، كما أنه يدوم لاشتماله على محاسن القول كالحِكمة خاصة ، وهو أيضا خزانة العربي التي يودع فيها أخباره حتى لا تضيع . فالشعر بهذه الحدود هو أفضل ما مُني به العربي من نعم الله ، وهو وسامه الذي يشرّفه بين الأمم ، وعنوانه الذي يعرف به.

5-قضية الانتحال وتأصيل الشعر
(نماذج نصية من المشرق والمغرب والأندلس)

قبل التطرق إلى الانتحال كقضية نقدية خاض فيها الكثير من النقاد وعلماء اللغة ، نحاول معرفة مفهومها لغويا . جاء في لسان العرب **لابن منظور** : "انْتَحَلَ فلانٌ شعر فلان أو قول فلان إذا ادعاه أنه قائله ، وتنحله : ادّعاه وهو لغيره ...قال ابن هَرْمة :

وَلَمْ أَتَنَحَّلِ الأَشعارَ فِيها وَلَمْ تُعْول جِزْيِيَ المِدَحُ الجِيادُ

... ونَحَلْتُهُ القَولَ يَنْحَلُهُ نَحْلاً بالفتح : إذا أَضَفْت إليه قولا قاله غيرُه وادعيته عليه ... قال الأعشى في الانتحال :

فَكَيْفَ أَنا وانْتِحالي القوا فِ بَعْدَ المَشيبِ كفَى ذاكَ عارا!

---

[1]-عبد الله محمد بن المكرم بن أبي الحسن بن أحمد الأنصاري (ابن منظور) ، لسان العرب ، م س ، ص2273-2274.

وقال الفرزدق:

إذا ما قُلتُ قافيةً شَرُوداً تَنَحَّلَها ابنُ حَمْراءِ العِجانِ

... وكان بُشَير بن أُبَيْرق يقول الشعرَ ويهجو به أصحاب النبي (ص) وينحَلُه بعض العرب ، أي ينسبه إليهم من النحلة وهي النِّسبة بالباطل"[1] .

من خلال المفهوم الذي جاء عند ابن منظور ، نجد أن الظاهرة متعلقة بالقول ، سواء أكان قولا بسيطا أو شعرا منظوما . وهي عار لدى العربي ، وعيب من عيوب الشعر . لأن الشعر مفخرتهم وأكثر ما يعتدّون به في حياتهم .

هذا عن المفهوم ، أما عن الظهور فقد كان في عصر التدوين حين عاد النقاد إلى ما وَرَد إليهم من تاريخ الأدب ، فوجدوا أن بعض الأشعار قد نُسبت لغير أصحابها ، وأن بعض الشعر قد أُلّف وليس له وجود . وكان أبرز من خاض في هذه القضية **ابن سلام الجمحي** في كتابه طبقات فحول الشعراء ؛ إذ أنه أول النقاد الذين عادوا إلى النصوص المدوّنة وعمل على تمحيصها ، وكان أن رأى سبب ذلك" عاملين : عامل القبائل التي كانت تتزيّد في شعرها لتتزيد في مناقبها ، وعامل الرواة الوضاعين ... فالقبائل كانت تتزيد في أشعارها وتروي على ألسنة الشعراء ما لم يقولوه ... [وكان] الرواة من مثل أبي عبيدة ... يراجعون ما ترويه القبائل ، و... يرفضون منه ما يتبين لهم زيفه ، إما بالرجوع إلى أصول صحيحة أو إلى أذوافهم ، وما يحسنون من نقد الشعر ، ومعرفتهم بالشاعر ونظمه"[2] .

يقول : "كان ممن هجّن الشعر وأفسده وحمل كل غثاء محمد بن إسحاق مولى آل مخرمة بن المطلب بن عبد مناف ، وكان من علماء الناس بالسِّير ، فنقل الناس عنه الأشعار ، وكان يعتذر منها ويقول : لا علم لي بالشعر وإنما أوتى به فأحمله ، ولم يكن ذلك عُذرا . فكتب في السير من أشعار الرجال الذين لم يقولوا شعرا قط ، وأشعار النساء ، فضلا عن أشعار الرجال ، ثم جاوز ذلك إلى عادٍ وثمود ، أفلا يرجع إلى نفسه فيقول : من حمل هذا الشعر ؟ ومن أدّاه منذ ألوف السنين ؟ والله يقول : أنه أهلك عادا الأولى وثمود فما أبقى ، وقال في عاد : {فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَة} ، وقال : {وَعَادا وَثَمُود والذِينَ مِنْ بَعْدِهِم فِي جَهَنَّم ...} . قال يونس بن حبيب : أول من

---

[1]- ابن منظور ، لسان العرب ، م س ، مادة (نحل) ، ص 4369-4370.

[2]-شوقي ضيف ، تاريخ الأدب العربي ، العصر الجاهلي ، ط 11 ، دار المعارف ، القاهرة ، (دت) ، ص 164-165.

تكلم بالعربية إسماعيل بن إبراهيم . وأخبرني يونس عن أبي عمرو قال : العرب كلها ولد اسماعيل إلا حمير وبقايا جرْهم ، وكذلك يروي أن اسماعيل جاوَرَهم ، وأصهر إليهم ، ولكن العربية التي عن محمد بن علي هو اللسان الذي نزل به القرآن . وقال أبو عمرو بن العلاء : ما لسان حمير وأقاصي اليمن بلساننا ، ولا عربيتهم بعربيتنا[1]".

وفيه تفسير للظاهرة ؛ حيث يذكر ابن سلام أول من ظهرت عنده ، وكيف أوجدها ، والدليل على عدم صحة ما جاء به .

ويقول عن أسباب هذه الظاهرة : "فصّلنا الشعراء من أهل الجاهلية والإسلام والمخضرمين فنزّلناهم منازلهم ، واحتججنا لكل شاعر بما وجدنا له من حجة ، وما قال فيه العلماء. قال عمر بن الخطاب : كان الشعر عِلم قوم لم يكن لهم عِلم ...منه ، فجاء الإسلام فتشاغلت عنه العرب ، وتشاغلوا بالجهاد ، وغزو فارس والروم ، ولهِيَت عن الشعر وروايته ، [وعند مجيء] ... الاسلام و... الفتوح ، واطمأنت العرب بالأمصار ، راجعوا رواية الشعر فلم يئلوا إلى ديوان مُدَوَّن ، ولا كتاب مكتوب فألَّفوا ذلك، وقد هَلَك من العرب من هلك بالموت والقتل ، فحفظوا أقل ذلك ، وذهب عنهم منه أكثره ... قال يونس بن حبيب : قال عمرو بن العلاء : ما انتهى إليكم مما قالت العرب إلا أقلّه ، ولوجاءكم وافِرا لجاءكم عِلم وشعر كثير . ولم يكن لأوائل العرب من الشعر إلا الأبيات يقولها الرجل في حادثة ، وإنما قُصِّدَت القصائد وطُوِّل الشعر على عهد عبد المطلب وهاشم بن عبد مناف ، وذلك يدل على إسقاط عاد وثمود وحمير وتتبّع من قديم الشعر الصحيح[2]" . و "لما راحت العرب رواية الشعر وذكر أيامها ومآثرها استغل بعض العشائر شعر شعرائهم ، وما ذهب من ذكر وقائعهم ، وكان قوم قلّت وقائعهم وأشعارهم وأرادوا أن يلحقوا بمن له الوقائع والأشعار ، فقالوا على ألسن شعرائهم ، ثم كانت الرواة بعد فزادوا في الأشعار ... وليس يُشْكِل على أهل العلم زيادة ذلك ، وما وضع المولدون"[3] .

ويذكر ابن سلام ، أن ليس صاحب السيرة فقط من يذكر الشعر المنتحل فقط ، بل أن شخصية أخرى أيضا تفعل ذلك ، يقول : "أخبرني أبو عبيدة أن داود بن متمم بن نويرة قدم

---

[1]-ابن سلام الجمحي ، طبقات فحول الشعراء ، م س ، ص 28-29 .

[2]-م س ، ص 33 وما بعدها .

[3]-م ن ، ص 39 .

البصرة ... فنزل النحيت، فأتيته أنا وابن نوح فسألناه عن شعر أبيه متمم ، وقمنا له بحاجته .... فلما نفذ شعر أبيه جعل يزيد في الأشعار ، ويضعها لنا ، وإذا كلام دون كلام متمم ، وإذا هو يحتذي على كلامه فيذكر المواضع التي ذكرها متمم والوقائع التي شهدها ، فلما توالى ذلك علمنا أنه يفتعله"[1] .

وكذلك حمّاد الرّاوية يقول : "كان أول من جمع أشعار العرب وساق أحاديثها حماد الراوية ، وكان غير موثوق به ، كان ينتحل شعر الرجل غيره ويزيد في الأشعار"[2] .

ومسألة الانتحال هذه لا ينتبه إليها إلا جهابذة النقد ومحترفيه ، فهم بعلمهم بالأدب وتاريخه وفنونه يستطيعون تمييز صحيحه من فاسده ، وحقيقيّه من زائِفه ، وأصيله من مفتعِله.

6-قضية الفحولة عند النقاد
(نماذج نصية من المشرق والمغرب والأندلس)

لا بد لكل فن من أول وآخر ، وكان للشعر أربابه الذين فتقوا أكمام اللغة ، وأجادوا حتى أصبح الشعر لا يُذكر إلا ذُكِروا . وقد لُقّبوا بالفحول لمّا أبدعوا وأجادوا وانمازوا .

1-المفهـــوم : إذا بحثنا عن مفهـــوم الفحولة ، وجدناه في لسان العرب بمعنى "الشعراء ... الذين غلبوا بالهجاء مَنْ هاجاهُم مثل (جرير والفرزدق) وأشباههما ، وكذلك كل من عارَض شاعرا فغلب عليه مثل (علقمة بن عَبدَة) ، وكان يسمى فحلا لأنه عارض امرأ القيس في قصيدته التي يقول في أولها:

خليليّ مُرَّا بِي على أمِّ جُنْدَبٍ

بقوله في قصيدته:

ذَهَبْتَ مِنَ الهِجْرانِ في غيرِ مَذْهَبِ

---

[1]-م س ، ص39-40 .

[2]-م ن ، ص 10 .

وكل واحد منهما يعارض صاحبه في نعت فرسه ، ففُضِّل علقمة عليه ، ولُقِّب الفحل ، وقيل سمي علقمة الشاعر الفحل ، لأنه تزوج بأم جندب حين طلّقها امرؤ القيس لمّا غلبه في الشعر[1]" .

وقال **أبو حاتم** : "قلت ما معنى الفحل ؟ قال : يريد أن له مزية على غيره ، كمزية الفحل على الحِقاق"[2] . وقال الأصمعي : وبيت جرير يدلك على ذلك ، ثم أنشد :

وابنُ اللبونِ إذا ما لُزّ في قَرَنٍ لم يستطعْ صَولةَ البُزْل القناعيسِ[3]"

تنازع هذه القضية (الفحولة) شعراء ونقاد كثيرون أمثال : (عمر بن الخطاب ، والفرزدق ، ولبيد ، والجمحي ، وعبد الكريم النهشلي) وغيرهم ، وكلٌ قد احتكم إلى ما تُمليه عليه نظرته إلى الشعر والشعراء ، فكان لكثرة الشعر حينا ، ولكثرة الأغراض حينا آخر ، ولطول القصائد أحيانا . ومن أمثلة أقوال هؤلاء:

قال **ابن أبي الخطاب** "أن أبا عمرو كان يقول : أشعر الناس أربعة : امرؤ القيس ، والنابغة ، وطرفة ، ومهلهل... وقال **العلماء بالشعر** : إن امرأ القيس لم يتقدم الشعراء لأنه قال مالم يقولوا ، ولكنه سَبَق إلى أشياء فاستحسنها الشعراء واتبعوه فيها : ... [فهو] أول من لطّف المعاني ، واستوقف على الطلول ، ووصف النساء بالظباء والمها والبيض ، وشبّه الخيل بالعقبان والعصي ، وفرق بين النسيب وما سواه من القصيد ، وقرّب مأخذ الكلام ؛ فقيّد الأوابد وأجاد الاستعارة والتشبيه[4]".

وتلخيص معاني الفحولة جاء في قول **أدونيس**، الفحولة هي :

-الحظوة ، أي المنزلة والمكانة بين الناس والشعراء ،

-السبق ، أي الإبداع ،

-الأخذ من قوله ، أي الإعجاب به ، ومحاولة تقليده ،

---

[1]-ابن منظور ، لسان العرب ، م س ، ص 3358 .

[2]-أبو حاتم السجستاني ، فحولة الشعراءpdf ، . الحقاق : جمع حق ، وهو ما دخل من الإبل في السنة الرابعة وأمكن ركوبه والحمل عليه . الموشح للمرزباني ص 63 .

[3]- ابن اللبون : كناية عن الصغير الضعيف ، والقرن : الحبل ، القناعيس : الشداد ، والبزل : التي ظهر نابها . المرزباني ، الموشح ، م س ، ص 63.

[4]-ابن رشيق ، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، ج1 ، م س ، ص 97-94 .

-اتباع مذهبه[1] ، أي يصبح مدرسة يُتتلمذ عليه.

وجاء **للجاحظ** تصنيف الشعراء إلى أربعة **طبقات** بقوله : "الشعراء عندهم أربع طبقات : فأولهم الفحل الخَنذيذ ، والخنذيذ هو التام ... ودون الفحل الخنذيذ الشاعر المفلّق ، ودون ذلك الشاعر فقط ، والرابع الشعرور ... و[قيل] في هجاء بعض الشعراء:

يَا رَابِعَ الشعراءِ فيمَ هَجوْتَني وزَعَمْتَ أنِّي مُفْحَم لا أنْطِقُ

فجعله سكّيتا مخلّفا ومسبوقا مؤخرا . وقال العبسيّ:

دَعَوْتُ بَني سَعْدٍ إليَّ فَشَمَّرَ خَناذيذُ مِنْ سَعْدٍ طِوالُ السَّواعِدِ

وكان **زهير بن أبي سلمى** يسمي كبار قصائده الحوليات . وقد فسر سويد بن كِراع العكْلي [ذلك] بقوله :

أبيتُ بأبْوابِ القوافي كأنّمَا أُصادِي بها سرْبًا مِنَ الوَحْشِ نُزَّعا
أُكَالئُها حتّى أُعــرِّسُ بعدما يكونُ سَحِيراً أو بُعيدًا فَأَهْجَعا
عَواصِيَ إلاَّ ما جَعلْتُ أمامَها عَصا مِرْبدٍ تغشَى نُحُوراً وأذْرُعا
أهَبْـتُ بِغُرِّ الآبِداتِ ورَاجَعَتْ طريقًـا أمَلّتْهُ القصــائدُ مِهْيعَا
بعيــدةَ شأْوٍ لا يكـادُ يرُدُّها لهــا طالِبٌ حتّى يَكِــلّ ويظْلعا
إذا خِفْتُ أنْ تَرْدَى عليّ رَدَدْتُها وراءَ التّرَاقي خَشْيةَ أنْ تَطلَّعا
وجشَّمَني خوفُ ابنِ عفَّانَ رَدَّها فثقَّفتُها حَــوْلاً جريداً ومَرْبعا
وَقَدْ كانَ في نفسي عليها زيادَةٌ فلمْ أرَ إلاّ أنْ أُطيعَ وَأسْمعا[2]"

وقال **القرشي** : "هذا كتاب جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام الذين نزل القرآن بألسنتهم ، واشتقّت العربية من ألفاظهم ، واتخذت الشواهد في معاني الحديث من أشعارهم ، وأُسندت الحكمة والآداب إليهم ... ؛ وذلك أنه لما لم يوجد أحد من الشعراء بعدهم إلا مضطرا إلى الاختلاس من

---

[1]-وليد عثماني ، مفهوم الفحولة وموضوعاتها في الشعرية العربية القديمة (دراسة تحليلية) ، مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الأدب العربي تخصص شعرية عربية ، إشراف : إسماعيل زردومي ، جامعة الحاج لخضر باتنة ، كلية الآاب والعلوم الإنسانية ، 2008-2009 ، ص 44 ، عن أدونيس ، الثابت والمتحول بحث في التباع والابداع عند العرب ، دار الفكر ، ط5 ، 1986 ، ج2 ، ص 40.

[2]-أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، البيان والتبيين ، م س ، ج2 ، ص 241-242 .

محاسن ألفاظهم ، وهم إذ ذاك مكتفون عن سواهم بمعرفتهم . وبعدُ فهُم فحول الشعراء الذين خاضوا بحره ، وبَعُد فيه شأوهم ، واتخذوا له ديوانا كُثرت فيه الفرائد عنهم ؛ ولولا أن الكلام مشترك لكانوا قد حازوه دون غيرهم[1]" .

وكما نرى أن كل ناقد له معياره في الاحتكام إلى الفحل من الشعراء ، ولا يمكن حصر آراء هؤلاء بل هي كثيرة لا تُعدّ ولا تُحصى . ويمكن جمع مصطلحات الفحولة لديهم في (الفحول ، وأشعر الشعراء ، والسبّاقون ، والجمهرة ، وأهل الحظوة ، والطبقة الأولى ، وأصحاب مذهب) ، وكلها تُجمع تحت لفظ (الفحول).

2-معايير تصنيف الفحول :تختلف معاير التصنيف حسب كل ناقد وكل عصر ، وسنورد فيمايلي أعمَّها[2]:

-الاختراع : قال ابن قتيبة : "وقد سبق امرؤ القيس إلى أشياء ابتدعها واستحسنها العرب ، واتبعه عليها الشعراء من استيقافه صحبه في الديار ، ورقة النسيب ، وقرب المأخذ[3]" .

-الزمن : يقول **الأصمعي** أن الجاهلية هي زمن الفحول : "طريق الشعر هو طريق شعر الفحول مثل امرئ القيس وزهير والنابغة[4]". وقال **ابن سلام الجمحي** : "الطبقة الأولى : امرؤ القيس ... ونابغة بني ذبيان ، وزهير بن أبي سلمى ، والأعشى[5]" .

-الكم الشعري : قال **الأصمعي** عن ثعلبة بن صعير المازني : "لو قال ... مثل قصيدته خمسا كان فحلا " [6] .

---

[1]-أبو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي ، جمهرة أشعار العرب ، م س ، مجلد 1 ، ص 15-16.

[2]-سمية بوجرة ، الشواهد الشعرية في كتابة الموازنة للآمدي (مقاربة نقدية) ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير ، إشراف : مصطفى درواش ، جامعة مولود معمري ، تيزي وزو ، قسم الأدب العربي ، تخصص نقد وبلاغة ، 2011.

[3]-ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ، م س ، ص 110 .

[4]-المرزباني ، الموشح ، م س ، 1995 ، ص 78.

[5]-ابن سلام ، الطبقات ، م س ، ص41 .

[6]-أبو حاتم السجستاني ، فحولة الشعراء ، م س .

-تعدد الأغراض : الذي جعل الأعشى يتقدم في طبقته حسب **الأصمعي وخلف** أنه "قال في كل عَروض ، وركب كل قافية"[1] ، وكان "لكُثير في التشبيب نصيب وافر ، وجميل مقدم عليه في النسيب ، وله في فنون الشعر ما ليس لجميل" [2] .

-جودة التشبيه : يعدّ التشبيه أول مرتبة من حيث الصور الشعرية في النقد اللغوي ، يقول **أبو بكر الجرجاني** : "قيل ... أكان ذو الرمة شاعرا متقدما ؟ فقال : أجمع العلماء بالشعر أن الشعر وضع على أربعة أركان : مدح رافع ، أو تشبيه مصيب ، أو فخر سامق ، وهذا كله مجموع في جرير والفرزدق والأخطل ، فأما ذو الرمة فما أحسن قط أن يمدح ، ولا أحسن أن يهجو ، ولا أحسن أن يفخر، يقع في هذا كله دونا ، إنما يُحْسِن في التشبيه فهو ربع شاعر[3]" .

-جودة المقول : قال **الأصمعي** : "طريق الشعر إذا أدخلته في باب الخير لان ، ألا ترى أن حسان بن ثابت كان علا في الجاهلية والإسلام ، ولما دخل الشعر في باب الخير من مراثي رسول الله [ص] وحمزة وجعفر رضوان الله عليهم وغيرهم لان شعره[4]" .

-المعاني : يقول **حازم القرطاجني** : "مراتب الشعراء فيما يجمعون به من المعاني إذن أربعة : اختراع واستحقاق وشركة وسرقة ، فالاختراع هو الغاية في الاستحسان ، والاستحقاق تال له ، والشركة منها ما يساوي الآخر فيه الأول ، فهذا لا عيب فيه ، ومنها ما ينحط فيه الآخر عن الأول ، فهذا معيب ، والسرقة كلها معيبة ، وإن كان بعضها أشد قبحا من بعض"[5] .ومن أمثلة الاستحقاق : أن "زاد المتأخر على المتقدم زيادة في المعنى مع تحسين اللفظ ، وقد استحق المعنى عليه كما استحق الطرماح معنى النابغة حين زاد عليه في قوله :

من وحشٍ وَجْرَةٍ وَحشيّ أكارِعه طاوي المصير كسيفِ الصيْقل الفردِ

[قال الطرماح :]

---

[1]-م س .

[2]-ابن سلام الجمحي ، طبقات فحول الشعراء ، ص 168 .

[3]-المرزباني ، الموشح ، ص 206 .

[4]-م ن ، ص 81 .

[5]-أبو الحسن حازم القرطاجني ، منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، تقديم وتحقيق : محمد الحبيب ابن الخوجة ، ط3 ، دار العرب الإسلامي ، 1986، ص196 .

يبدو وتَضمِرهُ البــلادُ كأنــه سيفٌ على شــرف يُســلُّ ويُغْمَدُ

فزاد عليه الطرماح أن جعله مسلولا في حال ظهوره مُغمدا في حال إضمار البلاد له"[1].

-الرواية : يقول **الأصمعي** : "لا يصير الشاعر في قريض الشعر فَحْلا حتى يروي أشعار العرب ، ويسمع الأخبار ، ويعرف المعاني ، وتدور في مسامعه الألفاظ ، وأول ذلك أن يعلم العروض ليكون ميزانا له على قوله ، والنحو ليُصلح به لسانه وليقيم به إعرابه ، والنّسب وأيام الناس ليستعين بذلك على معرفة المناقب والمثالب وذكرها بمدح أو ذم . وقد كان الفرزدق على فضله في هذه الصناعة يروي للحطيئة كثيرا ، وكان الحطيئة راوية زهير ، وكان زهير راوية أوس بن حجر وطفيل الغنوي جميعا ، وكان امرؤ القيس راوية أبي دؤاد الإيادي مع فضل تحيزه ، وقوة غريزته"[2] . وبالتالي حسب الأصمعي فإن الفحولة لا تأتي من جراء الموهبة وحسب ، بل لا بد من الدُّرْبة والأخذ من كل علم بطرف . وبالتالي فالشعر علم لا يأتيه إلا بارع .

و"سئل رؤبة عن الفحل من الشعراء ، فقال : هو الرَّاوِية ... قال **ابن حبيب** : لأنه جمع إلى جيد شعره معرفة جيد شعر غيره ، فلا يحمل نفسه إلا على بصيرة . وقال رؤبة في وصف شاعر : لقد خشيتُ أن يكون ساحرا ... وكان امرؤ القيس راوية أبي دؤاد الإيادي مع فضل بصيرته وقوة غريزته ، وكان زهيرا راوية أوس بن حجر ... وكان الحطيئة راوية زهير ، وكان الفرزدق على فضله راوية للحطيئة ... وكان كثير راوية جميل ، ولم يكن بدون الفرزدق وجرير ، بل كان يقدّم عليهما عند أهل الحجاز ، ولا يستغني عن تصفح أشعار المحدثين المجيدين ، لما فيها من حلاوة اللفظ ، وقرب المأخذ ، وإشارات المُلَح، ووجوه البديع ، وأن يكون متصرفا في أنواع الشعر ، من جد وهزل ، وحلو وجزل ، ومدح وهجاء ورثاء وافتخار واعتذار ، فإن كان كذلك لم يُمَلْ فيحكم له بالشرف والتقدم[3]" .

وعن **ابن خلدون** أن الرِّواية تورّث المَلَكة يقول : "إن حصول ملكة اللسان العربي إنما هو بكثرة الحفظ من كلام العرب ، حتى يرتسم في خياله المنوال الذي نسجوا عليه تراكيبهم ... فيتنزل

---

[1]-م س ، ص 196 .

[2]-ابن رشيق ، العمدة في محاسن الشعرpdf ، .

[3]-ضياء الدين بن الأثير ،المثل السائر ، م س ، ص 44 .

بذلك منزلة من نشأ معهم وخالط عباراتهم في كلامهم حتى حصلت له الملكة المستقرة في العبارة عن المقاصد على نحو كلامهم"[1] .

-جريان المعاني مجرى العُرْف : لم يُجِز الناقد اللغوي للشاعر المحدَث الخروج عن المعاني التي اعتاد تكرارها في شعر الفحول في أثناء روايتهم لهذا الشعر أو مخالفة العرف الاجتماعي ، ومثاله "قول الأعشى:

كَأَنَ مِشْيَتَهَا مِنْ بَيْتِ جَارَتِهَا مَرُّ السَحابَةِ لاَ رَيْثٌ ولا عَجَلُ

...[فقد] جعلها خرَّاجة ولاَّجة ، هلا قال كما قال الآخر :

ويُكْرِمُهَا جَارَاتُهَا فَيَزُرْنَهَا وَتَعْتَلُ عَنْ إِتْيَانِهِنَّ فَتُعْذَرُ[2]" .

وقال **قدامة بن جعفر** : "من عيوب معاني الشعر مخالفة العُرْف ، والإتيان بما جرى في العادة والطبع مثل قول المرّار :

وخالٍ على خدّيكِ يبدو كأنّه سَنا البدرِ في دعجَاءَ بادٍ دُجُونُها

فالمتعارف المعلوم أن الخيلان سود أو ما يقاربها في ذلك اللون ، والخدود الحسان إنما هي السَّبغى وبذلك تُنْعت ، فأتى هذا الشاعر وقلب المعنى[3]" .

-الإيجاز : يقول البحتري :

والشِّعْرُ لَمْحٌ تكفي إشَارَتُهُ ولَيْسَ بالهَذْرِ طُوِّلَتْ خُطَبُهُ[4]

-الأبيات الجياد : كقول **ابن سلام الجمحي** "والمقلَّد : البيت المستغني بنفسه ، المشهور ، الذي يضرب به المثل [ويضرِب لذلك مثلا بقول الفرزدق] :

فَيَــا عَجَبًا حَتّى كُلَيْبٌ تَسُبُّنِي كَأَنَّ أبــاها نَهْشَلٌ أو مُجَاشِعُ

وكُنَّا إذا الجَبَّارُ صَعَّرَ خَــدَّهُ ضَرَبْنَــاهُ حَتَّى تَسْتَقِيمُ الأَخَادِعُ[5]" .

---

[1]-مقدمة ابن خلدون ، ضبط وشرح وتقديم ، محمد الاسكندراني ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، 2006 ، ص 514

[2]-المرزباني ، الموشح ، م س ، ص 65.

[3]-م ن ، ص 270.

[4]- ديوان البحتري ، عني بتحقيقه وشرحه والتعليق عليه : حسن كامل الصّيرفي ، ط3 ، دار المعارف ، القاهرة ، (دت) ، مجلد 1 ، ص 209 .

[5]-ابن سلام الجمحي ، طبقات فحول الشعراء ، م س ، ص 120 .

3-**نماذج من الشعراء الفحول** : يقول **ابن سلام** : "هم أربعة فحول شعراء ، موضعهم من الأوائل ... : طرفة بن العبد ، وعبيد بن الأبرص ، وعقمة بن عبدة ، ... وعدي بن زيد . فأما طرفة فأشعر الناس واحدة وهو قوله :

لخولة أطلالٌ ببرقمة ثهمد تَلوحُ كَبَاقي الوَشْم في ظاهِرِ اليدِ

وعبيد بن الأبرص قديم عظيم الذكر ، عظيم الشهرة ... [يقول] :

أَقْفَرَ مِنْ أَهْلِه مَلْجُوبِ فَالقُطبياتُ فالذُّنُوبُ

وعلقمة بن عبدة ، وهو علقمة الفحل ، [له] ثلاث روائع جياد لا يفوقهما شعر: ...

طَحَا بكَ قَلْبٌ في الحِسانِ طَرُوبُ بُعَيْدَ الشَّبابِ عَصْرَ حَانَ مَشِيبُ

وعدي بن زيد كان يسكن الحيرة ومراكز الريف ، فَلَانَ لِسانه ، وسَهُل منطِقُه ، فحمل عليه شيء كثير ، وتخليصه سديد ، وله أربع قصائد ... روائع مبرزات ، وله بعدهن شعر حسن . أولهن:

أَرَوَاحٌ مُوَدَعٌ أم بكل أتت فاعلمْ لأيّ حالٍ تصيرُ[1] .

وكما هو ملاحظ فالفحولة عند العرب عامة ونقادهم خاصة لا يحتكمون إلى معيار بعينه ، بل الجودة والكمال والتميّز والكثرة والإبداع ....إلخ كلها تجعل من الشاعر فحلا . والغرض أن العرب ترنو إلى كل ما يجعلها في نشوة وانبهار ؛ أي أن الباب مفتوح أمام الإبداع ، فهم يعشقون الجمال ، لتمتعهم بحس مرهف وذوق رفيع .

7-قضية عمـــود الشعـــــر:

دارت رحا النقد العربي حول قضية (عمود الشعر) أو ما يميز الشعر عن النثر ، أو ما يجعل الكلام مصنّفا ضمن خانة الشعر حسب ما اتفق عليه العرب وراموه ، ولا ينتسب قولٌ إليه إلا إذا جرى على عاداتهم الفنية . ونجد أن لكل ناقد معياره في تحديد هذه القضية ، وفيمايلي عرض لآراء بعض النقاد :

---

[1]-ابن سلام الجمحي ، الطبقات ، م س ، ص 58-59 .

-**الآمدي**: يذكر أن البحتري هو أنموذج يحتدى في عمود الشعر فيقول : "سئل البحتري عن نفسه وعن أبي تمام فقال : كان أَغْوص على المعاني [مني] وأنا أقْوَم بعمود الشعر منه[1]" .

-**علي بن عبد العزيز الجرجاني**: يقول "وكانت العرب إنما تفاضل بين الشعراء في الجودة والحسن بشرف المعنى وصحته ، وجزالة اللفظ واستقامته ، وتُسلّم السَّبق فيه لمن وصف فأصاب وشبه فقارب ، وبده فأغزر ، ولمن كثرت سوائر أمثاله وشوارد أبياته ؛ ولم تكن تعبأ بالتجنيس والمطابقة ، ولا تحفل بالإبداع والاستعارة ، إذا حصل لها عمود الشعر ونظام القريض"[2] .

وعليه فالشعر أو عموده عند هذا الناقد يتمثل في : (اللفظ ، والمعنى ، والوصف ، والتشبيه ، والبديهة ، والأمثال ، والتجديد ، والابتعاد عن التكلف) .

-**المرزباني** :يوافق هذا الناقد الجرجاني ، لكنه يزيد بتفصيل كل باب على حدى ، يقول : كان العرب : "يحاولون شرف المعنى وصحته ، وجزالة اللفظ واستقامته ، والفصاحة في الوصف ، وما اجتماع هذه الأسباب الثلاثة : كثرت سوائر الأمثال ، وشوارد الأبيات ، والمقارنة في البيئة ، والتحام أجزاء النظم ، والتآمها ، على تخير من لذيذ الوزن ، ومناسبة المستعار منه المستعار له ، ومشاكلة اللفظ للمعنى ، وشدة افتضائها للقافية حتى لا منافرة بينها ، فهذه سبعة أبواب هي عمود الشعر ، لكل باب منها معيار . فعيار المعنى أن يعرض على العقل الصحيح ، والفهم الثاقب ، فإذا انعطف عليه ، جنبنا القبول والاصطفاء مستأنسا بغرائبه ،خرج وافيا ، وإلا انتقص بمقدار شوبه ووحشه . وعيار اللفظ الطبع والرواية والاستعمال ، فما سلم مما يهجنه عند العرض عليها ، فهو المختار المستقيم ، وهذا في مفرداته وجملته مراعيا ، لأن اللفظة تستكرم بانفرادها ، فإذا ضامها ما لا يوافقها عادت الجملة هجينا . وعيار الإصابة في الوصف الذكاء ، وحسن التمييز ، فما وجدناه صادقا في الألوف ، مازجا في الرصوف ، يتعسر الخروج عنه ، والتبرؤ منه ، فذاك سيماء الإصابة فيه ... وعيار المقاربة في التشبيه الفطنة وحسن التقدير ، فأصدقه ما لا ينتقص عند العكس ، وأحسنه ما أوقع بين شيئين اشتراكهما في الصفات أكثر من انفرادهما ليبين وجه اللاشبه بلا علقة إلا أن يكون المقلوب

---

[1]-الآمدي ، الموازنة ، م س ، ج1 ، ص 12 .

[2]-علي بن عبد العزيز الجرجاني ، الوساطة بين المتنبي وخصومه ،تحقيق وشرح : محمد أبو الفضل إبراهيم ، وعلي محمد البجاوي ، طبع مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ، (دط) ، (دت) ،ص 23-24 .

من التشبيه أشهر صفات المشبه به وأملكها له ، لأنه حينئذ يدل على نفسه ويحميه من الغموض ... وقد قيل أقسام الشعر ثلاثة : مثل سائر ، ووجه شبه نادر ، واستعارة قريبة[1]" .

-**أبو إسحاق إبراهيم بن علي الحصري** : إن عمود الشعر عند هذا الناقد مرتكز على حسن اختيار اللفظ والمعنى ، والنظم ، والوزن ، والقافية ، والصورة يقول : إن"عيار التحام أجزاء النظم ، والتئامه على تخير من لذيذ الوزن ،الطبع واللسان ، فما لم يتعثر الطبع بأبنيته وعقوده ، ولم يتحسب اللسان في فصوله ووصوله ، بل استمرا فيه واستسهاله بلا ملال ولا كلال ، فذاك يوشك أن يكون القصيدة منه كالبيت ، والبيت كالكلمة تسالما لأجزائه ، وتقارنا ... وإنما قُلت على تخير من لذيذالوزن ، لأن لذيذه يطرب الطبع لإيقاعه ، ويمازجه بصفاته ، كما يطرب الفهم لصواب تركيبه ، واعتدال نظومه ، ولذلك قال حسان :

تغنّ في كل شعر أنت قائلا إن الغناء لهذا الشعر مسلما

وعيار الاستعارة الذهن والفطنة ، وملاك الأمر تقريب التشبيه في الأصل حتى يناسب المشبه والمشبه به ، ثم يكتفي فيه بالاسم المستعار لأنه المنقول مما كان له في الوضع إلى المستعار له . وعيار مشاكلة اللفظ للمعنى ، وشدةاحتفائهماللقافية طول الدربة ،ودوام المدارسة ، فإذا حكما بحسن التباس بعضهما ببعض ، لإيفاء في خلالها ، ولا نبوّ ولا زيادة وضعها ، ولا قصور ، وكان اللفظ مقسوما على رتب المعاني ، قد جعل الأحضى للأحضى ، والأحسن للأحسن ، فهو البريء من العيب ، وأما القافية فيجب أن تلون بالموعود به المنتظر، يتشوفها المعنى بردفه واللفظ بقسطه ، وإلا كانت قلقة في مقرها مختلفة لمستغن عنها"[2].

-**أبو علي المرزوقي**: لا يختلف المرزوقي عن النقاد السابقين ، فهو يؤيدهم في كل ما ذهبوا إليه دون مخالفة ، يقول : "إنهم كانوا يحاولون شرف المعنى وصحته ، وجزالة اللفظ واستقامته ، والإصابة في الوصف ... والمقاربة في التشبيه ، والتحام أجزاء النظم والتئامها على تخيّر من لذيذ الوزن

---

[1]-المرزباني ، الموشح ، م س ، ص 206.

2- أبو إسحاق إبراهيم بن علي الحصري القيروان ، زهر الآداب وثمر الألباب ، عارضه بمخطوطات القاهرة ، وحققه وضبطه وشرحه ووضع فهارسه : محمد علي البجاوي ، ط2 ، دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي وشركاه (دت) ، ج2 ، ص 11-12.

، ومناسبة المستعار منه للمستعار له ، ومشاكلة اللفظ للمعنى ، وشدة اقتضائهما للقافية حتى لا منافرة بينهما ... فهذه سبعة أبواب هي عمود الشعر "[1] .

ما يجعل الشعر لا يتغير عموده سواء تعلق الأمر بالأوائل أو من تبعهم ، فهو واحد ، وإن تغير أصبح الشعر غير شعر . ومنه فإن الشعر عند العربي عِلْمٌ لا بد من الالتزام بشروطه ، وتتبع أحكامه ، والسير على أساليبه . فهو إذن وَجَبَ تدريسه جيلا بعد جيل ، حتى يبقى الذوق العربي طابعا يطبع به ، والفن اللغوي العربي ميزة ينماز بها عن سائر الشعوب ، كما أن الشعر ديوان العربي يبقى أزليا تُتلمذ عليه الأجيال ، فهو سلسلة فنية تتعلق بالجنس العربي تعلق الجينات بسلالاتها.

-**حازم القرطاجني**: يتمثل عمود الشعر عنده في التخييل ، والمحاكاة ، والصدق ، والشهوة ، والإغراب . وتفصيلها في قوله : "الشعر كلام موزون مقفى ، من شأنه أن يحبب إلى النفس ما قصد تحبيبه إليها ، ويكره إليها ما قصد تكريهه ، لتحمل بذلك على طلبه أو الهرب منه ، بما يتضمن من حسن تخييل له ، ومحاكاة مستقلة بنفسها أو متصورة بحسن هيأة تأليف الكلام . أو قوة صدقه أو قوة شهوته ،أو بمجموع ذلك ، وكل ذلك يتأكد بما يقترن به من إغراب ، فإن الاستغراب والتعجب حركة للنفس إذا اقترنت بحركتها الخيالية قوى انفعالها وتأثرها[2]" .

فنجد أن عمود الشعر لدى حازم يشمل الشكل والمضمون ، فجانبه الشكلي : متمثل في (الوزن والقافية) وهو ما عبر عنه بالهيئة ، وجانبه المعنوي : يعني مطابقته لتجربة الشاعر ، وهو ما نعته بالصدق والابتعاد عن الكذب ، وجماليته تزداد عند الخروج عما ألفه الناس من تفنن ، وهو ما عبر عنه بالغرابة ، وجانبه التأثيريكون فيما يتركه في المتلقي من أثر وهو ما عبر عنه بالشهوة . وبالتالي فالقرطاجني قد ذهب بعيدا في توسيع ما يتصف به الشعر ، ليتجاوز النص إلى المتلقي ، وهو ما يدل على تضلع الرجل في ميدان الشعر علما وممارسة.

-**ابن حزم**: يرى أن الوزن أهم ما في الشعر ، وهو شرطه الأساسي مضافا إليه الاهتمام بلفظه ومعناه وصوره ، يقول : "يسمي الناس شعرا ما ضمته الأعاريض فقط ، أين ذكر ابن النديم في

---

[1]- أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي ، شرح ديوان الحماسة لأبي تمام، علق عليه وكتب حواشيه : غريد الشيخ ، ووضع فهارسه العامة : إبراهيم شمس الدين ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2004 1951 ، ص 9-10 .

[2]-حازم القرطاجني ، المنهاج ، م س ، ص 71.

كتابه . وأما في مستحسنه ومستقبحه فإلى أشياء اصطلح عليها ...الإكثار من روايته والاكباب على ... تنقية معانيه من لفظ عذب سهل، ومعنى جامع حسن ، وإصابة تشبيه ، وكناية مليحة ، ونظر بديع[1]" .

ومنه ، نستنتج أن كلا من نقاد المشرق والمغرب قد وضعوا للشعر حدودا ، ومعايير، وسمات ، إذا خُرِج عنها عدّ غير شعر ، وهي لا تتعلق بمبناه فقط ، بل تزيد عنه إلى ما يدور حوله من أبعاد ومرامي علمية ، وأخرى ثقافية .

8 : قضية اللفظ والمعنى عند نقاد المشرق العـربي (ابن قتيبة . وابن طباطبا . وقدامه بن جعفر)

شغلت قضية اللفظ والمعنى العديد من النقاد ك (الجاحظ ، وعبد القاهر الجرجاني) وغيرهما ، فكان أن ذهب الأول إلى أن المعاني مطروحة في الطريق ، وعارضه الثاني بأن محاسن القول تكمن في اختيار اللفظ وحسن السبك . ومن أمثلة من جمع بين الاثنين قول **ابن الأثير** (630هـ) : "اعلم أن العرب كما كانت تعتني بالألفاظ ، فتُصلحها وتُهذبها ، فإن المعاني أقوى عندها ، وأكرم عليها ، وأشرف قدرا في نفوسها[2]" .وفيمايلي عرض لأهم ما جاء في كتب النقد من آراء حول هذه القضية النقدية:

-**قال الجاحظ**: "قال بعض الربانيين من الأدباء وأهل المعرفة من البلغاء ممن يكره التشادق والتعمق ، ويبغض الإغراق في القول ، والتكلف والاجتلاب ، ويعرف أكثر أدواء الكلام ودوائه ، وما يعتري المتكلم من الفتنة بحسن لما يقول ،وما يعرض للسامع من الافتنان بما يسمع ، والذي للمعاني الخلابة وحسن المنطق، قال في بعض مواعضه : "أنذركم حسن الألفاظ ، وحلاوة مخارج الكلام ، فإن المعنى إذا اكتسى لفظا حسنا ، وأعاره البليغ مخرجا سهلا ، ومنحه المتكلم قولا متعشقا ، صار في

---

[1]-رسائل ابن حزم الأندلسي ، تحقيق : حسان عباس ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ط2 ، 1978 ، رسالة التقريب لحد المنطق ، ص 349-350.

[2]-محمد مربي الحارثي ، ابن قتيبة ونقد الشعر ، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير من قسم الدراسات العليا العربية ، فرع الأدب ، كلية الشريعة بالدراسات الإسلامية بمكة المكرمة ، إشراف : عبد الحكيم حسان عمر ، جامعة الملك عبد العزيز ، 1976 ، ص 77.

قلبك أحلى ولصدرك أملا ، والمعاني إذا كسيت الألفاظ الكريمة وألبست الأوصاف الرفيعة تحولت في العيون عن مقادير صورها، وأرتب على حقائق أقدارها ، بقدر ما زينت ، وعلى حسن ما زخرفت ، فقد صارت الألفاظ في معنى المعارض ، وصارت المعاني في معنى الجواري، والقلب ضعيف ، وسلطان الهوى قوي ... ، وقال عمر بن عبد العزيز لرجل أحسن في طلب ، فتأتى له بكلام وجيز ومنطق حسن : هذا والله السحر الحلال . وقال رسول الله (ص): ...[عليك] أن تحتنب السوقي والوحشي ، ولا تجعل همك في تهذيب الألفاظ ،وشغلك في التخلص إلى غرائب المعاني، وفي الاختصار بلاغ ،وفي التوسط مجانبة للوعورة ... قال الشاعر :

عليك بأوساطِ الأمور فإنها نجاةٌ فلا تزْكَبْ ذلولاً ولا صعبَا[1]" .

ويوافقه الجاحظ في ذلك قائلا : "أحسن الكلام ما كان قليله يغنيك عن كثيره ، ومعناه في ظاهر لفظه ، وكان الله عز وجل قد ألبسه من الجلالة ،وغشاه من نور الحكمة على حسب نية صاحبه وتقوى خالقه . فإذا كان المعنى شريفا واللفظ بليغا، كان صحيح الطبع ، بعيدا عن الاستكراه ، ومنزّها عن الاحتلال ، مصونا عن التكلف ، صنع في القلب صنيع الغيث في التربة الكريمة ، ومتى فصلت الكلمة على هذه الشريطة ، ونفذت من قائلها على هذه الصفة ، أصحبها الله من التوثيق ، ومنحها من التأييد ما لا يمتنع من تعظيمها صدور الجبابرة ، ولا يذهل عن فهمها عقول الجهلة . وقد قال عامر بن عبد القيس : الكلمة إذا خرجت من القلب ، وقعت في القلب ، وإذا خرجت من اللسان لم تتجاوز الآذان[2]".

وقد أضاف الجاحظ إلى حسن اللفظ وجودة المعنى ، النوايا الطيبة ؛ حيث أنه جل شأنه يأيد المتكلم ، فإذا حسنت نواياه حسنت نتائج قوله.

-**ابن طباطبا**: يأتي بالمأتى نفسه فيقول : "وللمعاني ألفاظا تشاكلها ، فتحسن فيها وتقبح في غيرها ، فهي لها كالمعرض للجارية الحسناء ، التي تزداد حُسنا في بعض المعارض دون بعض ، وكم من

---

[1]-الجاحظ ، البيان والتبيين ، ج1 ، م س ، ص 157-158 .

[2]-م ن ، ج1 ، ص 61 .

معنى حسن قد شينَ بمعرضه الذي أبرز فيه ، وكم من معرض حسن قد ابتُذل على معنى قبيح ألبسه[1]" .

-**قدامة بن جعفر** :يذكر الناقد ما يجعل اللفظ أو المعنى حسنا أو فاسدا بقوله : إن "نعت اللفظ سهولة مخرجه من موضعه ، وأن يكون عليه رونق الفصاحة ، وأن يخلو من البشاعة ... [وأما] وجوه الحسن في المعاني الشعرية وجماعها سبعة أمور : التقسيم ، وصحة المقابلة ، وصحة التفسير ، والتتميم ، والمبالغة ، والتكافؤ (الطباق) ، والالتفات ... وعيوب المعاني تجتمع في : فساد الأقسام ، وفساد المقابلات ، وفساد التفسير ، والاستحالة ، والتناقض ، ومخالفة العرف ، والإيتيان بما ليس في العادة والطبع ، ونسبة الشيء إلى ما ليس له ... وعيوب تنتج عند الاستئلاف مثل : الإخلال ، والحشو ، والبتر ، والتكلف"[2] .

وهو أوسع وأكثر تفسيرا مما سبقه من نصوص.

-**ابن قتيبة**: في كتابه (الشعر والشعراء) يعرض لأقسام الشعر في تقسيمها أربعة أقسام هي :

-"قسم جاد لفظه ومعناه كقول القائل :

في كَفِّه خَيزُرانٌ رِيحُه عَبِقٌ مِن كفّ أروعَ في عرنينِهِ شَمَمٌ

يُغنِي حباءً ويعضي مِن مَهابتِه فلا يُكلم إلاّ حينَ يبتسمُ

-وقسم جاد لفظه دون معناه كقول الشاعر :

ولمَّا قَضينا مِن منى كُل حَاجةٍ ومسَّح بالأركانِ مَن هُو ماسِحُ

-وقسم جاد معناه دون لفظه كقول لبيد :

ما عاتبَ الحرَّ الكريم كنفسِه والمرؤُ يُصلحه الجليسُ الصالحُ

[يقول] وهذا وإن كان جيد المعنى والسبك فإنه قليل الماء والرونق .

-وقسم تأخر لفظه ومعناه كقول الخليل بن أحمد :

---

[1]- محمد أحمد بن طباطبا العلوي ، عيار الشعر ، شرح وتحقيق عباس عبد الساتر ، مراجعة : نعيم زرزور ، ط2 ، دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان، 2005 ، ص 14 .

[2]-مصطفى عبد الرحمن إبراهيم ، في النقد الأدبي القديم عند العرب ، م س ، ص 192-193 ، عن : محمد السعدي فرهود ، نصوص نقدية لأعلام النقاد العرب ، طبعة دار الطباعة المحمدية ، الثامنة ، ص 47-48 .

إنَّ الخليطَ تَصدَّعْ فَطِرْ بدائِك أوقعْ[1]"

-**ابن الأثير**: يرى ابن الأثير أن اللفظ والمعنى رهينين للإحساس بهما ، يقول : "قيل : من أي وجه علم أرباب النغم والنثر الحسن من الألفاظ حتى استعملوه ، وعلم القبيح منها فينفوه ولم يستعملوه ، قلت : ... إن هذا من الأمور المحسوسة التي شاهدها من نفسها ، لأن الألفاظ داخلة في حيز الأصوات ، فالذي يستلذه السمع منها ويميل إليه هو الحسن ، والذي يكرهه وينفر عنه هو القبيح . ألا ترى أن السمع يستلذ صوت البلبل من الطير ، وصوت الشحرور ويميل إليهما ، ويكره صوت الغراب وينفر عنه ، وكذلك يكره نهيق الحمار، ولا يجد ذلك في صهيل الفرس[2]" .

ونجد الرأي أغلبه عند هؤلاء أن لا بد من تناسب كل من اللفظ والمعنى كي يخرج الكلام نقيا سهلا قريبا نبيلا مفهوما يلقى استحسان المتلقي فيتأثر له.

9-قضية اللفظ والمعنى عند نقاد المغرب العربي والأندلس
(ابن رشيق ، ابن شرف ، الحصري ، حازم)

لا يختلف الأمر عند نقاد المغرب والأندلس ، لأنه يعود إلى التعامل مع لغة واحدة هي (اللغة العربية) ، التي لها نظامها الخاص ، كما أن الذوق العربي ، والفن العربي منبعه واحد (شعراء المشرق العربي) ، والكتاب الحكيم (القرآن الكريم) ، فالمنطلق واحد ، والهدف واحد ، وبالتالي ستكون الوجهة واحدة . لكن ما يميز نقد المشرق عن المغرب أن الثاني قد بسط أصحابه ما أُجمِل ، وفككوا ما صعُب ، وزادوا ما رأوه ناقصا ، وأعطوا النقد صبغتهم التي بها صبغ فكرهم ، كما أن لعامل الزمن دور في تراكم المعارف ، مما يعطي فرصة أكبر للنظر والانتقاء والمقارنة والبسط ، فبدت على أيدي هؤلاء جلِية ، وهي كالآتي:

-**ابن رشيق**: عالج الرجل في كتابه (العمدة) قضية اللفظ والمعنى أيضا ؛ حيث وقف منها موقف الوسط ، جامعا لما تقدم من آراء وما تأخر قائلا : "اللفظ جسم روحه المعنى ، وارتباطه به

---

[1]-أحمد الشايب ، أصول النقد الأدبي ، م س ، ص 315-316 .

[2]-ضياء الدين بن الأثير ،المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، قدمه وحققه وعلق عليه : أحمد الحوفي ، وبدوي طبانة ، قسم 4 ، دار نهضة مصر للطبع والنشر الفجالة ، القاهرة ،(دت) ، ج1 ، ص 91 .

كارتباط الروح بالجسم ، يضعف بضعفه ويقوى بقوته . فإذا سلم المعنى واختل بعض اللفظ كان نقصا للشعر وهجنة عليه ، كما يعرض لبعض الأجسام من العرج والشلل والعور وما أشبه ، من غير أن تذهب الروح . وكذلك إن ضعُف المعنى واختل بعضه كان للفظ من ذلك أوفر حظ ، كالذي يعرض للأجسام من المرض بمرض الأرواح ، ولا نجد معنى يختل إلا من جهة اللفظ ، وجريه فيه على غير الواجب ، قياسا على ما قدمت من أدواء الجسوم والأرواح ، فإن اختل المعنى كله وفسد بقي اللفظ مَواتا لا فائدة فيه ، وإن كان حسن الطلاوة في السمع ، كما أن الميت لم ينقص من شخصه شيء في رأي العين ، إلا أنه لا ينتفع به ولا يفيد فائدة . وكذلك إن اختل اللفظ جملة وتلاشى لم يصح له معنى ؛ لأنا لا نجد روحا في غير جسم البتة"[1] .

وهو بذلك يبسط فكرة القوة اللغوية التي تستحوذ على القلوب والأسماع ، فيجعلها كامنة في اجتماعهما معا (اللفظ والمعنى) ، فكلاهما يدعم الآخر ولا غنى لأحدهما عن أخيه .

-**ابن شرف**: نظر الناقد للموضوع بطريقته قائلا : "إذا سمعت ألفاظا مستعملة وكلمات مبتذلة ، فلا تعجل باستضعافها حتى ترى ما في أضعافها ، فكم من معنى عجيب في لفظ غريب ،المعاني هي الأرواح ، والألفاظ هي الأشباح ، فإن حسُنا فذلك الحظ الممدوح ، وإن قبُح أحدهما فلا يكن الروح[2]" ؛ والمعنى أن "من الشعر ما يملأ لفظه المسامع ، ويرِد على السمع منه فقاقع ، فلا يرعك شماخة مَبْناه ، وانظر إلى ما في سُكْناه من معناه ، فإن كان في البيت ساكن فتلك المحاسن ، وإن كان خاليا فاعدده جسما باليا[3]" . وهذا دليل على مكانة اللفظ المتخير لديه ؛ إذ هو بمثابة البناء المتين ، والمعنى أيضا هو عمارة هذا البناء ، فبدون الحرص على جودته إفساد لما بُني ، فهو مكمّل للأول حتى يصلح الكلام عامة والشعر على وجه الخصوص .

-**أبو إسحاق الحصري**: يطرق هذا اللغوي قضية اللفظ والمعنى ، حين يتحدث عن إبداع بشار وأمثاله ؛ حيث بلغوا مرتبة عليا من التميز الأدبي يقول : "كان بشار أرق المحدثين ديباجة كلام

---

[1]-ابن رشيق ، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، م س ، ص 124 .

[2]- ابن شرف القيرواني ، مسائل الانتقاد ، pdf .

[3]-م ن .

، وسمي أبا المحدثين لأنه فتق لهم أكمام المعاني ، ونهج لهم سبيل البديع فاتبعوه"[1] . وقد "نبّه الأقدمون إلى الجانب الجديد في تصوير بشار... [ف] معنى الخفوق كثير جدا ، إلا أن بشارا أغرب بذكر الكرة [حين قال]:

جَفَتْ عَيْني عَنِ التَغْميضِ حتَّى كأَنَّ جفونَها عنها قِصارُ
كَأَنَ فُـؤادَه كُـــرَةٌ تَنـزَّى حِذارَ البَيْنِ لو نَفَعَ الحِذَارُ[2]

[ويبدع أيضا حين يقول] :

وبيضاء يَضْحَكُ ماءُ الشَبابِ في وَجْهِها لكَ إذْ تَبْتَسِمُ[3]

[ومن أمثلة التجديد أيضا والاهتمام بكلا قسمي الكلام (اللفظ والمعنى)] ... يستعطف ... العتابي الرشيد [مازجا] في تصويره بين (الصنعة المعنوية واللفظية) مزْج الفنان البصير بالألوان ومواطن الجمال ... يقول :

أتتركُني جَدْبَ المعِيشَةِ مُقْتِرًا وكَفَّاك مِنْ ماءِ النَّدَى ثَكِفان
وتجعلُني سَهْمَ المَطامِع بَعْدما بَلَلْتَ يَميني بالنَّدى ولِساني؟[4]

[و]يقول العباس بن الأحنف :

لما رأيت اللَّيْـلَ سَدَّ طَريقَهُ عَنِّي وعَـذَّبَني الظلامُ الرَّاكِـدُ
والنَّجْمُ في كَبِدِ السَّماءِ كأَنَّهُ أَعمـــى تحيّرَ ما لديه قائِدُ
ناديتُ مَنْ طردَ الرُّقادَ بِنَوْمِهِ عمَا ألاقي وهو خِلْوٌ هاجِدُ[5]

[ويتبعهما] أبو نواس [في الصنعة] متوسلا إلى جعفر بن الربيع"[6] :

أتُسلمني يا جعفَرَ بنَ أبي الفَضْلِ فَمَـــنْ لي إن أسلمتني يا أَبا الفَضْلِ

---

[1]-محمد مصطفى هدارة ، اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري ، ص 571 ، عن : أبي إسحاق الحصري القيرواني ، زهر الآداب وثمر الألباب ، نشر المكتبة التجارية ، القاهرة ، 1929 ، 119/2 .

[2]-م ن ، ص 573 ، عن : اختيار الخالديين ، المختار من شعر بشار ، نشر لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، 1934 ، ص 11.

[3]-م ن ، ص 574 ، عن : م ن ، ص 77.

[4]-م س ، ص 580 .

[5]-م ن ، ص 584 .

[6]-م ن ، ص 586 .

وأيُّ فتىً في الناس أَرجو مقامـهُ إذا أَنْـــت لم تَفْعَلْ وأَنت أخو الفَضْلِ

فقل لأبي العَبَّاسِ إن كنتُ مُذْنِبَـــا فأنـت أحقُّ الناس بالأَخْذِ بالفَضْل

ولا تجحدوني وُدَّ عشرينَ حِجَّةً ولا تُفسدوا ما كان مِنْكم مِنَ الفَضْل[1]

وهي نماذج تبرز مواطن الإبداع لدى الشعراء في كل من الألفاظ والمعاني . إبداعا تجاوزته إلى السبك فالنظم.

-**حازم القرطاجني**: يدقق حازم في قضية اللفظ والمعنى ، ويركز على الأول لأنه السبيل إلى الثاني يقول : "واعلم أن منزلة حسن اللفظ المحاكى به ، وإحكام تأليفه من القول المحاكى به ومن المحاكاة بمنزلة عتاقة الأصباغ ، وحسن تأليف بعضها إلى بعض ، وتناسب أوضاعها من الصور التي يمثلها الصانع . وكما أن الصورة إذا كانت أصباغها رديئة وأوضاعها متنافرة وجدنا العين نابية عنها غير مستلذة لمراعاتها ، وإن كان تخطيطها صحيحا . فكذلك الألفاظ الرديئة والتأليف المتنافر ، وإن وقعت بها المحاكاة الصحيحة فإنا نجد السمع يتأذى بمرور تلك الألفاظ الرديئة القبيحة التأليف عليها ، [ما] يشغل النفس ... عن التأثر لمقتضى المحاكاة والتخييل ، فلذلك كانت الحاجة في هذه الصناعة إلى اختيار اللفظ وإحكام التأليف أكيدة جدا"[2] .

وبتأكيد حازم على فكرة حسن السبك ، فهو يذهب بذلك أبعد من الحديث عن اللفظ الواحد ، بل هو بمنزلة الحديث عن النظام الذي يدخله اللفظ بمعية غيره من الألفاظ ، فهي ضرورة لا يُستغنى عنها أثناء الكلام ؛ إذ بدونها لا يحسن التواصل بين البشر ، فالنفس البشرية تنبو -بطبيعتها التي خلقها الله عليها- عن كل قبيح ، ناشز ، غير سليم ، فالألفاظ عنده هي أول مصافح للآذان فالأنفس . وإذا سدّت الألفاظ طريق المعاني إلى النفس فهي بذلك وقفت حاجزا أمام التواصل . ولا يتوقف حازم عند فكرة النظم وحسب ، بل يدقق أكثر حين يتحدث عن تخير اللفظ في حد ذاته يقول : "وأما ما يرجع إلى اللفظ مما يوقع في المعاني غموضا واشتكالا ، فمن ذلك أن تكون الألفاظ الدالة على المعنى أو اللفظة الواحدة منها حوشية أو غريبة ، فيتوقف فهم المعنى عليها ، والواجب على الشاعر أن يجتنب من هذا ما توغّل في الوحشية والغرابة ما استطاع حتى تكون دلالته على المعاني

---

[1]-ديوان أبي نواس ،برواية الصولي ، تحقيق : بهجت عبد الغفور الحديثي ، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث ، دار الكتب الوطنية ، ط1 ، 2010 ، ص 340 .

[2]-أبو الحسن حازم القرطاجني ، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، م س ، ج2 ، ص 199 .

واضحة وعبارته مستعذبة ، ومتى لزّه إلى شيء من ذلك إضطرار أمكنه أن يقرن باللفظة ما يُهتدي به إلى معناه من غير أن يكون ذلك حشوا، كان الأمر في ذلك أشبه"[1] . فحازم بذلك يعتبر الكلام هدايا متبادلة بين بني البشر ، فعلى كل مُهْدٍ أن يتخير هديته لصاحبه ، حتى تستقيم الأذهان والأنفس ، وهو أمر أخلاقي يحث عليه الإسلام.

ولا يتوقف حازم عند قضية اللفظ ونظمه وحسب ، بل يتعدى اهتمامه إلى المعنى أيضا قائلا : "أما الكمال في المعاني فباستيفاء أقسامها ، واستقصاء متمماتها ، وانتظام العبارات جميع أركانها ، حتى لا يَخَلّ من أركانها بركن ، ولا يُغْفل من أقاسمها قسم ، ولا يتداخل بعض الأقسام على بعض[2]" . وهو تنبيه إلى إقامة شروط النظم التي تحدث عنها عبد القاهر أي (النحو) مضافا إليها ما يقتضيه الفن من انتظام البناء في الأنفس كالإيقاع والمنطق وغيرهما . ومن الأمثلة التي يضربها لذلك : قوله "فمن المعاني التي وردت القسمة فيه تامةٌ صحيحة قول نصيب :

فقالَ فريقُ لاَ ، وقالَ فريقُهم نَعَمْ وفريقٌ قالَ ويحَـكَ ما نَدْري

ومن المعاني التي وقع التقسيم فيها تاما صحيحا قول الشماخ:

متَى ما تَقَعْ أرْساغُهُ مُطْمَئِنّةٌ على حَجَرٍ يرْفَضُ أوْ يَتَدَحْرَجُ

لأن الحجر إذا كان رخوا أرفض ، وإن كان صلبا تدحرج ، وليس لقائل أن يقول : إنه غادر قسما ثالثا وهو أن تكون الأرض رخوة فيسوخ الحجر فيها ، فإن الأرض إذا كانت بهذه الصفة لم يقع الحافر عليها وقوع اطمئنان واعتماد ، فبقوله مطمئنة صحت القسمة وكملت[3]" .

ويضيف أثناء حديثه عن فضل الربط بين الألفاظ والمعاني : "اعلم أن المنحى الشعري نسيبا كان أو مدحا أو غير ذلك ، فإن نسبة الكلام المنقول فيه إليه نسبة القلادة إلى الجيد ، لأن الألفاظ والمعاني كاللآلئ ، والوزن كالسلك ، والمنحى الذي هو مناط الكلام وبه اعتلاقه كالجيد له ، فكما أن الحلي يزداد حسنه في الجيد الحسن ، فكذلك النظم إنما يظهر حسنه في المنحى الحسن ، فلذلك وجب أن يكون من له قوة التشبّة المذكورة أكمل في هذه الصناعة ممن ليست له تلك القوة[4]". وهو بذلك

1-م س ، ص 184-185 .

2- م ن ،ص 154.

3-م ن ، ص 155-156 .

4-م ن ، ص 342 .

يجمع كل ما تقدم من شروط استقامة الشعر من (وزن ، وقافية ، ونحو ، وصرف ، وفن أدبي راق) تقبله النفس العربية الذواقة للكلام عامة والشعر خاصة ، وبكل هذه الجهود النقدية لهؤلاء النقاد وغيرهم –يضيق المقام لذكرهم– قد رُسم طريق المتكلم بطرفيه (فصاحة وبلاغة) . ومن اتبعها لا يظل عن هدفه أبدا (التواصل الصحيح الراقي) . وللبحتري بيت يجمع كل ما سبق يقول :

واللَّفظُ حَلْيُ المعْنَى ، ولَيْسَ يُرِيـ ـكَ الصُّفرُ حُسْنًا يُرِيكَهُ ذَهَبُهْ[1]

10–قضية الصدق
نماذج نصية من (المشرق والمغرب والأندلس)

عرفت قضية الصدق والكذب في النقد العربي اهتماما كبيرا ؛ حيث عدّ النقاد الصدق ضرورة من ضرورات الشعر ، وعدّ آخرون الكذب أساسا له على حد قول بعضهم: "أحسن الشعر أكذبه"[2] . ومعنى الصدق –حسب سعد اسماعيل شلبي– "الاتزان ، والتزام الحقيقة بصفة عامة ، ولا نعني به مطابقة الخبر للواقع –كما يقول المناطقة– فتلك حقيقة علمية ، تعصف بالفن وتقتلع جذوره التي تنبع من المشاعر والعواطف ، وللمشاعر والعواطف منطق خاص يختلف عن منطق المفكرين ... ذلك لأن العربي مفطور على الصراحة مع نفسه ومع الآخرين ، وله من حياته البدوية ما يؤازر صراحته ... ومن شجاعته وفطرته البسيطة غير المعقدة ما يعمّق هذه الصراحة ، فينطق عما يختلج في نفسه دون تزوير أو خِداع ، بل صراحته مستمدة من هذه الطبيعة الواضحة ، شمس ضاحية نهارا ، وقمر لألاء ليلا... [ف] نزعة الوضوح هذه أثمرت أدبا قريبا من الواقع بعيدا عن المبالغة والإغراق ، يتوخى الصدق في الفخر والمديح والرثاء والهجاء والوصف[3]" . وهو ما عُرف عند زهير حين ذكره عمر بن الخطاب في نقده قال : لا يعاضل في الكلام ، ويمدح الرجل بما فيه .

---

[1]–ديوان البحتري ، م س ، ج4 ، ص 2436 .

[2]–أبو الفرج قدامة بن جعفر ، نقد الشعر ، ط1 ، مطبعة الجوائب ، الأستانة ، قسطنطينية ، 1302 ، ص 19 .

[3]– سعد إسماعيل شلبي ، الأصول الفنية للشعر الجاهلي ، م س ، ص 48–50.

وقد عرف هذا الصدق عند النقاد بالصدق الفني الذي "قد يكون ناتجا عن تجربة شعورية وقد لا يكون ، بمعنى آخر : إن صدْق المشاعر والأحاسيس قد يكون انعكاسا لتجربة شعورية مرّ بها الأديب ... فنقلها بصدق إحساس ، وقد تكون صفة الصدق الفني والجمالي غير مكتسبة أو غير مستمدة من شيء ... [بل هي] قوة قائمة بذاتها في وجدان المبدع ، قوة موهوبة للفنان الجمالي من عند الله تعالى ، وقد تفوق هذه القوة الوجدانية عند الشاعر الذي لمّ بتجربة شعورية ... في الواقع[1]" . وعليه فقضية الصدق تكون أحيانا موهبة ربانية ، وأحيانا أخرى نتيجة تجارب مستمدة من الواقع ، وإن اجتمعا معا (الموهبة والتجربة) كان الأدب وهو منبع الفن والجمال اللغوي .

1-مفهوم الصدق لدى النقاد القدماء:

-**أرسطو** : يُعدّ أرسطو مصدر النقد العربي المنهج ، يقول في قضية الصدق: "إذا وقع الحدث المأساوي لأشخاص أقرباء ... لا يحق للشاعر أن يغيّر في الخطوط الرسمية في القصص ، ولكن بالرغم من هذا التحفظ ، فقد تُرك للشاعر شيء من حرية التصرف ، كأن يبدع الطريقة الفنية الصحيحة في معالجة هذه القصص"[2]. ما يجعل الحقيقة حين تُحوّل إلى فن لا بد لها من تزيين ، ما يقتضي بعض الكذب. وهو ما يعبّر عنه بالمحاكاة ، يقول :"ينبغي أن نهب اللغة مظهرا غريبا ، فإن العجيبات إنما تكن من البعيدات ، وما يُحدث العجب يُحدث اللذة"[3] . يعني أن الأدب ليس بالضرورة نقل الواقع كما هو ، بل قد يكون نقلا للواقع كما يجب أن يكون ، أو كما يراه المبدع ، فيعطيه صورة أخرى تجعله ينبض بالجمال الذي يتأثر له القارئ ، فيغيّر انطباعه وكيانه .

-**ابن حزم**: يفرق الرجل بين الصدق والكذب قائلا : "الصدق هو الإخبار عن الشيء بما هو عليه ، أو بما يكون عليه ... [و] الكذب هو الإخبار عن الشيء بخلاف ما هو عليه أو ما

---

[1]-رضية بنت عبد العزيز بن شعيب بن محمد تكروني الأسس الجمالية في النقد الأدبي عند الجاحظ ، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية وآبها تخصص بلالغة ونقد ، إشراف : محمد بن إبراهيم شادي ، جامعة أم القرى ، المملكة العربية السعودية ، 2002 ، ص 95.

[2]-أرسطو ، فن الشعر ، ترجمة وتقديم وتعليق : إبراهيم حمادة ، نشر مكتبة الأنجلو المصرية ، (دت) ،ص 142 .

[3]-أرسطوطاليس ، الخطابة ، الترجمة العربية القديمة ، حققه وعلق عليه : عبد الرحمن بدوي ، الناشر ، وكالة المطبوعات ، الكويت ، دار القلم ، بيروت ، لبنان ، 1979ص 186 .

يكون عليه"[1] . ما يجعل الأمر يعود إلى المتكلم ، إذا أراد إخبار الحقيقة كان له ، وإن أراد تزييفها كان له ذلك أيضا ، ولا علاقة للفن به البتة ، بل له علاقة وطيدة بما أراد الشاعر إيصاله إلى متلقيه .

-**حازم القرطاجني**: يتسع المفهوم لدى حازم ليبلغ مناحي أخرى للفن يقول : "فأفضل الشعر ما حسُنت محاكاته ، وهيأته ، وقويت شهوته أو صدقه ، أو خفي كذبه ، وقامت غرابته[2]" . ومعناه : نقل الواقع بصدق ، وتأثر واضح به ، مع إضفاء مكملات التجميل التي تحوّله إلى فن من خيال وبديع. وهو بذلك يجمع بين الواقع والإبداع .

2-نماذج من الصدق الأدبي :

-**الجاحظ** : يقول : "قلت لحباب : إنك تكذب في الحديث ، فقال : وما عليك إذا كان الذي أزيد فيه أحسن منه . فوالله ما ينفعك صِدقه ولا يضرك كذبه . وما يدور الأمر إلا على لفظ جيد ومعنى حسن . ولكنك والله لو أردت ذلك لتلجلج لسانُك ، وذهب كلامك[3]" .يعني أن الحقيقة أحيانا لا تبعث على الجودة ، بل تفسد الفن.

ويضيف "هذا الفرزدق وكان مستهترا بالنساء وكان زير غوانٍ ، وهو في ذلك ليس له بيت واحد في النسيب مذكور ، مع حسده لجرير ، وجرير عفيف لم يعشق امرأة قط ، وهو مع ذلك أغزلُ النساء شعرا" [4] . ما يدل على أن الصدق الفني قد لا ينتج عن واقع ، بل ينتج عن صدق إحساس وتعبير ، إنه تصوير لما يجب أن يكون ، عكس تصوير ماهو كائن .

ويذكر أيضا عن الحجاج قائلا : "قال أبو عبيدة : حدثني أبو عبد الله الفزاري ، عند مالك بن دينار قال : ما رأيت أحدا أبْيَن من الحجاج ، إن كان ليرقى المِنبر فيذكر إحسانه إلى أهل العراق ، وصَفْحُه عنهم وإساءَتُهم إليه حتى أقول في نفسي إني لأحْسَبُه صادق وإني لأظنُّهم ظالمين له"[5] .

---

[1]-رسائل ابن حزم الأندلسي ، م س ، ص 114 وما بعدها .

[2]-أبو الحسن حازم القرطاجني ، منهاج البغاء وسراج الأدباء ، ج2 ، م س ، ص 71.

[3]-الجاحظ ، البيان والتبيين ، ج2 ، م س ، ص 396 .

[4]- م ن ، ج1 ، 208-209 .

[5]-م ن ، ج1 ، ص 361 .

وهو دليل عن اقتدار الرجل اللغوي حتى يصور ما يراه بطريقة تقنع المتلقي وتملك قلبه . وعليه فالصدق لدى الحجاج نابع من طريقته في عرض الواقع ، وليس بالضرورة أن يكون صدقا كله ، بل للمدعّمات البلاغية دور في ذلك ؛ حيث يقول "عامر بن عبد القيس : الكلمة إذا خرجت من القلب وصلت في القلب ، وإذا خرجت من اللسان لم تتجاوز الآذان[1] . وهو عين الصدق .

-**ابن قتيبة** : يعبر عن الصدق انطلاقا من قوة العاطفة يقول : "جمع عند عبد الملك أشراف من الناس والشعراء ، فسألهم عن أرقّ بيت قالته العرب ، فاجتمعوا عن بيت امرئ القيس:

ومَا ذَرَفتْ عيناكِ إلاَّ لتَضْرِبي بسَهْمَيْكِ في أعْشارِ قلبٍ مُقَتَّلِ[2] .

-**المرزباني**: في حديثه عن شعر بشار يقول : "عن علي بن عبد الله الفارسي قال : أخبرني أبي قال : قلت لبشار : يا أبا معاذ إنك لتجيئ بالأمر المهجّن ، قال : وما ذاك ؟ قلت : إنك تقول :

ربابة ربّـــةُ البيتِ تصبُّ الخلّ في الزيتِ

لها عشْرُ دجاجاتٍ وديكٌ حسنُ الصّوتِ

فقال : كل شيء في موضعه ، وربابة هذه جارية لي ، فهي تجمع لي هذا البيض وتحضره لي ، فكان هذا من قولي إليها أحب إليها وأحسن عندها من :

قفا نبك من ذكى حبيب ومنزل...

[قيل أنه قال :] إنما أخاطب كُلًّا بما يفهم"[3]. وعليه فالصدق لدى بشار هو عين الفن ، والمقام هو الذي يحدد صدق الشاعر من كذبه ، فإن كان المقام يقتضي صدقا كان ذلك ، وإن كان يقتضي ارتفاعا إلى مستوى الخيال والإبداع فهو كذلك .

-**عبد القاهر الجرجاني** : يذكر قول "البحتري :

كلَّفْتُمُونا حُدُودَ مَنطِقِكمْ والشِّعْرُ يُغني عنْ صِدْقِه كَذِبُه[4]

---

[1]-م س ، ج1 ، ص 61 .

[2]-ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ، م س ، ج1 ، ص 114 .

[3]-المرزباني ، الموشح ، م س ، ص 289 .

[4]-ديوان البحتري ، ج1 ، ص 209 . جاء البيت (في الشعر) وليس (والشعر) .

[يعلق عبد القاهر عن البيت يقول :] أراد كلفتمونا أن يجري مقاييس الشعر على حدود المنطق ، وتأخذ نفوسنا فيه بالقول المحقق ، حتى لا ندعي إلا ما يقوم عليه من العقل برهان يقطع به ، ويلجئ إلى مرجئه مع أن الشعر يكفي فيه التخييل والذهاب بالنفس إلى ما ترتاح إليه من التعليل"[1] . يعني أن الشعر والصدق والمنطق أمران بعيدان كل البعد ، فمن أراد فنًا انتقل من الواقع نحو الخيال ، ليبدع عالما جميلا ، يمتع المتلقي . وإلا ما عُدّ شعرا .

-**ابن الأثير** : يضرب الرجل مثالا عن ذي القروح "ولم يكن ذو القروح [امرؤ القيس] يلهج بالمنطق ما نوعه وما سببه[2]" . يعني أن الصدق لا يحتاج إلى تصنّع حتى يكون ، بل للموهبة والاقتدار اللغوي دور في إبراز ما بالنفس من أثر يحدثه الواقع ، فيكون الفن . فهذا زهير كان يأخذ "شعره بالثقاف والتنقيح والصقل وكأنه يفحص ويمتحن ويجرّب كل قطعة من نماذجه ، فهو يعتني بتحضير مواده ، وهو يتعب تعبا شديدا ...[فكان] مدرسة ... تعتمد على الأناة والروية ونقاء الطبع والاندفاع في قول الشعر سجية[3]... وهذا التجويد لا يتنافى مع الصدق ولا ينحرف بالشاعر نحو الكذب"[4] .

من خلال رصد ما ورد لدى النقاد القدماء من أقوال حول الصدق ، وجدنا أن الشعر يجمع بين أمرين اثنين : (الصدق والأسلوب) . يعني أن لكل شاعر طريقة في عرض تجربته ، وذلك وفقا للمقام الذي هو فيه . وبذلك فهو يجمع مايلي :

-لفظ جيد ، ومعنى حسن : يعني الانتقاء والتخيير للألفاظ فالمعاني.

-الغرابة والعُجب : يعني الإبداع.

-البُعد : يعني الخيال.

-خفاء الكذب : أي نقل الواقع بصدق.

-الشهوة : أي إحداث اللذة والمتعة ؛ بمعنى التأثير في المتلقي.

وهو جملة ما اجتمع حوله النقاد ، وإن اختلفت مصطلحاتهم وتعبيراتهم عن ذلك .

---

[1]- عبد القاهر الجرجاني ، أسرار البلاغة ، تحقيق : محمد الفاضلي ، ط2 ، المكتبة العصرية ، صديا ، بيروت ، 1999 ، ص 202 .

[2]-ضياء الدين بن الأثير ،المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، م س ، ص 305 .

[3]-سعد إسماعيل شلبي ، الأصول الفنية للشعر الجاهلي ، عن شوقي ضيف ، الفن ومذاهبه في الشعر العربي ، م س ، ص 25 .

[4]-م ن ، ص 52 .

11-الموازنات النقدية
نماذج نصية من المشرق والمغرب والأندلس

فكرة الموازنة بين الشعراء "أصيلة في نقدنا العربي القديم ، تعود بجذورها إلى العصر الجاهلي ، فيما نلمسه من تلك الرواية ... عن أم جندب وحُكمها بين امرئ القيس وعلقمة الفحل ، وفيما يتردد من موازنات عن لبيد بن ربيعة والحطيئة . وامتدت بعد ذلك ... في العصر الأموي ... بين جرير والفرزدق والأخطل ، ثم في العصر العباسي بين أبي نواس وأبي العتاهية ، وأبي تمام والبحتري ، ثم بعد ذلك بين المتنبي والشعراء بصفة عامة من سابقين عليه ومعاصرين له وخالفين[1]" .

وإذا تحدثنا عن "المراحل الأولى في الموازنة ... أنها كانت في أول أمرها أحكاما جزئية خالية من كل تعليل ، وأن الأهواء وخواطر الساعة ومناسبات القول كانت من مصادرها ... [إذ] لم تستقر ... يوما نهائيا إلا في المسائل الكلية ، وأما التفاصيل فظلت موضع اختلاف بين الأدباء والنقاد والعلماء ، كانوا يفضلون هذا الشاعر على ذاك إلى أن انتهوا إلى فكرة الطبقات ، فاتفقوا على بعضها ...ثم اختلفوا [في بعضها الآخر] ... بل لقد اختلفوا في المفاضلة بين شعراء الطلبة الأولى أنفسهم ...فكانت الأحكام ... مقتضبة غير مفصلة ، ولا صادرة عن مناهج مستقيمة ، وهو يدل على روح بدائية ساذجة ... بعيدة ... عن روح العلمية ... أما الموازنة المنهجية لا نجدها إلا عند الآمدي[2]" .

ومن أمثلة الموازنات في النقد العربي القديم نجد:

---

[1]-عبد الله بن محمد العضيبي ، النقد عند الشعراء حتى نهاية القرن الرابع الهجري ، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في الأدب ، إشراف : محمد أبو الأنوار ، جامعة أم القرى ، كلية اللغة العربية ، قسم الدراسات العليا العربية ، فرع الأدب ، المملكة العربية السعودية ، 1991، ص133 .

[2]-محمد منذور ، النقد المنهجي عند العرب ومنهج البحث في الأدب واللغة ، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، 1996، ص 343 .

حكامة **أم جندب** ، فهي "حكومة ... بين علقمة الفحل وزوجها امرئ القيس [؛ حيث] تذهب الرواية أن علقمة الفحل احتكم مع امرئ القيس إلى امرأته أم جندب ، فقالت : قُولا شعرًا تصفان فيه الخيل على روي واحد وقافية واحدة ، فقال امرؤ القيس قصيدة [منها البيت التالي]:

فَلِلسَّوْطِ أُلْهُوبٌ وَلِلسَّاقِ دِرَّةٌ وَلِلزَّجْرِ مِنْهُ وَقْعٌ أَخْرَج مهذب

وقال علقمة [قصيدة منها البيت التالي]:

فَأُدْرِكُهُنَّ ثَانِيًا مِنْ عِنَانِهِ يَمُرّ كَمَرِّ الرَّائِحِ المتَحَلّبِ

... فقالت لامرئ القيس : علقمة أشعر منك ، قال : وكيف ذاك ؟ قالت : لأنك ... جهدت فرسك بسوطك ، ومَريته بساقِك ، [لكن] علقمة ... أدرك طريدته وهو ثانٍ من عنان فرسه ، لم يضْرِبه بسَوْط ، ولا مراه بساق ولا جزره[1]" .

وأيضا ملاحظات **النابغة** حول شعر الخنساء وأبي بصير "حيث أنشدت قصيدتها التي ترثي فيها أخاها صخرا تقول :

وإنّ صَخْراً لَتأتمُّ الهداةُ بهِ كَأنَّهُ عَلَمٌ فِي رأْسِهِ نَارُ[2]

فأُعجب بقصيدتها ، وقال لها : لو أن أبا بصير أنشدني لقلت : إنك أشعر الجن والإنس[3]".

وكذلك نقد **ربيعة بن حذار** الأسدي لشعراء تميم قوله : "أما عمرو فشعره برود يمنية تطوى وتنشر ، وأما أنت يا زبرقان ، فكأنك رجل أتى جزورا قد نُحرت ، فأخذ من أطاييبها ، وخلطه بغير ذلك ، أو قال له : شعرك كلحم لم ينضُج فيؤكل ، ولا تُرك نيئا فيُنتفع به ، وأما أنت يا مخبل فشعرك شُهب من الله يلقيها على مَن يشاء مِن عباده ، وأما أنت يا عبدة فشعرك كمزادة أُحكِم خرزها فليس يقطُر منها شيء[4]".

وأورد **ابن سلام** في كتابه طبقات فحول الشعراء تفاضلا بين الشعراء ؛ حيث يورد (كُثيّرا) في الطبقة الثانية و(جميلا) قبله في الطبقة ، فيقول : "وكان لكثيّر في التشبيب نصيب وافرٌ ، وجميل

---

[1]- أبو عبد الله محمد بن عمران بن موسى المرزباني ، الموشح ،م س ، ص 39 .

[2]-ديوان الخنساء ، م س ، ص 46 .

[3]-طه أحمد إبراهيم ، تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري ، م س ، ص 18-19.

[4]-م ن ، ص 20 .

مقدّم عليه في النسيب ، وله في فنون الشعر ما ليس لجميل ، وكان جميل صادق الصبابة ، وكان كثيّر يقول ولم يكن عاشقا[1]". وهو نقد من حيث الأغراض والكثرة والمقدرة الشعرية .

ويفضّل **جرير والفرزدق** شعر ذي الرمة ؛ حيث يقدمانه لعبد الملك بن مروان على كثير من شعراء زمانهم حتى حبباه فيه فطلب منه : "أنشدني أجود شعرك فأنشده :

مَا بَالُ عَيْنِكَ مِنْهَا المِاءُ يَنْسَكِبُ كَأَنّـهُ مِـنْ كلِّ مفريةٍ سَرِبُ

... حتى أتى على آخرها ، فأجازه وأكرمه"[2] .

وفي حُكم الأخطل بين جرير والفرزدق يقول **ابن سلام**: "اجتمع الفرزدق وجرير والأخطل عند ... بن مروان ، وكان يُغري بين الشعراء ، فقال للأخطل : احكم بين الفرزدق وجرير . فقال : اعْفِني أيها الأمير . فقال : احكم بينهما ، فاستعصى بجهده ، فأبى إلا أن يقول ، فقال : هذا حكم مشؤوم ، قال : الفرزدق يَنْحَتُ مِنْ حَجَرٍ ، وجرير يَغْرف مِنْ بَحْرٍ ، فلم يرض بذلك جرير ، وقد سبب العداء بينهما"[3].

هذا عن المفاضلة أما عن موضوع الموازنة فهو من إبداع الناقد **الآمدي** ، لأنه كان قاضيا موازنا بين أقوال الخصوم والمتحاكمين وترجيح بعضها على بعض[4] . يقول الآمدي: "أنا أبتدئ بذكر مساوئ هذين الشاعرين [أبو تمام والبحتري]لأختم [بذكر] محاسنهما . وأذكر طرفا من سرقات أبي تمام وإحالاته وغَلَطه ، وساقِط شعره ، ومساوئ البحتري في أخذ ما أخذه من معاني أبي تمام ، وكثر ذلك من غلطه في بعض معانيه، ثم أوازن من شعريهما بين قصيدة وقصيدة ، إذا اتفقا في الروي والقافية وإعراب القافية ، ثم بين معنى ومعنى ، فإن محاسنهما تظهر في تضاعيف ذلك [وتنكشف] ، ثم أذكر ما انْفَرد به كل واحد منهما ، فجرّده من معنى سلكه ولم يسلكه صاحبه ، وأُفرد بابا لما وقع في شعريهما من الشبه ، وبابًا لأمثال وأختم بهما الرسالة"[5] . ويضرب أمثلة عن موازنته قائلا :

"ما قالاه في سؤال الديار واستعجامها عن الجواب والبكاء عليها : قال أبو تمام:

---

[1]-ابن سلام الجمحي ، طبقات فحول الشعراء ، م س ، ص 168.

[2]-المرزباني ، الموشح ، م س ، ص 278 -279 .

[3]- ابن سلام ، الطبقات ، م س ، ص 150-151.

[4]- محمد علي أبو حمدة ، أبو القاسم الآمدي وكتاب الموازنة بين الطائيين ، م س ، ص 58

[5]-أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي ، الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري ، م س ، ص 57 .

قدْ مَرَرْنا بالدّار وهيَ خلاءُ فبكيْنا طُلولاً لهـا والرُّسوما
وسَأَلْنا رُبوعهـا وانْصَرفْنا بِشِفـاءٍ وما سـألْنا حَكيمَا

وهذا معنى حسن حُلو ، ومذهب صحيحٌ قد تقدّم الناس فيه . قال البحتري في مثله أو قريب منه:

يا دارُ لا زالتْ رُباكِ محودَة مِن كلّ غاديةٍ تقلُّ وتنهَلُ
فهَّمْتِنا دُوَل الزّمانِ وصرْفِه وأريْتِنا كيف الخُطوبُ النزَّلُ

أراد تقل الربى وتنهل من كل غادية ، وقوله (فهمتنا دول الزمان وصرفه) مع تمام البيت قريب من قول أبي تمام (فانصرفنا بشفاء) . وإن كان أبو تمام قد انصرف بشفاء من العلم بأهل الدار أنها منهم مقفرة ، والبحتري قد دلّ على هذا إلا أنه جاء في البيت بأسره ، ومعنى أبي تمام جاء به كلمة واحدة وأتى زيادة في غاية الحلاوة والصحة ، وأبو تمام في هذا أشعر عندي من البحتري"[1].

وهي بهذا عند الآمدي قد أخذت طابعا علميا ؛ حيث يقول : "فإن كنت ... ممن يفضّل سهل الكلام وقريبه ، ويُؤْثر صحّة السَّلك ، وحسن العبارة ، وحُلو اللفظ ، وكثرة الماء والرونق ، فالبحتري أشعر عندك ضرورة . وإن كنت تميل إلى الصنعة ، والمعاني الغامضة التي تستخرج بالغوص والفكرة ولا تَلوى على غير ذلك فأبو تمام عندك أشعر لا محالة[2]" . فهو قد عرض لما يميّز كل شاعر وأعطاه الأولوية من حيث تميزه في ميدانه .

-القاضي الجرجاني: يعقد موازنة ، فيتوسط فيها بين المتنبي والثائرين عليه يقول : "إن خَصْم هذا الرجل فريقان : أحدهما يعمُّ بالنقص كل مُحدَث ، ولا يرى الشعر إلا القديم الجاهلي ، وما يسلك به ذلك المنهج ... ويزعم أن ساقة [قادة] الشعراء رُؤبة وابن هَرْمة ... فإذا انتهى إلى مَن بعدهم كبشار وأبي نواس ... سمَّى شعرهم مُلحا وطُرفا ، واستحسن منه البيت استحسان النادرة وأجراه مجرى الفكاهة ... ومَن كان هذا رأيُه ومذهبُه ... إلحاق أبي الطيب بهذه الطبقة ... فإن تكن الجماعة منسلخة من الشعر ، موسومة بالنقص ... فصاحبك أولُهم ... وأنت لا تجد لأبي الطيب

---

[1]-م س ، ج1 . ص 501 .
[2]-م ن ، ص 5 .

قصيدة تخلو من أبيات تُختار ، ومعان تُستفاد ، وألفاظ تروق وتعذب ، وإبداع يدل على الفطنة والذكاء ، وتصرُّف لا يصدر إلا عن غزارة واقتدار[1]" .

مُلْتَفِتًا إلى الشعر القديم ليُثبت ما ذهب إليه يقول : "ودونك هذه الدواوين الجاهلية والإسلامية فانظر هل تجد فيها قصيدة تسلم من بيت أو أكثر لا يمكن لعائب القدحُ فيه ، إما في لفظه ونظمه ، أو ترتيبه وتقسيمه ، أو معناه أو إعرابه ؟ ولولا أن أهل الجاهلية جُدُّوا بالتقدم، واعتقد الناس فيهم أنهم القُدوة ، والأعلام والحجة ، لوجدت كثيرا من أشعارهم معيبة مستردية ، ومردودة منفية ، لكن هذا الظن الجميل ... ستَر عليهم ، وفى الظنة عنهم ... وقامت في الاحتجاج لهم كل مقام ، [وقد أورد عن ذلك دليلا قائلا :] وما أراك ... إذا سمعت قول امرئ القيس :

أيا راكباً بلّغَ إخواننـا من كان من كِندَة أو وائِل

فنصب بلغَ ... وقول رؤبة :

كنتُم كمن أدخل في جُحْر يَدا فأخطأ الأفعى ولاقى الأسودا

فجعل الأفعى دون الأسود ، وهي أشد نكاية منه[2]" .

وهو كشف منه على أن الخطأ والشذوذ وقع في الأوائل ولا حق للنقاد أن يظنوا بالمتنبي الظنون ، وعليهم احترام تجاوزه كاحترامهم الأولين . وهو نوع من الموازنة بين المحدثين والقدماء لما أثاره النقاد من آراء مجحفة في حقهم.

ولا يتوقف الأمر عند نقاد المشرق وحسب ، بل قد خاض فيه نقاد المغرب العربي وبلاد الأندلس أيضا ومنهم :

-حازم القرطاجني : يعتبر حازم المفاضلة بين الشعراء أمر غير مطلق ، ويعود ذلك إلى "أن الشعر يختلف بحسب اختلاف أنماطه وطرقه ، [و] ... الأزمان ، ... [و]الأمكنة ، ... [و]أحوال القائلين والموضوعات"[3] . ويؤكد "إن المفاضلة بين الشعراء ، الذين أحاطوا بقوانين الصناعة وعرفوا مذاهبها لا يمكن تحقيقها ، ولكن إنما يفاضل بينهم على سبيل التقريب وترجيح الظنون ، ويكون حكم كل إنسان في ذلك بحسب ما يلائمه ويميل إليه طَبْعُه. إن الشعر يختلف في نفسه بحسب

---

[1]-أبو الحسن الجرجاني ، الوساطة بين المتنبي وخصومه ، م س ، ص 49=54 .

[2]-م ن ، ص 4 وما بعدها .

[3]-احسان عباس ، تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، م س ، ص 567 .

اختلاف أنماطه وطرقه ، ويختلف بحسب اختلاف الأزمان وما يوجد فيها مما شأنه أن يوصف، ويختلف بحسب الأحوال وما تصلح له وما يليق بها ، وما تحمل عليه . ويختلف بحسب اختلاف الأشياء ، فيما يليق بها من الأوصاف والمعاني ، ويختلف بحسب ما تختص به كل أمة من اللغة المتعارفة عندها الجارية على ألسنتها... [مستدلا على ما يذهب إليه بقول أبي] الفرج الأصفهاني عن أبي عرادة قال : كان علي [ض] يفطر الناس في شهر رمضان فإذا فرغ من العشاء تكلم فأقلّ فأوجز فأبلغ . فاختصم الناس ليلة حتى ارتفعت أصواتهم في أشعر الناس ، فقال علي لأبي الأسود الدؤلي : قل يا أبا الأسود ،وكان يتعصب لأبي دؤاد : أشعرهم الذي يقول :

وقد أغتدي بدافع ركني أحوذي ذو ميعة إضريج

...فأقبل عليٌّ [ض] فقال : كل شعرائكم مُحْسِن ، ولو جمعهم زمان واحد وغاية واحدة ومذهب واحد في القول لعَلِمْنا أيُّهم أسبق إلى ذلك ، وكلهم قد أصاب الذي أراد وأحْسَن ، فإن يكن أحد أفضلهم فالذي لم يقل رغبة ولا رهبة(امرؤ القيس بن حجر) ؛ فإنه كان أصَحَّهم بَادِرَة ، وأجْوَدهم نَادِرة . فأنت ترى كيف جعل علي [ض] اختلاف الأزمنة ، وتفاوت الغايات ، وتباين المذاهب عائقة عن التوصل إلى التحقيق في ذلك"[1] .

-**ابن شرف** : ورد في كتابه (أعلام الكلام) موازنة بين الشعراء ومنهم المتنبي والبحتري يقول : "وأما المتنبي فقد شُغلت به الألسُن ، وسَهرت في أشعاره الأعيُن ، وكثر الناس شعره ، والغائص في بحره ، والمفتش عن جُمانه ودُرّه ، وقد طال فيه الخلف ، وكثر عنه الكشف ، وله شيعة تغلوا في مدحه ، وعليه خوارج تتعب في جرحه . والذي أقول : أن له حَسَنَات وسَيِّئات ، وحسناته أكثر عددا وأقوى مددا ، وغرائبه طائرة ، وأمثاله سائرة ، وعلمه فسيح ، وميزه صحيح ، يروم فيقدر ، ويدري ما يورد ، وبه يصدر ... وأما البحتري فلفظه ماء ثجاج ، ودُرٌّ رجْراج ، ومعناه سِراج وَهَّاج ، على أهدى طباع ، يسبقه شعره إلى ما يجيش به صدره... ، أن شربته أرْوَاك ، وإن قدمته أرواك ، طبع لا تكلّف يعْنيه ، ولا العِناد يُثنيه ، لا يُمَل كثيرُهُ، ولا يُستكره غزيره[2]" .

---

[1]-حازم ، المنهاج ، م س ، ص 377 .

[2]- بشير كحيل ،المتنبي في النقد القيرواني ، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في النقد ، إشراف : مختار نويوات ، معهد اللغة والأدب العربي ، جامعة عنابة ، (التاريخ غير واضح ، نسخةpdf) ، ص 226-227 . عن : ابن شرف ، أعلام الكلام (معلومات النشر غير موجودة لأن صفحة المراجع غير موجودة) ، ص 25 .

ويقول عن أبي نواس : "وأما أبو نواس فأول الناس في خرم القياس ، وذلك أنه ترك السُنّة الأولى ، ونكب عن الطريقة المُثلى ، وجعل الجِدّ هـَزْلا ، والصَّعْب سهْلا ، فهَلْهَل المَشدود ، وبَلْبَل المنضد ، وخلخل المنجد ، وترك الدعائم ... وصادق الأفهام حتى كلّت ، وأسباب العربية قد تخلخلت وانْحَلّت ، والفصاحات قد سمتت وملّت . فقال فمال الناس إلى ما عرفوه ، وعلقت نفوسهم بما انفرد منها شعره ، وأعْلَوا شعره ، وشُغفوا بأسخفه ، وكلفوا بأضْعفه. وكان ساعدا أقوى ، وسراجه أضوى ... وخالف فشُهر وعرف ... وأغرب فذُكر ، واستظرف حتى التزم تجار هذه الأكلاف ، وأسواقهم أوسع الأسواق . ... ليس إلا لخفة روح المُجون ، وسهولة الكلام الضعيف الملحون على جمهور العوام"[1].

وبهذا نجد ابن شرف قد أورد جمْعا من الشعراء ، وأفصح عن جيد كل منهم وفاسده . وبذلك فهو يرسمهم واضحين على مرأى المتلقين ، لينجلي ما لهم وما عليهم بطريقته الخاصة ، ومعياره المختلف عن سابقيه من المشارقة . فهو غير مدافع عن أحدهم ، أو منحاز إلى آخر ، بل ذاكر ما ذكره استنادا إلى المنطق الذي يبتعد عن العاطفة ويخضع الميزان الصحيح ، ميزان العربية الدقيق ، والعرف الفن العربيين .

-**ابن حزم** : نجد له في إحدى رسائله أثرا للموازنة أيضا يقول : "ونحن إذا ذكرنا (أبا الأجرب جعونة بن صمة الكلابي) في الشعر لم نُبَاهِ به إلا (جريرا ، والفرزدق) ، لكونه في عصرهما ، ولو أُنْصِف لاستُشْهِد بشعره ، فهو جار على مذهب الأوائل لا على طريقة المحدثين ... ولو لم يكن لنا من فحول الشعراء إلا (أحمد بن محمد بن درّاج القسطلي) لما تأخر عن شأْو (بشار بن برد ، وحبيب ، والمتنبي) ، فكيف ولنا معه (جعفر بن عثمان الحاجب ، وأحمد بن عبد الملك بن مروان ، وأغلب بن شعيب ، ومحمد بن شخيص ، وأحمد بن فرج ، وعبد الله بن سعيد المرادي) ، وكل هؤلاء فَحْلٌ يُهاب جانبه ، وحصان ممسوح الغرّة"[2] .

أبقيت المرجع عن : كي أذكّر بما ورد من اهتمام مشرفي رحمه الله بعلم القدامى.

[1]-ابن شرف ، أعلام الكلام ،مكتبة الخانجي ، ط1 ، مصر ، 1926 ، ص 21 وما بعدها .

[2]-الضاوية بريك ، النقد الأدبي في الأندلس اتجاهاته وقضاياه من القرن السادس إلى القرن الثامن الهجري ،بحث مقدم لنيل شهادة الدكتوراه في الأدب العربي ، تخصص النقد الأدبي ، إشراف : الشيخ بوقربة ، قسم اللغة العربية وآدابها ، جامعة وهران ، 2015-2016 ،ص 18-19 ، عن : ابن بسام ، الدخيرة ، ق1:1/183.

وبهذا فهو قد وضع شعراء الأندلس في واجهة مقابلة لواجهة شعراء المشرق قديمهم ومحدثهم . فكانت المنزلة واحدة ، وما هو إلا ردّ على من يقول بأن الأفضلية للمشارقة دون غيرهم من الشعراء.

-**الشقندي** : جاء في "رسالته التي افتخر فيها بعظماء الأندلس في كل مجال ، يقول مفاخرا ببديهة الشاعر ابن وهبون : "وهل لكم من الشعراء مثل ابن وهبون في بديهته بين يدي المعتمد بن عباد وإصابته الغرض حين استحسن المعتمد قول المتنبي :

إذاَ ضَفرتْ منْك المطيُّ بنظرة أثاب بها مُهيي المطيَّ وَرازمُهْ

فارتجل:

لَئِنْ جاد شِعر ابن الحسين فإنّما تُجيدُ العطايا واللُّها تفتحُ اللَّها

تنبّأَ عُجْبــاً بالقريــضِ ولو درى بأنــكَ تــرْوي شعرَه لتَأَلَّها[1]"

وقال عن ابن دراج : " وهل لكم مثل شاعر الأندلس ابن دراج الذي قال فيه الثعالبي : هو بالصّقع الأندلسي كالمتنبي بالشام ، الذي إن مدح الملوك قال مثل قوله:

ألمْ تَعْلَمي أنَّ الثّواءَ هو التّوى وأنَّ بُيوتَ العاجِزينَ قُبورُ

وأنا أقسم بما حازته هذه الأبيات من غرائب الآيات ، لو سمع هذا المدح سيد بني حمدان لسلا به عن مدح شاعره الذي ساد كل شاعر ، ورأى أن هذه الطريقة أولى بمدح الملوك من كل ما تفنن فيه كل ناظم وناثر[2]" .

وهي طريقة جديدة في الموازنة عما عهدناه عند المشارقة ، فيها نخوة الأندلسي الذي يرُدّ عما عيب به أهله لدى المشارقة ، ويعيد إشراقة صفحات أراد طمسها أعداء الفن والأدب.

وكما هو ملاحظ فإن الموازنة أو المفاضلة بين الشعراء في النقد المغربي القديم قد غزر ماؤها ، لتوفر الظروف التي دعت إلى ذلك مثل : (افتخار النقاد المشارقة بشعرائهم ، وعد أهل المغرب تابعين لم يأتوا بجديد ، توفر المادة الأدبية التي تعطي مجالا للموازنة كاختلاف الطبيعة ، والسياسة ، والفكر النقدي ، مضافا إلى كل ذلك المنافسة الشديدة بين طرفي الأرض الإسلامية مشرقها ومغربها) . وهو لأمر دعا إلى الزيادة في الجودة والتفوق للشعراء ، ومعين لثراء النقد الأدبي وتقدّمه آنذاك .

---

[1]-م س ، ص 35-36 ، عن : المقري ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، تح: إحسان عباس ، دط ، دار صادر ، بيرت ، 1988 ، 3/194.

[2]-م ن ، ص 36 ، عن : المقري ، نفح الطيب ، 195/3 .

12-نظرية النظم :
نماذج نصية من المشرق والمغرب والأندلس

كثر النقاش حول قضية الإعجاز القرآني ، فبحث النقاد في أسراره ، فمن منتصر للفظ ، ومن منتصر للمعنى ، ومنتصر ثالث للنحو وغيرها من الآراء . وكان الرأي الفصل في أن السرّ لا يكمن في لفظ أو معنى ، بل في اجتماعهما معا في سلك المنطق ، وكان ذلك هو **النظم** . وقد تحدث عن هذه القضية كثير من النقاد منهم :

-**الجاحظ** : يركز الجاحظ في قضية النظم على اللفظ ؛ إذ لا يمكن استخدام لفظ مكان آخر ، فلكل لفظ معنى خاص ، وهدف معين ، وموقع أوْلى يقول : "قد يستحق الناس ألفاظا ، ويستعملونها وغيرها أحق بذلك منها ، ألا ترى أن الله تبارك وتعالى لم يذكر في القرآن (الجوع) إلا في موضع (العِقاب) ، أو في موضع الفقر المدقع ، والعجز الظاهر . والناس لا يذكرون ... (شدةالجوع) ويذكرون الجوع في حال (القدرة والسلامة). وكذلك ذكر (المطر) ، لأنك لا تجد القرآن يلفظ به إلا في موضع (الانتقام). والعامة وأكثر الخاصة من يفصلون بين ذكر (المطر) وذكر (الغيث). ولفظ القرآن الذي عليه نزل ، أنه إذا ذكر (الأبصار) لا يقل (الأسماع) ، وإذا ذكر (سبع سموات) لم يذكر (الأرضين) ،ألا تراه لا يجمع (الأرض أرضين) ، ولا (السمع أسماع) . والجاري على أفواه العامة غير ذلك"[1] .

-**أبو هلال العسكري**: يهتم الناقد بكل من اللفظ والرَّصْف معا ، كونهما عاملين مهمين في التواصل الصحيح ، ويمثّل لذلك بالعِقْد قائلا : "النظم مجمل في حسن التأليف [الذي] يزيد المعنى وضوحا وشرحا . ومع سوء التأليف ورداءة الرصف والتركيب شعابه من التعمية . فإذا كان المعنى سبِيًّا ورصف الكلام رَدِيا لم يوجد له قبول ، ولم تظهر عليه طلاوة .وإذا كان المعنى وسطا ورصف الكلام جيدا كان أحسن موقعا وأطيب مستمعا ؛ فهو بمنزلة العقد إذا جعل كل خرزة منه إلى ما يليق

---

[1]-الجاحظ ، البيان والتبيين ، م س ، ج1 . ص 20 .

بها كان رائعا في المرأى وإن لم يكن مرتفعا جليلا . وإن اختلّ نظمه وضمت الحبة منه إلى ما يليق بها اقتحمته العين ، وإن كان فائقا ثمينا . وحسن الرصف أن توضع الألفاظ في مواضعها ،وتمكّن في أماكنها ، ولا يستعمل فيها التقديم والتأخير ، والحذف والزيادة إلا حِذْقًا لا يفسد الكلام ، ولا يعمي المعنى ،وتضم كل لفظة منها إلى شكلها وتضاف إلى لفقها"[1] . وأكثر توضيحا لعملية الرَّصْف يقول : "قال العتابي : الألفاظ أجساد ، والمعاني أرواح ، وإنما نراها بعيون القلوب ، فإذا قدَّمْتَ منها مؤخرا ، أو أخرت منها مقدما ، أفْسَدْتَ الصورة وغَيَّرْتَ المعنى ، كما لو حوّل رأس إلى موضع يد ، أو يد إلى موضع رِجْل ، لتحولت الخلقة وتغيرت الحِلية"[2] .

كما أن للنظم حِيَله التي تجعله يسيرا حسنا ، يقول العسكري: "الكلام بين النثر والشعر أن "حل المنظوم ونظم المحلول أسهل من ابتدائهما ، لأن المعاني إذا حلّت منظوما أو نظمت منثورا حاضرة بين يديك ، تزيد فيها شيئا فينحلّ ، أو تنقص منها شيئا فينتظم . وإذا أردت ابتداء الكلام وبدت المعاني غائبة عنك تحتاج إلى فكر يحضرها . والمحلول من الشعر على أربعة أضرب ؛ فضرب منها يكون بإدخال لفظ بين ألفاظه ، وضرب يتمثل بتأخير جملة وتقديم أخرى ، فيحسن محلوله وينتظم . وضرب منه ينحل على هذا الوجه ولا يحسن ولايستقيم. وضرب تكسو ما تحلّه من المعاني ألفاظا من عندك ، وهذا أرفع درجاتك"[3] .

–عبد القاهر الجرجاني: بحث هذا البلاغي عميقا في هذه القضية ، وأفرد لها فصلا كاملا في كتابه (دلائل الإعجاز) ؛ حتى عُرف بمبدعِها يقول : "اعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو ، وتعمل على قوانينه وأصوله ، وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها ، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك فلا تُخِل بشيء منها ، وذلك أنا لا نعلم شيئا يبتغيه الناظم بنظمه غير أن ينظر في وجوه كل باب وفروقه ، فينظر في الخبر إلى الوجوه التي تراها في قولك : (زيدٌ منطلِق ، وزيد ينطَلِقُ ، وينطلق زيد ، ومنطلق زيد ، وزيد المنطلق ، والمنطلق زيد ، وزيد هو المنطلق ، وزيد هو منطلق). وفي الشرط والجزاء إلى الوجوه التي تراها في قولك : (إن تخرج أخرج ،

---

[1]–أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري ،كتاب الصناعتين الكتابة والشعر ، حققه وضبط نصه ، مفيد قميحة ، دار الكتب العلمية بيوت ، لبنان ، ط1 ، 1981 ، ص 161 .

[2]–م ن ، ص 161 .

[3]–م ن ، ص 216–217 .

وإن خرجتَ خرجتُ ، وإن تخرج فأنا خارج ، وأنا خارج إن خرجتَ ، وأنا إن خرجتَ خارج). وفي الحال إلى الوجوه التي تراها في قولك : (جاءني زيد مسرعًا ، وجاءني يُسرع ، وجاءني وهو مُسرِع ، أو هو يُسرع ، وجاءني قد أسرعَ.(فيعرف لكل من ذلك موضعه ، ويجيء به حيث ينبغي له . وينظر في الحروف التي تشترك في معنى ، ثم ينفرد كل واحد منها بخصوصية ذلك المعنى ، فيضع كلا من ذلك في خاص معناه ... [ويذكر الناقد أمثلة على من خالفوا علم النحو كقول الفرزدق] :

وما مثله في الناس إلا مملكا أبـو أمه حيٌّ أبــوه يقاربه

[معلّقا أن] : الفساد والخلل كانا من أن تعاطى الشاعر ما تعاطاه من هذا الشأن على غير الصواب ، وصنع في تقديم أو تأخير أو حذف وإضمار أو غير ذلك ما ليس له أن يصنعه ، وما لا يسوغ ولا يصح على أصول هذا العلم . [ففسد المعنى وصعُب على من وُجِّه إليه فهمه] . [وأورد أمثلة على من وُصف شعرهم بالحُسن] قول البحتري:

بلونا ضرائب من قد نرى فمـا إن رأينا لفتح ضريبا
هو المرء أبدًا له الحادثــا تُ عزما وشيكا ورأيًا صليبا
تنقّل في خُلُقي ســـؤددٍ سماحاً مُرجّى وبأسا مهيبا
فكالسيف إن جئته صارخًا وكالبحر إن جئته مستثيبا

[يقول :] فإذا رأيتها قد راقتك وكثرت عندك ، ووجدت لها اهتزازا في نفسك ، فعُد فانظر في السبب ، واستقْص في النظر ، فإن تعلم ضرورة أن ليس إلا أنه قدّم وأخّر ، وعرّف ونكّر ، وحذف وأضمر ، وأعاد وكرّر ، وتوخى على الجملة وجها من الوجوه التي يقتضيها علم النحو ، فأصاب في ذلك كله[1]" . وبه فإن عبد القاهر قد نظر إلى الموضوع نظرة شاملة ، فكان لـ"ثروته اللغوية وإلمامه الواسع باللغة إلمام إحساس وذوق القدرة على الوعي بما تحمله من ظلال مختلفة من المعنى بالقياس إلى السياق الذي وردت فيه ، فمضمون الكلمة عنده يقل أو يكثر ، ينبسط أو ينكمش بحسب علاقتها بالموكب المتحرك الذي تسير فيه الكلمة مع ما تقدمها وما تلاها من ألفاظ[2]" .

---

[1]-عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز في علم المعاني ، اختار النصوص وقدم لها : محمد عزام ، (دط) ، منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ، دمشق ، 1988 ، ص 83 وما بعدها .

[2]-عبد العزيز حمودة ، المرايا المقعرة ، نحو نظرية نقدية عربية ، مطابع الوطن ، الكويت ، (دط) ، 2001 ، ص 217 .

وقد عبّر عبد القاهر عن سر الإعجاز في القرآن الكريم ، والجمال في الشعر العربي أن يعرف المتكلم مواضع الكلم ، فيَنتقي ألفاظه ، ويُرتب معانيه ، ويُحسن الربط بينها جميعا بما تعارف عليه العرب بذوق رفيع وطبع سليم .

-**حازم القرطاجني** : يتحدث الرجل عن فكرة النظم بعدّها إبداعا ، فيقول : "الابداع ما يقع في الألفاظ من حسن مادة ، واستواء تسيج ، ولطف انتحال ، وتشاكل اقتران ، وإيجاز عبارة ، وما جرى مجرى ذلك مما يستحسن في الألفاظ . ثم إلى ما يرجع إلى المعاني من حسن محاكاة لقسمة مفهوم وتطبيق مفصل بالنسبة إلى الغرض ، وما جرى مجرى ذلك مما يستجد من المعاني أو إلى ما يرجع إلى النظم ، من إحكام بنية ، وإبداع صيغة ، ووضع ما ... ناسب ذلك مما يحسن في النظم .أو إلى ما يجمع إلى الأسلوب من حسن منزع ولطف منحى ومذهب ، وما جرى مجرى ذلك مما يستحسن في الأساليب"[1].

ويضيف أن الإبداع لا يحصل إلا بشرط مهم هو الحب ، يقول : "اعلم أن خير الشعر ما صدر عن فكر ولِعٍ بالفن"[2] . ورغم قِصر هذا القول إلا أن محتواه كبير جدا ؛ حيث أن الشعر إن اعتمل في نظمه فكر صافٍ ، وموهبة دقيقة ، وذوق سليم ، ورغبة شديدة ، ومقدرة فنية فائقة ، ومعرفة كافية بأصوله ، وفنونه ، خرج مكتمل النضج ، محققا مقاصد المتكلم ، ومحرزا بطاقة الاستحسان من قبل متلقيه ، ونال السبق بين منافسيه .

ويدقق حازم في الموضوع أكثر فيحدد آليات النظم الشعري يقول : إن "التئام هذه الصناعة لفظا ومعنى ، كمال[ها] على الوجه الذي تكون به مهيأة لحصول الغاية المقصودة بها ... [وهي] أحوال ثمانية ، لكل واحدة منها في زمان مزاولة النظم مرتبة لا تتعداها : الحال الأولى : يتخيل فيها الشاعر مقاصد غرضه الكلية التي يريد إيرادها في نظمه أو إيراد أكثرها ... الحال الثانية : أن يتخيل لتلك المقاصد طريقة وأسلوبا أو أساليب متجانسة أو متخالفة ينحو بالمعاني نحوها ويستمر بها على مهايعها ...الحالة الثالثة : أن يتخيل ترتيب المعاني في تلك الأساليب ، ومن أهم هذه التخيلات موضع التخلص والاستطراد . الحال الرابعة : أن يتخيل تشكل تلك المعاني وقيامها في الخاطر في

---

[1]- م س ، عن : زكي العشماوي ، قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث ، ط1 ، القاهرة ، دار الشروق 1994 ، ص 336.

2-حازم ، المنهاج ، م س ، ص 341.

عبارات تليق بها ليعلم ما يوجد في تلك العبارات من الكلم التي تتوازن وتماثل مقاطعها ما يصلح أن يبني الروي عليه . وفي هذه الحال أيضا يجب أن يلاحظ ما يحق أن يجعل مبدأ ومفتتحا للكلام ، وربما لحظ في هذه الحال موضع التخلص والاستطراد . فهذه أربع أحوال في التخاييل الكلية . والحال الخامسة : وهي أول حال في التخاييل الجزئية : أن يشرع الشاعر في تخيل المعاني معنى معنى بحسب غرض الشعر . الحال السادسة : أن يتخيل ما يكون زينة للمعنى وتكميلا له ، وذلك يكون بتخيل أمور ترجع إلى المعنى من جهة حسن الوضع والاقترانات والنسب الواقعة بين بعض أجزاء المعنى وبعض ، وبأشياء خارجة عنه مما يقترن به ويكون عونا له على تحصيل المعنى المقصود به . والحال السابعة : أن يتخيل لما يريد أن يضمّنه في كل مقدار من الوزن الذي قصد ، عبارة توافق نقل الحركات والسكنات فيها ما يجب في ذلك الوزن في العدد والترتيب بعد أن يخيل في تلك العبارات ما يكون محسنا لموقعها في النفوس . الحال الثامنة : أن يتخيل في الموضع الذي تقصر فيه عبارة المعنى عن الاستيلاء على جملة المقدار المقفّى ، معنى يليق أن يكون ملحقا بذلك المعنى ، وتكون عبارة المعنى الملحق طبقا لسد الثلمة التي لم يكن لعبارة الملحق به وفاء بها ، ومن هذا قول المتنبي:

نَهَبْتَ من الأعْمار ما لو حَوَيْتَهُ لَهُنِّئتِ الدُنياَ بأنّكَ خالدُ"[1] .

وعليه كان حازم يركز على مبدأ الاختيار في نظم الشعر ، فكل يختار ما يلائم أغراضه ومراميه من أساليب . فالغرض مهم جدا لدى حازم وهو أول الاختيار (مقاصد كلية) ، وكيفية إيصال تلك الأغراض إلى المتلقي سواء (فكاهة ، أو جدا ، أو سخرية) ...إلخ (الطريقة) ، بعدها يتم اختيار الأسلوب المناسب إن كان وفق (أساليب الخبر أو أساليب الإنشاء من استفهام وتعجب وأمر) وغيرها ، دون أن يخلو الموضوع من انتقاء ما يناسب ذلك من سبك لا يخرج عن سبك اللغة وقانونها (تشكل العبارات) ، والتفكير في تسلسل الأفكار (المعاني) ، وتزيين العبارات المشكّلة بأدوات التزيين من بيان وبديع ، ويوضع كل ذلك وفق قالب ملائم من قوالب الأوزان المعروفة لدى العرب (الإيقاع) ، مع التوكيد على أن هناك معاني أصلية ومعاني ثانوية ، وجب ترتيبها أولا بأول ، وتال بتالي حتى تبلغ مرماها كما أرادها صاحبها . هذا كله لاكتمال نظم البيت الواحد ، فما بالك والقصيدة بها أكثر من بيت ، بل أكثر من خمسين بيتا.

1-حازم ، المنهاج ، م س ، ص 109-110 .

ولا يتوقف الأمر لدى حازم عند كيفية السَّبْك وحسب ، بل يتعداه إلى التفريق بين النظم والأسلوب قائلا : "الأسلوب هيئة تحصل عن التأليفات المعنوية ، والنظم هيئة تحصل عن التأليفات اللفظية"[1] . وبه يذهب حازم إلى مرحلة التنظير ، أي أبعد من الكلمة والجملة والبيت والقصيدة . فهو يجعل النظم الجانب الشكلي من اللغة (السطح) ، والأسلوب الجانب المعنوي منه (العمق) . وهما متكاملان بالنسبة له .

فالعملية حسب حازم أصعب من أن يأتيها جميع الناس ، فهي مِن اختصاص مَن له مقدرة على ركب هذا الموج ، إنهم فرسان الشعر ، ومواهب الكلام . وعليه فالنظم بالنسبة له صنعة لا بد من إتقانها ، ولا يكفي الطبع لذلك ، بل لا بد من تدريب طويل بالتتلمذ أولا ، والتجريب ثانيا ، والنظم أخيرا . كل هذا قد احتوته العبارات القليلة السابقة الذكر . وهي ناتجة عن فكر عالم بخبايا اللغة ، متمرس بعوالمها العلمية والفنية.

-**المرزوقي** : يعد الرجل أمر النظم راجع إلى النفس والعقل معا ، فكل ما طاقت إليه النفس ، واعتبر بالعقل جيدا رامه الشاعر وأبدع فيه ، يقول : "معلوم أن طبع المرئ -إذا ملك زمام الاختيار- بجذبه إلى ما يستلذه ويهواه ، ويصرفه عما ينفر منه ولا يرضاه[2] ...أما تعجبك من أبي تمام في اختيار هذا المجموع ، وخروجه عن ميدان شعره ، ومفارقته ما سواه لنفسه ، واجماع نقاد الشعر بعده على ما صحبه من التوفيق في قصيدة ، فالقول فيه أن أبا تمام كان يختار ما يختار لجودته ... لا يقول ما يقوله من الشعر إلا بشهوته ، والفرق بين ما يشتهي وما يستجاد ظاهر ... وهذا الرجل لم يعمد من الشعراء إلى المشتهرين منهم دون الأغفال ، ولا من الشعر إلى المتردد في الأفواه ... بل [جال] في دواوين الشعراء جاهليتهم ومخضرمهم ، وإسلامهم ومولدهم، واختطف منها الأرواح دون الأشباح ، واخترف الأثمار دون الأكمام ، وجمع ما يوافق نظمه ويخالفه ، لأن دروب الاختيار لم تخف عليه ، وطرف الاحسان والاستحسان لم تستر عنه ، حتى إنك تراه ينتهي إلى البيت الجيد في

---

[1]-م س ، ص 364 .

[2]-أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي ، ديوان الحماسة لأبي تمام ، علق عليه وكتب هوامشه ، عز بن الشيخ ، وضع فهارسه العامة : إبراهيم شمس الدين ، منشورات محمد علي بيضون ، دارالكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2003 ، ص 8 .

لفظه ... فيخير نقيضته من عنده ، وبدل الكلمة أختها في نقده ، وهذا بيّن لمن رجع إلى دواوينهم"[1] .

فمن طريقة أبي تمام يتوضح أمر النظم لدى المرزوقي ؛ حيث أنه ينتقي من أساليب من سبقوه ومن كانوا في عصره ما يعجبه ، سواء شابه ما هو مؤمن به من جمال أو لم يشبه ، فيضمه إلى مجاله ، وينظم على منواله ، وبه يكون اجتهاده في تشكيل البعد الحقيقي للشعر لديه . فهو اجتماع لكل جميل ، ما يجعله منفردا بتشكيلة فنية أدبية قد أخذت من كل هؤلاء ، مضافا إليها طبع الرجل وعشقه للإبداع . فالنظم باختصار لدى المرزوقي –الذي يتبنى مبدأ أبي تمام– هو التتلمذ على كل جيد ، والتمرّس ، والممارسة الشعرية بكل حب ، والإبداع في الأخير.

–**ابن الأثير** : يرجع النظم حسب هذا الناقد إلى عملية الربط بين الوحدات اللغوية ؛ حيث أن لكل منها موقعها الذي تستحقه دون غيره من المواقع ، ولا بد لمحسن هذه الوظيفة (النظم) أن يكون على مقدرة إبلاغية فائقة ، حتى يعلم ما يحسن ولا يحسن ، يقول : "اعلم أن تفاوت التفاضل يقع في تركيب الألفاظ ، أكثر مما يقع في مفرداتها ، لأن التركيب أعسر وأشق . ألا ترى ألفاظ القرآن الكريم من حيث انفرادها قد استعملها العرب ومن بعدهم ، ومع ذلك فإنه يفوق جميع كلامهم ويعلو عليه، وليس ذلك إلا لفضيلة التركيب ... قال تعالى [في سورة هود] : {وَيا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الماءُ وَقُضِي الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الجُودِي وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ(44)} ، أنك لم تجد ما وجدته لهذه الألفاظ من المزية الظاهرة إلا لأمر يرجع إلى تركيبها ، وأنه لم يعرض لها هذا الحسن إلا من حيث لاقت الأولى بالثانية ... والثالثة بالرابعة وكذلك إلى آخرها ،وإن ارتّبت في خلل لتأمل هل ترى لفظة منها لو أُخذت من مكانها وأفردت من بين أخواتها كانت لابسة من الحسن ما لبسته في موضعها من الآية ؟ وسأقرب لك مثالا يشهد بصحة ما ذكرته ، وهو أنه قد جاءت في آية من القرآن وبيت من الشعر ، فجاءت في القرآن جزلة متينة وفي الشعر ركيكة ضعيفة"[2] . وكدليل على ما يذهب إليه ابن الأثير يمثل بقوله جل شأنه في سورة الأعراف : "{فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِم الطّوفَانَ والجَرَادَ والقُمَّلَ والضّفَادِعَ والدّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلاَتٍ(133)} ، وقول الفرزدق :

مِنْ عِزّهِ احتجرتُ كُليبٌ عِنْدَه زَرْبًا كَأَنَّهم لديه القمَّــلُ

---

[1]–م س ، ص 14.

[2]–ابن الأثير ،المثل السائر ، م س ، ج1 ، ص 166 .

وإنما حَسُنَتْ هذه اللفظة في الآية دون هذا البيت من الشعر لأنها جاءت في الآية مندرجة ضمن كلام ولم ينقطع الكلام عندها ، وجاءت في الشعر قافية أي آخرا ، انقطع الكلام عندها"[1] . وبه كان لفظ (القمل) آخر من يسمع في البيت وآخر ما يركز عليه المتلقي ، فيكون بذلك غير مستحسن لكراهته .

-**ابن خلدون** : "الكلام عبارة عن المنوال الذي ينسج فيه التراكيب أو القالب الذي يخرج فيه ، ولا يرجع إلى الكلام باعتبار إفادته أصل المعنى الذي هو وظيفة الإعراب ، ولا باعتبار إفادته كمال المعنى من خواص التراكيب الذي هو وظيفة البلاغة والبيان ، ولا باعتبار الوزن ... الذي هو وظيفة العروض ... وإنما يرجع إلى صورة ذهنية للتراكيب المنتظمة للغة باعتبار انطباقها على تركيب خاص ، وتلك وظيفة الصورة ينتزعها الذهن من أعيان التراكيب وأشخاصها ويصيّرها في الخيال كالقالب أو المنوال ثم ينتقي التراكيب الصحيحة عند العرب باعتبار الإعراب والبيان فيرصها رصًا كما يفعله البناء في القالب أو النسّاج في المنوال ، حتى يتسع القالب بحصول التراكيب الوافية بمقصود الكلام ، ويتبع على الصورة الصحيحة باعتبار ملكة البيان العربي"[2].

فعملية النظم لديه تستوجب طرفين : الأول هو منتج الكلام ، والثاني هو الصورة الذهنية . فهناك منتج وإنتاج ؛ فالمنتِج لا بد أن يكون محترِفا ، عارفا بمقاصده من الكلام ، ووسائله التي تساعده على الوصول به إلى حيث يريد . فالمؤلف يشبه الصانع في مهنته . والصورة الذهنية لا بد لها من طريقة تظهر بها إلى العالم الخارجي ، وهي عملية يشترط فيها الاختيار حتى تبدو في أبهى حلّة . فوضعها الموضع الحسن لدى ابن خلدون يجعلها مستحسنة لدى متلقيها ؛ لذا لا بد لها من قالب أو منوال – كما يقول- ، وهذا القالب هو النحو الصحيح ، والأسلوب الملائم ، والمقام المناسب . ودون توفر هذه الشروط كلها ، كان الكلام فاسدا أي غير محقق لأهداف مؤلفه ، فيكون الخطأ والعي واللغو .

من خلال كل ما سبق من نصوص نرى أن النظم هو:

-التتلمذ على من أجادوا وأبدعوا .

-اختيار المادة اللغوية (الألفاظ) .

-مراعاة مواقعها .

---

[1]-م س ، ج1 . ص 168-169 .

[2]-ابن خلدون ، المقدمة ، م س ، ص 522 .

-الالتزام بالقواعد الصرفية والنحوية .

-التأليف حسب ما تشتهي النفس ويروم العقل .

-توظيف الموهبة ، والإبداع .

-التركيب بحسب القوالب الفنية المعروفة .

13-النقد البلاغي
(نماذج نصية من المشرق والمغرب والأندلس)

النقد البلاغي هو اجتماع وسيلتين من وسائل النظر إلى النص الأدبي ، فكان "التمازج بين الجانبين نتيجة الصلة الحميمة بين تمييز الجيد وبين الوسائل المعينة للجودة ، والباحث عن الجودة كان يضطر إلى بيان تلك الوسائل مما أدى إلى تشاكل الجانبين ؛ حيث كان البحث البلاغي من ناحية إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة ، سواء كانت تلك الطرق بالزيادة من حيث وضوح الدلالة عليه ، أو بالنقصان من أجل التحرّز عن الخطأ في مطابقة الكلام المراد منه . وكان النقد أيضا يحاول تبيين القول الجيد وتحديد الخصائص التي تتوافر فيه ، حدث هذا التداخل حين كان البحث البلاغي أيضا يضع في حسبانه معرفة جوهر الكلمات المفردة والمركبة ، ودلائل الألفاظ المركبة وما يعرض لها من الفصاحة[1]" .

وكان من أهم القضايا التي عالجها كل من النقد والبلاغة معا مجموعين في مباحث مشتركة قضية الإعجاز القرآني ، ودخول قضايا النقد الأدبي عبر الكتب الفلسفية الأجنبية ، وشطط النقاد اللغويين الذين جعلوا كثيرا من الشعر خارجا عن مدار ما أُلف من عُرف أدبي ، جعل النقاد ينتبهون إلى نوع جديد من النقد ، هو أكثر اتساعا من سابقه ، وأكثر دقة منه ، خاصة إن تعلق الأمر بالجمال والإبداع . فكان النقد البلاغي ؛ حيث تميز هذا النقد بقضايا خاصة جعلته ينفرد بها . ومن أهم النقاد البلاغيين (أبو هلال العسكري في كتابه (الصناعتين الكتابة والشعر) ، وعبد القاهر الجرجاني في كتابيه دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة ، والزمخشري في كتابه (أساس البلاغة) ...إلخ) . وسنعرض فيمايلي بعض الآراء النقدية البلاغية:

---

[1]- محمد كريم الكواز ، البلاغة والنقد المصطلح والنشأة والتجديد ، م س ، ص211 .

-**الجاحظ** : يقول : "فهذه الفُرس ورسائلها وخطبها وألفاظها ومعانيها . وهذه اليونان ورسائلها وخطبها وعللها وحكمها، وهذه كتبها في المنطق التي قد جعلتها الحكماء بها القسم من الصحة والخطأ من الصواب . وهذه كتب الهند في حِكَمها وأسرارها وسِيَرِها وعِلَلِها ، فمن قرأ هذه الكتب عرف كنوز تلك العقول ، وغرائب تلك الحكم ، وعرف أين البيان والبلاغة ، وأين تكاملت تلك الصناعة"[1] .

فالجاحظ –من أجل أن يكون المرء بليغا– قد عيّن له مصادر ذلك ، وهي : الاطلاع على رسائل وخطب وحِكم ، ومنطق ، وسير الأمم المذكورة ، والتعلم من علومها ، والتمرس على أساليبها ، والإتيان بمثل فنونها . ذلك هو التتلمذ الموفق ، والتدرّب الأنموذج ، والسبيل الصحيح ؛ إذ التقيد بأسلوب واحد فيه العي والنقص.

وقال : "المعاني القائمة في صدور العباد ، والمتصورة في أذهانهم ، والمتخلجة في نفوسهم ، والمتحلّلة بخواطرهم ، والحادثة عن فكرهم ، مستورة خفية ، وبعيدة وحشة ، ومحجوبة مكنونة ... لا يعرف الانسان ضمير صاحبه ، ولا حاجة أخيه ... ولا معنى شريكه ... وإنما تحيا تلك المعاني في ذكرهم لها ، وإخبارهم عنها ، واستعمالهم إياها .وهذه الخصائص هي التي تقربها من الفهم ، وتجلبها للعقل ، وتجعل الخفي منها ظاهرا ، والغائب شاهدا ، والبعيد قريبا ، وهي التي تلخص الملتبس ، وتحل المنعقد ، وتجعل المهمل مقيدا ، والعقيد مطلقا ، والمجهول معرفا ، والوحشي مألوفا ، والغُفْل موسوما ، والموسوم معلوما . وعلى قدر وضوح الدلالة ، وصواب الإشارة ، وحسن الاختصار ، ودقة المدخل يكون إظهار المعنى ، وكلما كانت الدلالة أوضح وأفصح كانت الإشارة أبين وأنور ، كان أنفع وأنجح . والدلالة الظاهرة على المعنى الخفي هو البيان الذي سمعتَ الله تبارك وتعالى يمدحه ويدعو إليه ، ويحث عليه ، وبذلك نطق القرآن ، وبذلك تفاخرت العرب وتقاصت أصناف الأعجاج[2]" .

يحدثنا الجاحظ في هذا النص عن التواصل بين الناس لا يكون إلا من طريق اللغة . هذه الأخيرة التي يجب أن يتوفر فيها (حسن الابتداء ، والفصاحة ، والإيجاز ، والوضوح) . وهي معالم البلاغة الأولى.

---

[1]-الجاحظ ، البيان والتبيين ، م س ، ج3 ، ص 417 .

[2]-م ن ، ج1 ،ص 56 .

-ابن قتيبة : سجل ابن قتيبة في كتابه الشعر والشعراء "قضايا نقدية في الشعر ...[كـ] أهدافه وأغراضه وأسبابه ونبوغ بعض الشعراء في غرض دون غرض ، وقد تكلم عن بناء القصيدة العربية القديمة ، وتعدد أغراضها ، وافتتاحها بذكر الأطلال ، وديار الأحبة ، ثم الغزل ، ثم وصف الرحلة وما لاقاه الشاعر من آلام ، ثم الغرض المقصود ، لأن الافتتاحية تشد القارئ والسامع ، وتستهويهما إلى الغرض المقصود ، وأشار إلى ... الوحدة العضوية ، وتناول القافية وعيوبها ، وحسن التشبيه ، والإصابة فيه ... ونقد بعض الشعراء وعلق عليهم تعليقا سريعا مبينا الفطرة والذوق السليم"[1] . وهي في مجملها قضايا بلاغية بحتة ، تقصد فنون القول المختلفة وقوانينها .

-**أبو علي محمد بن الحسن الحاتمي** : يذكر الحاتمي في كتابه (حِلية المحاضرة) شروط البلاغة ، مجملة في هذا النص يقول : "فإذا كان اللفظ فصيحاً ، والمعنى صريحاً ، واللسان بالبيان مطرداً ، والصواب مجيداً ، والآلة مسعدة ، والبديهة مسعفة ، والألفاظ لائحة غير مفتقرة إلى تأويل، والمعاني متعاقبة غير مضطرة إلى دليل ، والحجج عند الحاجة ماثلة ، والأسماع قابلة ، والقلوب نحو الكلام منعطفة ، والإفهام للمخاطب على قدر فهمه واقعاً ، والذهن مجتمعاً ، والبصيرة قادحة ، والقائل موجزاً في موضع الإيجاز ، مطيلاً إذا صحّت الإطالة ، واقفاً عند الكفاية ، وكان اللبس مأموناً ، وشمائل القول حلوة . والقدرة على التصرف عاضدة ، والطبع الذي هو دعامة المنطق شريفاً ، والفصول ملتحمة ، والفضول محذوفة ، والفصول مقسومة ، وموارد الكلام عذبة ، ومصادره خارجة عن الشركة ، نقية من تكلف الصنعة ، فتلك هي البلاغة وهنالك انتظام شمل الإبانة[2]" .

وعليه فإن البلاغة تستوجب شروطا هي : (اختيار اللفظ ، والمعنى ، والتحلي بالمنطق ، وسلامة جهاز النطق ، والبديهة ، والوضوح ، وسلامة النحو ، والحجج ، ومراعاة المقام ، والاهتمام بالحالات المختلفة للمتلقين ، والقدرة المعرفية ، والبصيرة ، والتنويع في الأساليب ، والترغيب ، والطبع السليم ، والتسلسل المنطقي للأفكار ، وحسن التقسيم ، والترفع عن الكلام الخسيس ، والابتعاد عن التكلف) . وهي في مجملها شروط متنوعة ، يتعلق بعضها بالمقدرة اللغوية ، وبعضها بالمقدرة الجسدية (عضوية ونفسية) للمخاطِب ، وبعضها بالمتلقي ، وبعضها بالمقام . وهي صناعة يستحوذ عليها

---

[1]-محمد كريم الكواز ، البلاغة والنقد ، المصطلح والنشأة والتجديد ، م س ، ص 213 .

2-إحسان عباس ، تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، م س ، ص 256-257 ، عن : حلية المحاضرة، الورقة 2- 3 .

صُنّاع الكلام لا غير. وبه قد وجّه الحاتمي المتكلم إلى شروط إن هو التزم بها تجنب نقد النقاد ، ونال بها رضاهم ، وكسب بها شهرته .

–ابن حزم : يتحدث الناقد عن شروط البلاغة فيقول : "البلاغة ما فهمه العامي كفهم الخاصي ، وكان بلفظ يتنبه له العامي لأنه لا عهد له بمثلهِ ، وينتبه له الخاصي لأنه لا عهد له بمثل نظمه ومعناه . واستوعب المراد كله ، ولم يزد فيه ما ليس منه ، ولا حذف مما يحتاج من ذلك المطلوب شيئاً ، وقرب على المخاطب به فهمه ، ولوضوحه وتقريبه ما بَعُد ، وكثر من المعاني [و]سهل عليه حفظه لقصره وسهولة ألفاظه ، وملاك ذلك الاختصار لمن يفهم ، والشرح لمن لا يفهم ، وترك التكرار لمن قبل ولم يغفل ، وإدمان التكرار لمن لم يقبل أو غفل"[1] . وهو –استناد على ما ذهب إليه الجاحظ– بأن على الخطيب أن يفهم العامة معاني الخاصة ؛ وذلك بشروط عدّدها ك (بساطة اللفظ وأُلْفَتِه ، وإدخاله ضمن مركب لغوي صحيح نحوه ومعانيه ، وأن يكون التركيب مستوفيا لمعانيه لا زيادة فيه ولا نقصان ، وقريب في مأتاه غير بعيد . وعليه كان تركيز ابن حزم حول عملية التواصل بين طرفي الرسالة (المرسل والمرسل إليه) ، فبقدر كون اللغة بسيطة في ألفاظها وتراكيبها ، سليمة في ما يحكمها من نظام اللغة ، عميقة في معانيها درجة أن يبلغها المتلقي البسيط . كان الإبلاغ.

–أبو القاسم محمد بن إبراهيم بن خيرة المواعيني: في سياق حديثه عن شروط حسن اللفظ والمعنى وعلاقتهما بالمتلقي يقول : "أن يكون تأليف اللفظ من حروف متباعدة المخارج ، متباينة في الأسماع ، وعلّة ذلك أن الحروف التي هي أصوات تجري من السمع مجرى الألوان من البصر ، ولا شك أن الألوان المتباينة إذا جُمعت كانت في النظر أحسن من الألوان المتقاربة ؟ ولا ريب أن الأزهار الربيعية المتفننة الألوان ، وصناعة الديباج أجمل من البساط الأغبر أو الأخضر أو من الثوب الناصع المصمت ، وهذه علّة يقع لكل أحد فهمها ، وحجة لا يمكن منازعاً جحدها[2]" والشرط الذي ذكره المواعيني قد أورده البلاغيون المشارقة ، لكن التمثيل عليه بالألوان (الطبيعة الحية) هو الشيء الجديد عنده . والأمر أن الأذن تستعذب الكلام كما تستعذب العين الصورة . وهو ما له علاقة بالفكر

1–رسائل ابن حزم الأندلسي ، ج4 ، تحقيق : إحسان عباس ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ط1 . 1983 ، التقريب لحد المنطق ، ص 351–352 .

2–م ن ، ص 514 ، عن : الريحان والريعان ، الورقة 47–48 .

والنفس . فما يُحدث لذة في السمع يكون أقرب إلى النفس . وعليه فمن شروط البلاغة أن يكون المتكلم فنانا ، يحسن التلطف بكلامه حتى يبلغ الأفئدة . وأكثر تدقيقا ، يمثل المواعيني لفكرته بقوله عن تشكيل الألفاظ المفردة : "أن تجد لتأليف اللفظة في السمع حسناً ومزية على غيرها وإن تساويا في التأليف من الحروف المتاعدة ، كما أنك تجد لبعض النّغم والألوان حسناً يتصور في النفس ويُدرك بالبصر والسمع والحس، مثال ذلك من الحروف : (ع ذ ب) فإن قُدّمت بعض هذه الحروف على بعض ذهبت حلاوة الكلمة[1]" .

وعن الأشعار عامة يقول : "ولما لم تجد الصوفية كلاماً أهزّ للنفوس البشرية ، وأبعث لإطرابها ، وأبث لأشواقها من أشعار في النسيب ووصف المحبوب ، تناشدتها وتفانت على أعراضها ، وهامت بظواهر ألفاظها . لكنهم يَعْنُون المحبوب الذي لا يوجد منه الاضطراب ، ولا الصدود إذا صد الأحباب[2]" . وبه تكون البلاغة منطلقة من أبسط مكونات الكلام (صوت) ، ف (لفظ) ، ف (تراكيب ونصوص) . وهو أقصى ما يقصده المتكلم (دق أبواب النفوس) ، أي بلوغ المرامي (التأثير ، فالإقناع) .

وكما هو ملاحظ مما سبق ذكره أن البلاغة تشترك مع النقد في إيضاح سبل التواصل الصحيح والراقي من طريق اللغة ، والإشارة إلى كل ما يفسد مرماه. فلكل من اللفظ والمعنى والتركيب والإيقاع ، والثقافة المتنوعة ، والتدرّب دور في بلوغ المتكلم مرتبة راقية من التواصل مع الناس . وبمعنى أقرب الحصول على فنون القول .

14-تراجم أعلام النقد العربي
في (المشـرق والمغــرب والأندلـس)

أ-**الجاحظ** : هو أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب ، ولد سنة (159هـ) بالبصرة ، وتوفي بها سنة (255هـ). اختُلف في نسبه إن كان عربيا من قبيلة كنانة أو مولى من الموالي . فهو من

1-م س ، ص 514 ، عن : الورقة 48/ أ .

2-م ن ، ص 514-515 .

رجال المعتزلة له عدة مؤلفات : (كتاب الحيوان ، والبيان والتبيين ، والبخلاء ، والمحاسن والأضداد[1]" وغيرها) .كان "تعلّمه الأول بالبصرة بالكتّاب ، ثم عندما شبّ أخذ يختلف إلى العلماء في مسجد البصرة ... كان يكتري الدكاكين التي تباع فيها الكتب ... وفي ليله فيها يقرأ ويدوّن ... فكان يبيع السمك والخبز في أحياء البصرة . وفي عصر المأمون بدأ الجاحظ يعلو نجمه ، وكانت كتاباته تصل إلى المأمون فيُعجب بها ، وقد حاول أن يستخدمه في ديوان الرسائل في قصر الخلافة .... وفي عهد المعتصم ... قدَّم الجاحظ كتابه إلى الوزير ونال جائزة عظمية من المال ... فقد قدم ... الجاحظ [إلى الفتح بن خاقان وزير المتوكل وهو تركي] كتابا في مناقب الترك ومناقب جنود الخلاف ... فعاش حياة ناعمة رخية ... إلا أن حياته الصحّية لم تكن [كذلك] ، فقد كان كثير الأمراض وأصيب بالفالج في آخر أطوار عمره ... لكن هذه المتاعب كان الجاحظ يتحملها بنفس مرِحة طروب ... وكان لا يعتبر أن شيء يستحق العناية والكدّ والتضحية بالعمر مثل العلم والتثقف ... ومن أشهر أساتذته : النظّام رئيس المعتزلة ، وأبو عبيدة ، والأصمعي إلخ[2]" .

ب–ابن قتيبة: هو "أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري . ولد سنة (213هـ) ببغداد ... كان والده أعجميا أو تركيا ... درس علوم اللغة والحديث ... وُلِيَ القضاء زمانا بدينور ... ثم انتقل إلى بغداد ،فظل يزاول التدريس والتعليم بها إلى أن توفي سنة (276هـ) . من مؤلفاته : (عيون الأخبار ، وكتاب المعارف ، وطبقات الشعراء ، ومعاني الشعر ، وكتاب مشكل القرآن ، ومتخب اللغة ، وتاريخ العرب ، والألفاظ المغربة بالألقاب المعربة ... وأدب الكاتب ، وشرح الزجاجي ، وشرح الجواليقي ، وشرح خطبة أبد الكاتب لعبد الباقي بن محمد"[3] ، وغيرها كثير . وهو كما ذكر قاضيا وأستاذا وناقدا ،وعالما باللغة والنحو ، وغريب القرآن ومعانيه ، والفقه"[4] .

---

[1]–الجاحظ ، البيان والتبيين ، م س ، ص 5 .

[2]–عبد الله شريط ، تاريخ الثقافة والأدب في المشرق والمغرب ، ط3 ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 19 ، ص 173 وما بعدها.

[3]–أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ، أدب الكاتب ، اعتنى به وراجعه : درويش جيدي ، ط1 ، المكتبة العصرية صيدا بيروت ، 2002 ، ص7 وما بعدها.

[4]–ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ، م س ، ص 48–49 .

ج –**ابن طباطبا** : "عاش الشاعر أبو الحسن محمد بن أحمد بن طباطبا بأصبهان وتوفي فيها [سنة 322 هـ] . له كتب ألّفها في الأشعار والآداب أشهرها (عيار الشعر) ، وهو من الكتب التي لفتت إليها التوحيدي فأكثر من النقل عنه في (البصائر) وفي (المنتزع) ، كما تأثر به آخرون من بعد . وفي الرد عليه ألّف الآمدي (نقض عيار الشعر) ، [تميز نقد الرجل بميزات منها] : ... ثقافة فلسفية أواعتزالية أفادته في تعميق نظرته ... [و] صفاء الذوق الفني[1]". وفي جمع هذا الرجل بين النقد والشعر ، جعله أقرب إلى الأدب والأدباء وتفسير مذاهبه ومعاييره .

د–**قدامة بن جعفر** : هو "قدامة بن جعفر بن زياد البغدادي ، ولد في البصرة في الثلث الأخير من القرن الثالث الهجري [حوالي] عام (260 أو 276هـ)"[2]. وتوفي عام (337هـ) . "برع [الرجل] في اللغة والأدب والفقه والكلام والفلسفة والحساب . كان ... [له] ذكاء قوي ، وطبعٌ سليم ، وشغفٌ بالاطلاع والتحصيل شديد ، هذا إلى خُلق قويم ونفس عالية[3] ... له [من المؤلفات :] (كتاب الخراج ، ونقد الشعر ، وصابون الغم ، وصرف الهم ، وجلاء الحزن ، ودرياق الفكر ، والسياسة ، والرد على ابن المعتز فيما عاب به أبا تمام ، وحشو حشاء الجليس ، وصناعة الجدل ، والرسالة في أبي علي بن مقلة وتُعرف بالنجم الثاقب ، ونزهة القلوب وزاد المسافر[4]"(. وقد كان في "رجوع [قدامة] إلى البيان اليوناني وما فيه من موازين للنقد ومناهج البيان ... تطورا جديدا في بحوث النقد والبيان ، وكان عقل[ه] ... المنطقي يغلب ذوقه الأدبي ... [وقد تبعه في منهجه] ابن العميد ، والصاحب بن عباد ، وأبو هلال العسكري"[5] .

1–م س ، ص 133 .

2–مفهوم الشعر عند قدامة من خلال كتابه نقد الشعر – شبكة الألوكة الأنترنيت : الموقع :
.https://www.alukah.net › literature_language

3–مصطفى عبد الرحمن إبراهيم ، في النقد الأدبي القديم عند العرب ، م س ، ص 190 ، عن : نقد النثر ، تقديم عبد الحميد العبادي ، ط دار الكتب العلمية بيروت ، (دت) ، ص 40 .

4–م ن ، ص 190 ، عن : نقد النثر ، تقديم عبد الحميد العبادي ، ط دار الكتب العلمية بيروت ، (دت) ، ص 38.

5–م ن ، ص 190 .

هـ–عبد القاهر الجرجاني : هو "أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني ، فارسي الأصل من جرجان ، ولد فيها [عام 400هـ] ، وأخذ العلم عن محمد بن الحسن الفارسي النحوي ... تصدر عبد القاهر للتدريس في بلده ... ولم تقبل الدنيا عليه ... ولم يكن يرض أن يغيّر من طبيعته الحادة أو أن يذل نفسه في السعي إلى الدنيا ، فانصرف إلى العلم والتأليف فيه [ومن مؤلفاته] (دلائل الإعجاز في علم المعاني ، وأسرار البلاغة ، والمغني ، والمقتصد ، والتكملة ، والإيجاز ، والعوامل المائة ، والجمل ، والتلخيص ، وكتاب في العروض ، والمختار من دواوين المتنبي والبحتري وأبي تمام ، وشرح سورة الفاتحة[1]" وغيرها كثير . وافاه الأجل عن عمر يناهز الواحد والسبعين سنة ، أي عام 471هـ .

و–أبو الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني: ولد الناقد القاضي "بجرجان سنة 290هـ ونشأ بها ... زار العراق والشام والحجاز ، ولقي مشايخ ... عصره ، واقتبس العلوم والآداب ، وصار علما وإماما . اشتهر بالفقه ... فسّر القرآن الكريم ... واشتغل بالتاريخ ... [و] هو شاعر متقن ، وكاتب مترسل ، وناقد لوذعي بصير ... عرف له الصاحب فضله فولاه قضاء الرّي . وكانت حضرة الصاحب محط رجال العلماء والشعراء والأدباء ... [فالتقى بـ] أبي الحسن السلامى ، وأبي بكر الخوارزمي ، ... وأبي الفضل الهمذاني ... [قيل] : حمل تابوته إلى جرجان فدفن بها ... سنة 366هـ وعمره 76 عاما . [له من الآثار :] تفسير القرآن الكريم ، كتاب تهذيب التاريخ ... كتاب الوساطة بين المنبي وخصومه ... وديوان شعر ... يجمع بين العذوبة والجزالة ، وتترقرق فيه شمائله السمحة الرضية ، ونفسه الكريمة الأبية"[2] .

ز–**ابن شرف** : ولد"أبو عبد الله محمد بن أبي سعيد بن أحمد بن شرف الجذامي القيرواني نحو سنة (390هـ) من إحدى البيوتات الشريفة التي قدِمت مع الجيش العربي لفتح القيروان . تنفس صبح الحياة في أواخر القرن الرابع للهجرة ، والقيروان إذ ذاك في عنفوان حضارتها ، تزهى بالعلوم والمعارف والفنون ، فأخذ العلم عن أفاضل عصره أمثال: (أبي الحسن القابسي ، وأبي إسحاق إبراهيم الحصري القيرواني ، ومحمد بن جعفر القزاز) فبرع وأجاد ، حتى أصبح موضع عناية المعز بن

---

[1]–عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز في علم المعاني ، م س ، ص 13 وما بعدها .

2–القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني ، الوساطة بين المتنبي وخصومه ، تحقيق وشرح : محمد أبوالفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي ، طبع مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ، دت ، ص د وما بعدها .

باديس الصهناجي أمير أفريقية فألحقه بديوان حاشيته . وهناك الْتَقى ابن شرف بجماعة من الكُتّاب والشعراء الذين كان يجمعهم ديوان الأمير مثل : (علي بن أبي الرجال ، وأبي علي الحسن بن رشيق ، ومحمد بن حبيب القلانسي) .وكان وجود أمثال هؤلاء الأدباء في ... [مكان واحد]داعية إلى التنافس ، مشجعة على شحذ القرائح ، مسببة لإحداث نهضة فكرية عظيمة الأثر في تلك الربوع . فكم من مساجلات ومناظرات ، وكم من مناقشات ومباريات كانت تجري في حضرة المعز بن باديس.

[ولما زحف قبائل الهلاليين على بلاد القيروان ، ودمروها] فرّ الأمير إلى المهدية واتخذها دار ملكه ، فأقام ابن شرف مدة بالمهدية مع زمرة من شعراء الأمير ، ثم رحل عنها إلى جزيرة صقلية فنال عطف أميرها ، وهناك اجتمع برفيقه ابن رشيق الذي لحقه إليها ... فتصافيا بعد التهاجي... ثم رحل إلى الأندلس ، فسكن المرية وتردد على ملوك طوائفها ، وبها كانت وفاته سنة (460هـ) . له تآليف كثيرة منها : أبكار الأفكار ، وإعلام الكلام[1]".

ح–ابن رشيق : هو أبو علي الحسن بن رشيق ، "ولد بالمسيلة ، وبها تعلم ، وعندما بلغ العشرين من عمره وأكمل ثقافته الأولى ، رحل إلى القيروان ... فوجد ... ما أشبع نهمه وغذى ذكاءه المفرط ، ومن شيوخه : (عبد الكريم النهشلي في الأدب والنقد ، وأبو عبد الله الخشني الضرير في اللغة والأدب) ... [ونظرا لعلامات الذكاء الشديد لديه] وحَزْمه في طلب العلم سمع به المعز بن باديس فطلبه ، فكان من أحسن من عرفهم المعز من رجالات العلم في عصره ... ولما توفي المعز سنة (253هـ) بقي ابن رشيق في خدمة ابنه تميم ... فساءت الأحوال جدا ، ولم يعد ابن رشيق يطيق البقاء ... فهاجر إلى جزيرة صقلية ... وبقي هناك حتى توفي سنة 456هـ"[2] . ترك ابن رشيق أكثر من خمس وعشرين مؤلفا منها : (العمدة في محاسن الشعر ونقده ، وقراضة الذهب في نقد أشعار العرب ، وأنموذج الزمان في شعراء القيروان ، وديوان شعر...إلخ) .

ط–أبو القاسم محمد بن إبراهيم بن خيرة المواعيني: الناقد "من رجال القرن السادس[3] [للهجرة ، من مواليد قرطبة] ... ، سكن اشبيلية ، وكتب عن أميرها أبي حفص، وله من المؤلفات :

---

[1]–ابن شرف ، اعلام الكلام ، م س ، ص 81–82 .

[2]–عبد الله شريط ، تاريخ الثقافة والأدب في المشرق والمغرب م س ، ص 311 وما بعدها .

3–إحسان عباس ، تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، م س ، ص 513 . ترجمته في ياقوت 17: 143 .

(كتاب الأمثال ، وكتاب الوشاح المفصل ، وكتاب ريحان الألباب وريعان الشباب) ، وهذا الأخير جمع فيه الفنون التي يستمدها مَنْ عُنِي بمزاولة المنثور والموزون"[1]. توفي الرجل عام (564هـ) .

ي–أبو الحسن حازم بن محمد بن حازم القرطاجني : ولد حازم القرطاجني"سنة(608هـ) [بقرطاجنة] ... ، نشأ في أسرة ذات علم ودين ، فأبوه كان فقيهًا عالمًا ، تولى قضاء قرطاجنة أكثر من أربعين عاما، وقد عني بولده فوجهه إلى طلب العلم مبكرًا ، فبعد أن حفظ القرآن الكريم، وتعلم مبادئ القراءة والكتابة، تردد على حلقات العلماء في بلده، ومرسية ، وغرناطة، وإشبيلية، وغيرها من المدن ... لزم (أبا علي الشلوبين) شيخ علماء العربية في عصره، وكانت فيه نزعة إلى الفلسفة، فأوصاه بقراءة كتب ابن رشد بعد أن توسّم فيه النبوغ والذكاء ... وبعد أن سقطت قرطاجنة ومرسية في أيدي القشتاليين ... سنة (640هـ) غادر ... [الرجل إلى] مراكش ... [ثم] إلى تونس، واتصل بسلطانها (أبي زكريا الحفصي)، فعرف له فضله وعلمه، فقرّبه منه، وعيّنه كاتبًا في ديوانه... ولما توفِّي أبو زكريا الحفصي خَلَفه ابنه (أبو عبد الله محمد المستنصر)، وكان على شاكلة أبيه في احترام العلماء والأدباء وتقديرهم، ولهذا وجد حازم ... في ظل حُكْمه كل عناية وتقدير، وكان المستنصر يثق به وبذوقه الأدبي، فكان يدفع إليه ببعض المؤلفات ليرى فيها رأيه ويقرر مستواها العلمي ...

كان حازم ... شاعرًا مجيدًا، ووُصف بأنه خاتمة شعراء الأندلس الفحول، مع تقدمه في معرفة لسان العرب، وتعددت أغراض شعره فشملت المديح والغزل والوصف، والزهد والحنين إلى الأوطان وبكاء الديار والدعوة إلى تخليصها ... وأهم قصائده (مقصورته) التي مدح بها المستنصر... [و] (منهاج البلغاء وسراج الأدباء : وهو كتاب في النقد والبلاغة تناول فيه ... القول وأجزاءه، والأداء وطرقه، وأثر الكلام في السامعين) ... ،ولحازم ... كتب أخرى فُقد معظمها، مثل: (التجنيس ، والقوافي، ومنظومة نحوية تعليمية) . [توفي الرجل] في ليلة السبت (24 من رمضان [عام] 684هـ)"[2].

ك–ابن رشد : "ابن محمد بن عمر بن محمد بن إدريس بن سعيد بن مسعود بن حسن بن محمد بن عمر بن رشيد الفهري ، يكنى أبا عبد الله ويعرف بابن رشد ، ولد بسبتة عام (657هـ) ...

1–م س ، ص 513.

2–المقصورة هي قصيدة طويلة تأتي على روي الألف المقصورة، وقد بلغت مقصورة حازم القرطاجني ألف بيت وستة، وقدّم لها بمقدمة نثرية أثنى فيها على الخليفة المستنصر. الأنترنيت : الموقع : https://www.marefa.org/الأربعاء 27 مارس 2019.

قرأ ببلده سبتة على ... إمام النحاة أبي الحسن بن أبي الربيع كتاب سيبويه ... وأخذ عنه القراءات ، وأخذ أيضا عن ... أبي الحسن بن الخطار ، ورَحَل ... لأداء الفريضة ... عام (688هـ) ، فوافى في طريقه ... المحدّث الراوية ... أبا عبد الله الحكيم ... [و]ممن بقي بإفريقية الراوية العدل أبا محمد عبد الله بن هارون ، ... والأديب المتبحّر أبا الحسن حازم بن محمد القرطاجني ، وروى بالمشرق عن العدد الكثير كالإمام جار الله أبي اليمن بن عساكر ، ... وعن غيره كأبي العز عبد الرحمن بن عبد المنعم بن علي بن نصر بن منظور بن هبة الله ...

ألّف فوائد رحلته في كتاب سماه (ملء العُيْبَة فيما جمع بطول الغيبة في الوجهتين الكريمتين إلى مكة وطيبة) ... قال ... أبو بكر بن شبرين : وقفت على مسودته ورأيته فيه فنونا وضروبا من الفوايد العلمية والتاريخ ، وطرفا من الأخبار الحسان والمسندات العوالي ، والأناشيد ، وهو ديوان كبير ، ولم يُسْبَق إلى مثله ...ورد على الأندلس في عام (692هـ)، فعقد مجالسا للعام والخاص يقري بها فنونا من العلم ...له شعر [جيد] ...[وافاه الأجل] بمدينة فاس يوم 8 محرم (721هـ) ، ودفن في الجبانة التي بخارج باب الفتوح بالروضة المعروفة بمطرح الجنة ، التي اشتملت على العلماء ... [و]الغرباء الواردين مدينة فاس .

[ومما عُرف عنه أنه] كان خطيبا محدّثا ، متبحرا في علوم الرواية والإسناد ، كان ... فريد دهره عدالة وجلالة وحفظا وأدبا ، وسِمتا وهَدِيًا ... عالي الإسناد ، صحيح النقل ، أصيل الضبط ، تام العناية بصناعة الحديث ، قيما عليها بصيرا بها ، محققا فيها ، ذاكرا فيها الرجال ، جمّاعة للكتب ، محافظا على الطريقة ، مضطلعا بغيرها من العربية واللغة والعروض ، فقيها أصيل النظر ، ذاكرا للتفسير ، ريّان من الأدب ، حافظا للأخبار والتواريخ ، مشاركا في الأصلين ، عارفا بالقراءات ، عظيم الوقار والسكينة ، بارع الخط ، حسن الخلق ، كثير التواضع ، رقيق الوجه ... مبذول الجاه والشفاعة ... قدم على غرناطة في وزارة صديقه ورفيق طريقه في حجه وتشريفه أبي عبد الله بن الحكيم ، فلقي برا وتقدم للخطابة بالمسجد الأعظم ، ونفع الله لديه بشفاعته المبذولة طائفة من خلقه ، وانتصر إثر مقتله إلى العدوة فاستقر بمدينة فاس ، معظَّما عند الملوك والخاصة ، معروف القدر عندهم[1]".

---

[1]-لسان الدين أبي عبد الله محمد بن الخطيب ، الإحاطة في أخبار غرناطة ، تقديم مراجعة وتعليق : بوزياني الدراجي ، دار الأمل للدراسات والنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2009 ، القسم الثالث ، ص 759 وما بعدها .

ل–ابن علي بن الزيات الكلاعي :"يُكنى أبا جعفر ، ويعرف بالزيات الخطيب المتصوف الشهير . مولده ببلش [مالقا] في حدود 649هـ ، وتوفي ... [بها] يوم الأربعاء 17 شوال عام 728هـ .كان جليل القدر ، كثير العبادة ، عظيم الوقار ، حسن الخلق ، مخفوض الجناح ، متألق البشر ، مبذول المؤانسة ، يذكر بالسلف الصالح ، فيحسن شيمته وإعراب لفظه ، مزدحم المجلس ، كثير الإفادة ، صبورا على الغاشية ، واضح البيان ، فارس المنابر ... بشروط قلّما كملت عند غيره ، منها حسن الصورة ، وكمال الأبهة ، وجهورية الصوت، وطيبا لنغمة ، وعدم التهيب .... وغلبة الخضوع إلى التفنن في كثير من المآخذ العلمية ، والرياسة في تجويد القرآن ، والمشاركة في العربية والفقه واللغة والأدب والعروض ... والحفظ للتفسير ... تحمل العلم عن جملة منهم : (خاله الفقيه الحكيم أبو جعفر أحمد بن علي المذحجي ... من ذوي المعرفة بالقرآن والفرائض ، ومنهم القاضي أبو علي الحسين بن أبي الأحوص الفهري ... ومنهم العارف الرباني أبو الحسن فضل بن فضيلة أخذ عنه طريقته الصوفية ... ومنهم أبو الزهر ربيع بن محمد بن ربيع الأشعري ... و... النحوي أبو الحسن بن الصائغ ، والكاتب الأديب أبو علي بن رشيق التغلبي ...والإمام أبو الحسن بن أبي الربيع ...

تصانيفه كثيرة منها : المسماة بالمقام المخزون في الكلام الموززون ، والقصيدة المسماة بالمشرف الأصفى في المأرب الأوفى ، ونظم السلوك في شيم الملوك ، والمجتنى النضيف والمقتنى الخطير ، والعبارة الوجزية عن الإشارة ، واللطائف الروحانية والعوارف الربانية... ومن تواليفه : أسُّ مبنى العلم وأس معنى الحلم في مقدمة علم الكلام ، ولذّات السمع من القراءات السبع ، نظما ، ورصف نفائس اللآلئ ووصف عرائس المعالي في النحو، وقاعدة البيان وضابطة اللسان في العربية ، ولهجة اللافظ وبهجة الحافظ ، والأرجوزة المسماة بقُرّة عين السائل وبُغية نفس الآمل في اختصار السيرة النبوية ، والوصايا النظامية في القوافي الثلاثية ، كتاب عدة الداعي وعمدة الواعي ، وكتاب عوار الكرم وصلات الإحسان فيما حواه العين من لطائف الحكم وخلق الإنسان، وكتاب جوامع الأشراف والعنايات في الصوادع والآيات ، والنفحة الوسيمة والمنحة الجسيمة ، وكتاب شروف المفارق في اختصار كتاب المشارق ... وشذور الذهب في صروم الخطب ، وفائدة الملتقط وعائدة المغتبط ، وكتاب عُدّة المحق وتحفة المستحق...

دخل غرناطة مرارا... [وقد] أوجبتها الدواعي ... من طلب العلم وروايته ... واستدعاء سلطان ، وقدوم من سافرة ، كان الناس ينسالون عليه ويغْشَون منزله ... أخذا عنه"[1] .

م–ضياء الدين بن الأثير :ولد "نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم ، بن عبد الواحد الشيباني الجزري ... في جزيرة ابن عمر ... على الضفاف الغربية لأعالي نهر دجلة سنة (558هـ) . نشأ نصر الله بالجزيرة ونهل العلوم بها ، ثم انتقل إلى المؤْصِل صُحبة أبيه في رجب (579هـ) ؛ حيث عكف على دراسة اللغة وعلومها ، وآداب العربية ، وحفظ القرآن الكريم ، وشيئا جليلا من أحاديث رسول الله (ص) . وكان محفوظه من الشعر العربي شيئا لا يحصى من بعض دواوين أبي تمام والبحتري ، والمتنبي ...[له من المؤلفات :](المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، والجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور ، والوشي المرقوم في حل المنظوم ، ورسائل ابن الأثير ، والاستدراك في الرد على رسالة ابن الدهان ، ومناظرة بين الخريف والربيع ، وكفاية الطالب في نقد كلام الشاعر والكاتب ، والبرهان في علم البيان ، والمصباح المنشأ في حديقة الإنشاء ، ومؤنس الوحدة ، ورسالة الأزهار ، والمعاني المخترعة في صناعة الإنشاء ، ومجموع اختار فيه شعر أبي تمام والبحتري وديك الجن والمتنبي ، والأدعية المائة ، والمجرد في أمثال الميداني ، وعمود المعاني ، والسرقات الشعرية ، ورسالة في أوصاف مصر ، ورسالة في الضاد والظاء)"[2].

وكما رأينا أن هؤلاء هم منارة العلم ، لا غنى لأحد عن آرائهم النقدية ، سواء تعلق الأمر بالنقد أو البلاغة أو الفلسفة أو اللغة أو الفقه ...إلخ . فهم زاد كل دارس ليبلغ حيث أسمى المقاصد.

15–قضية الوضوح والغموض :
(نماذج نصية من المشرق والمغرب والأندلس)

تعددت الآراء حول مسألة وصول الرسالة اللغوية للمتلقي . فكان أن وجد بعضهم غموضا فيها ، فأعادوه إلى ضعف المتكلم في اختيار وسائله اللغوية ، أو عدم مقدرته على إيصال مبتغاه بالطريقة التي يبتغيها المتواصَل معه ، أو رغبته في التعالي على المتلقي وتعجيزه ، وإحداث إلغاز فيما

---

[1]–م س ، ص 583 وما بعدها .

[2]–ضياء الدين بن الأثير ، كفاية الطالب في نقد كلام الشاعر والكاتب . م س ، ص 3 وما بعدها .

يقول . وفي أواخر عصر بني أمية وبداية عصر بني العباس انتبه النقاد إلى هذه القضية وأعطوها اهتماما خاصا . حتى عُدت من قضايا النقد الهامة آنذاك.

وحين بحث النقاد إلى العصر الأول للشعر (العصر الجاهلي) وجدوا معانيه "واضحة بسيطة ليس فيها تكلف ولا بُعد ولا إغراق في الخيال ، سواء حين يتحدث الشاعر عن أحاسيسه أو حين يصوّر ما حوله في الطبيعة؛ فهو لا يعرف الغلو ولا المغالاة ولا المبالغة التي قد تخرج به عن الحدود المعتدلة ، ومرجع ذلك ... أنه لم يكن يفرض إرادته الفنية على الأحاسيس والأشياء ، بل كان يحاول نقلها إلى لوحاته نقلا أمينا ، يُبقي فيه على صورها الحقيقية دون أن يُدخل عليها تعديلا من شأنه أن يمس جواهرها"[1] .

وقد عُرف بهذه الظاهرة **أبو تمام** "قال أبو سعيد [الضرير حين] لقي أبا تمام: يا أبا تمام لم لا تقول من الشعر ما يُفهم ؟ فقال : وأنت يا أبا سعيد ، لم لا تفهم من الشعر ما يُقال ؟"[2] . ورغم ما عرف عن أبي تمام من غموض ملفت للانتباه في شعره ، إلا أن هناك من أجاز غموضه وصوّغه ؛ حيث "ردّ [له]...إلى البعد في الاستعارات، والعمق في الأفكار ، وغرابتها، ومحاولات التجديد المتكررة عند الشاعر[3]" . وهي سمة حسنة يتميز بها الشاعر المجيد على حد تفسيرهم . وللنقاد آراء شتى في هذه القضية منهم :

-**الجاحظ** : يحث الجاحظ على حسن الإفهام من طريق الوضوح ، قائلا : "المعاني القائمة في صدور العباد ، المتصورة في أذهانهم ، والمتخلجة في نفوسهم ، والمتحللة بخواطرهم ،والحادثة عن فكرهم ، مستورة خفية ،وبعيدة وحشة ، ومحجوبة مكنونة ، وموجودة في معنى ، عدومة لا يعرف الانسان ضمير صاحبه ، ولا حاجة أخيه وخليقه ، ولا معنى شريكه... وإنما تحيا تلك المعاني في ذكرهم لها ،وإخبارهم عنها ، واستعمالهم إياها ... وعلى قدر وضوح الدلالة ،وصواب الإشارة ،

---

[1]-شوقي ضيف .تاريخ الأدب العربي ، العصر الجاهلي ،دار المعارف ،القاهرة ،ط11، ج1 ، دت ، ص 219 .

[2]-المرزباني ، الموشح ، م س ، ص 365-366 .

[3]- حبيب بن معلا اللويحق ، الوضوح والغموض بين الدرس البلاغي والنقدي ، السجل العلمي لندوة الدراسات البلاغية : الواقع والمأمول ، 21-1432/6/22 ، المملكة العربية السعودية ، وزارة التعليم العالي ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ،كلية اللغة العربية ، قسم البلاغة والنقد ومنهج الأدب الإسلامي ، ج2 ، ص 924 ، عن السيد محمد الديب ، الغموض في شعر أبي تمام ، دار الطباعة المحمدية ، القاهرة ، 1410 ، ص 37 .

وحسن الاختصار ، ودقة المدخل يكون إظهار المعنى ، وكلما كانت الدلالة أوضح وأفصح كانت الإشارة أبْيَن وأنور ... والدلالة الظاهرة على المعنى الخفي هو البيان الذي سمعت الله تبارك وتعالى يمدحه ،ويدعو إليه ، ويحث عليه ، وبذلك نطق القرآن ، وبذلك تفاخرت العرب"[1] .

-**عبد القاهر الجرجاني** : الناقد من أنصار الغموض الفني المقصود ، يقول: "معلوم أنه الشيء إذا علم أنه لم يُنَل في أصله إلا بعد التعب ، ولم يُدرك إلا باحتمال النصب ، كان للعلم بذلك من أمره من الدعاء إلى تعظيمه ، وأخذ الناس بتفخيمه ، [كأنك] ... وإذا عثرت بالهوينا على كنز من الذهب لم تُفْرِحك سهولة وجوده إلى أن تنسى جملة أنه الذي كدَّ الطالب وحقْل المتاعب. والمُعَقّد من الشعر والكلام لم يُذم لأنه مما تقع حاجة فيه إلى الفكر ... بل لأن صاحبه يعثّر فكرك في متصرفه ، ويشيك طريقك إلى المعنى ، ويُوعِر مذهبك نحوه ، بل ربما قسّم فكرك وشعّب ظنك حتى لا تدري من أين تتوصل ، وكيف تطلب. .. وأما الملخص فيوضح لفكرتك الطريق المستوي ويمهده ، وإذا كان فيه تعاطف أقام عليه المنار ، وأوقد فيه الأنوار حتى تسلُكه بسلوك المتبين لوجهته ، وتقطعه قطع الواثق بالنجح في طيته ، فترد الشريعة زرقاء ، والروضة غناء ، فتنال الري وتقطف الزهر الجني . وهل شيء أحلى من الفكرة إذا استمرت وصادفت نهجا مستقيما ، ومذهبا قويما ، وطريقة تنقاد ... لها الغاية فيما ترتاد ، فقد قيل : قرة العين ، وسعة الصدر ، وروح القلب ، وطيب النفس من أربعة أمور : (الاستبانة للحجة ، والأنس بالأحبة ، والثقة بالعدة ، والمعاينة للغاية)"[2].

ما يجعل الغموض لدى عبد القاهر محمود مطلوب في مواضع ، وممقوت في مواضع أخرى إلا إذا كان القصد منه الإبداع والتأثير والجمال.

-**ابن فروجة محمد بن حمد البروجردي**: (ت حوالي 455هـ) تلميذ أبي العلاء . قسم هذا الناقد الغموض إلى ثلاثة أقسام :"هناك الشعر الذي يصدّك جهل غريبه عن تصور غرضه ، والشعر الذي يُعمِيه إغرابه لمجاز فيه ، [وشعر فيه] ...حذف في اللفظ أو تقديم وتأخير سوّغه الإعراب[3]" . فكانت سمات التعمية عنده متمثلة في (الغريب ، والمجاز ، والإعراب) . وهي قضايا قد فصّل فيها

---

[1]-الجاحظ ، البيان والتبيين ، م س ، ج1 ،ص 56 .

[2]-عبد القاهر الجرجاني ، أسرار البلاغة ، م س ، ص 109 وما بعدها .

[3]-إحسان عباس ، تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، م س ، ص 393 ، عن : شرح مشكلات ديوان شعر أبي الطيب، 55ب ، الورقة 9أ، 10أ ، 38 .

علماء اللغةكل حسب مجاله ؛ فما تعلق بالإعراب اختص به النحويون ودققوا في مسائله ، وما تعلق بالإغراب من مترادف الألفاظ ووحشيها اختص به فقهاء اللغة ، وما تعلق بالاستعارات البعيدة والمجازات الغريبة التي لا تخضع إلى منطق العقل ولا يحترم فيها سياق ولا مقام ، قد اختص بها البلاغيون وأطالوا الحديث عنها محاولين إعطاء تأويلات منطقية لها أو الإعلام بفسادها .

-**ابن خلدون**: يرى أن الغموض سببه عدم احترام المتكلم للقوالب السليمة للغة ، أي قانون اللغة والعرف اللغوي لأبنائها ، يقول : "إن مؤلف الكلام هو كالبنّاء أو النسّاج ، والصورة الذهنية المنطبقة كالقالب الذي بينى فيه ، أو المنوال الذي ينسج عليه ، فإن خرج عن القالب في بنائه ، أو على المنوال في نسجه كان فاسدا [ويرى أن الفساد يكمن أيضا في تتبع المتكلم] القوانين العلمية من العربية والبيان ... وليس كل ما يصحّ في قياس كلام العرب وقوانينه العلمية استعملون ، وإنما المستعمل عندهم من ذلك أنحاء معروفة يطّلع عليها الحافظون لكلامهم تندرج صولتها تحت ... القوانين القياسية . فإذا نظر في شعر العرب على هذا النحو وبهذه الأساليب الذهنية التي تصير كالقوالب ، كان نظرا في المستعمل من تراكيبهم ، لا فيما يقتضيه القياس ، ولهذا قلنا إن المحصّل لهذه القوالب في الذهن إنما هو حفظ أشعار العرب وكلامهم . وهذه القوالب كما تكون في المنظوم تكون في المنثور[1]" . فأي غامضا لا يلقى القبول من طرف متلقيه.

-**ابن حزم**: من شروط الوضوح في الكلام أي الإبلاغ لدى هذا الناقد (اختيار الألفاظ البسيطة للمعاني العميقة ، والنظم السليم لها ، مع مراعاة عدم الابتعاد بالمعاني درجة الإغلاق ، كما أن للإيجاز دور مهم في ذلك) يقول: "البلاغة ما فهمه العامي كفهم الخاصي ، وكان بلفظ يتنبه له العامي لأنه لا عهد له بمثل نظمه ومعناه، واستوعب المراد كله ، ولم يزد فيه ما ليس منه ، ولا حذف ما يحتاج من ذلك المطلوب شيئاً ، وقرُب على المخاطب به فهمه لوضوحه وتقريبه ما بَعُد ، وكثر من المعاني وسهل عليه حفظه لقصره وسهولة ألفاظه[2]" .

-**ابن الأثير** : يعد ابن الأثير من أنصار الوضوح في القول ، يقول : "أما قول ... [أبي اسحاق الصابي] إن خير المترسّل ما وضح معناه ، وأعطاك سماعه في أول وهلة ما تمنه ألفاظه ،

1-مقدمة ابن خلدون ، م س ، ص 524 .

2- رسائل ابن حزم الأندلسي ، م س ، ج4 ، ص 351-352 .

وأفخر الشعر ما غمُض فلم يُعْطِك غرضه إلا بعد مماطلة منه . فإن هذه دعوى لا مستند لها ، بل الأحسن في الأمرين الوضوح والبيان"[1] . وهو ما يبتغيه العربي ويأنس له ويطمح إليه .

وعليه فقد تعددت وجهات النظر عند النقاد في هذا الموضوع ؛ فمن مستحسن ومن مستهجن ، ومن ناظر إليه نظرة لغوية ، ومن ناظر إليه نظرة بلاغية، ورأي أرسطو جامع لكل ما سبق يقول : "اللغة الملغزة تلك التي تتألف من مجازات واستعارات ، وبالرطانة تلك التي تتألف من كلمات غريبة أو نادرة . والواقع أن اللغة الإلغازية تتمثل أساسا في التعبير عن حقيقة ما بكلمات موضوعة في تركيبات لغوية مستحيلة ... لأن استعمال الكلمة الغريبة النادرة والمجازية والزخرفية البديعة وسائر الأنواع الأخرى ينقذ اللغة من الابتذال والركاكة . كما أن استعمال الكلمات العادية أو الدارجة يكسبها الوضوح المستهدف"[2] .

ما يعني أن الوضوح لا يدل دائما على اللغة المبتذلة ، والغموض لا يدل دائما على الإغلاق . فالفهم دليله فكر عميق بلغة مبدعة ، واستعارات قريبة .

16-السرقات الأدبية :
(نماذج نصية من المشرق والمغرب والأندلس)

ظاهرة السرقة في الشعر العربي قد انتبه إليها -على الخصوص- نقاد العصر العباسي ؛ حيث أخذ الشعراء الذين تعلموا العربية من الشعراء العرب الأقحاح ، فحفظوا شعرهم ، وتتلمذوا عليه ، واستعملوه في أشعارهم ، وهي ككل البدايات لدى هؤلاء من قبيل الاعتداد بالأوائل والإعجاب بهم وتقليدهم . لكن النقاد أعابوا على هؤلاء فعلهم ، ونعتوه بالفساد والسرقة .

هذا عن الموضوع عامة ، أما عن القضية بصفة خاصة فقد ظهرت منهجيا "عندما ظهر أبو تمام ... [حيث قامت] خصومة عنيفة حول هذا الشاعر ... [بعدّه] قد اخترع مذهبا جديدا وأصبح إماما فيه ، فلم يجد خصوم هذا المذهب سبيلا إلى رد ذلك الادعاء خيرا من أن يبحثوا لشاعر عن

1-ابن الأثير ، أدب الكاتب ، م س ، ص 303 .

2-أرسطو ، فن الشعر ، م س ، ص 189-190 .

سرقاته ليدلوا على أنه لم يجدد شيئا[1]" . وللتعرف على هذه القضية النقدية لا بد من العودة إلى آراء هؤلاء لتحديد مفهومها وأسبابها.

1-مفهوم السرقة :

-**ابن وكيع**: تناول الرجل قضية السرقة بحديثه عن نفاذ الكلام من قِبل القدماء وحاجة المحدثين إليه يقول : "اعلم وفقنا الله وإياك للسداد ، وقرن أمرك بالرشاد، أن مرور الأيام قد أنفذ الكلام فلم يبق لمتقدم على متأخر فضل إلا سُبق إليه واستوفى عليه[2]" . وبالتالي حسبه فهي فقر وضعف لغوي ، يجعل ابن اللغة عاجز عن الإتيان بكل جديد . وهو أمر يستدعي النظر فيه .

وإذا عدنا إلى جذور الظاهرة وجدناها أيضا بين الشعراء العرب أنفسهم في العصر الجاهلي ، فهي ليست وليدة المحدثين . فمثالها قول امرئ القيس:

وُقوفًا بهَا صَحْبي عليَّ مَطِيَّهم يقولونَ لاَ تَهْلِكْ أسىً وتجمَّلِ[3]

وجاء في قصيدة طرفة بن العبد البكري قوله:

وُقوفًا بهَا صَحْبي عَليّ مطيَّهُمْ يقولونَ لا تَهْلِكْ أسىً وَتجَلَّدِ[4]

فكلا البيتين قد اختلفا فقط في القافية ، ولا يدري النقاد أأخذ التالي عن الأول أم هو محظ نقل خاطئ من قِبل الرواة . فـ"معاني الشعراء ليست كلها من قبيل المبتكر الذي لم يُسبق إليه ، ففيها ما يتوارد على الخواطر ، وتلهج به الألسنة ، فالقريحة تكلّ ، والرؤى تتفاوت بتفاوت حال النفس في هيئتها ونشاطها ، أو في فتورها وانصرافها ، والقدماء قد ذهبوا بكل معنى فما ترك الأول للآخر شيئا ، [ومثاله قول عنترة] :

---

[1]-محمد منذور ، النقد المنهجي عند العرب ، م س ، ص358.

[2]-مسعود بودوخة ، السرقات الأدبية وسؤال الإبداع ، مقاربة في ضوء نظرية التناص ، حوليات جامعة قالمة للغات والآداب ، العدد 12 ، ديسمبر 2015 ، ص 424 ، عن الحسن بن علي بن وكيع ، المنصف للسارق والمسروق منه .

[3]-عبد الله الحسن بن أحمد الزوزني ، شرح المعلقات السبع ، تحقيق محمد الفاضلي ، (دط) ، المكتبة العصرية صيدا بيروت ، 2004 ، ص 12 .

[4]-م ن ، ص 22 .

هَلْ غَادَرَ الشُّعَرَاءُ مِنْ مُتَرَدِّمِ أَمْ هَلْ عَرَفْتَ الدَّارَ بَعْدَ تَوَهُّمِ[1]"

وقول كعب بن زهير :

مَا أَرَانَا نَقُولُ إِلاَّ رَجِيعـاً وَمُعَاداً مِنْ قَوْلِنَا مَكْـرُورَا[2] .

-**القاضي الجرجاني**: يعطي هذا الناقد العذر لمن أخذ بحجة ألا مهرب ، لأن المعاني مستهلكة ، والخوطر واردة ، والقدرة على الإبداع محصّلة يقول : "ومتى أنصفتَ علمت أن أهل عصرنا ، ثم العصر الذي بعدنا أقرب فيه إلى المعذرة ، وأبعد من الذمة ؛ لأن مَن تقدمنا قد استغرق المعاني وسبق إليها ، وأتى على معظمها ، وإنما يحصل على بقايا : إما أن تكون تُركت رغبة عنها ، واستهانة بها ، أو لبعد مَطلَبها ، واعتياص مرامها ، وتعذّر الوصول إليها ؛ ومتى أجهد أحدُنا نفسَه ، وأعمل فِكرَه ، وأتبع خاطره وذهنه في تحصيل معنى يظنه غريبا مبتدعا ، ونظم بيت يحسبه فردا مخترعا ، ثم تصفح عنه الدواوين لم يخطِئْهُ أن يجده بعينه ، أو يجد له مثالا يغضّ من حسنه ؛ ولهذا السبب أحظر على نفسي ، ولا أرى لغيري بتَّ الحكم على شاعر بالسرقة"[3] .وهو بذلك يعد الإبداع محظ وَهْم .

-**ابن رشيق**: نظر إلى القضية نظرة أديب قد مارس التجربة الشعرية ، وفَقِه علوم العربية ، وتقاليد أدبها ، فأفرد لها في كتابه العمدة بابا كاملا ؛ حيث أجمل أسماءَها وأنواعَها يقول : "هذا باب متسع جدا ، لا يقدر أحد من الشعراء أن يدعي السلامة منه ... وقد أتى الحاتمي في حِلية المحاضرة بألقاب مُحْدَثة تدبرتُها ليس لها محصول إذا حققت : كـ (الاصطراف ، والاجتلاب ، والانتحال ، والاهتدام ، والإغارة ، والمرافدة ، والاستلحاق) ... وقد استعمل بعضها في مكان بعض"[4] .

وشرح ابن رشيق ذلك معتمدا على كلام أستاذه **عبد الكريم النهشلي** قائلا : "السّرَقُ في الشعر ما نُقل معناه دون لفظه ، وأبعد في أخْذه ... واتّكال الشاعر على السرقة بلادة وعجْز ،

1-صالح بن سعيد الزهراني ، إشكالية الاحتذاء في المعنى الشعري عند عبد القاهر الجرجاني ، مجلة جامعة أم القرى للبحوث العلمية ، عدد 15 سنة 1997 هـ ، ص 255-256 ، البيت الأول في ديوان عنترة ، تحقيق ودراسة محمد سعيد مولوي بيروت ، المكتب الإسلامي ، ط2 ، 1983 ، ص 186 .

2-ديوان كعب بن زهير ، م س ، ص 26.

3-القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني ، الوساطة بين المتنبي وخصومه ، م س ، ص214-215 .

4-ابن رشيق ، العمدة ، م س ، ص 280 وما بعدها.

وتكرّه كل معنى سُبق إليه جهْل ، ولكن المختار له عندي أوسط الحالات . وقال بعضهم : مَنْ أخذ معنى بلفظِه كما هو كان سارقا ، فإن غيّر بعض اللفظ كان سالخِا ، فإن غيّر بعض المعنى ليُخفيه أو قَلَبه عن وجهه كان ذلك دليل حِذقه . [ويفسر الرجل كل لقب على حدى يقول :] والاصطراف : أن يُعجَب الشاعر ببيت من الشعر فيصرفه إلى نفسه ، فإن صرفه إليه على جهة المثل فهو اختلاب واستلحاق ، وإن ادعاه جُملة فهو انتحال ... وإن كان شاعر أخذ منه غلبة فتلك الإغارة والغصب ... فإن أخذه هِبة فتلك المرافدة ، ويسمى أيضا النسخ ، فإن تساوى المعنيان دون اللفظ وخفى الأخذ فذلك النظر والملاحظة ، وكذلك إن تضادا ودل أحدهما على الآخر ، ومنهم من يجعل هذا هو الإلمام ، فإن حُوّل المعنى من نسيب إلى مديح فذلك الاختلاس ... فإن أخذ بِنْيَة الكلام فقط فتلك الموازنة ، فإن جعل مكان كل لفظة ضدها فذلك هو العكس ، فإن صح أن الشاعر لم يسمع بقول الآخر –وكانا في عصر واحد– فتلك المواردة ، وإن ألّف البيت من أبيات قد رُكب بعضها من بعض فذلك هو ... التلفيق ، وبعضهم يسميه الاجتذاب والتركيب[1]" .

والملاحظ –حسب هذين الناقدين– أن السرقة أنواع ودرجات ، فبعضها مقبول ، وبعضها الآخر ممقوت . وما قُبِل منها هو طبع اللغة المتداولة بين أصحابها ، هي لغة التواصل التي لا يمكن الاستغناء عنها ، ومنطق الإبداع الذي لا يختلف فيه اثنان .

2–أسباب السرقة :

للسرقة الأدبية –حسب النقاد– أسباب كثيرة لا تعدّ ولا تحصى ، وقد أجمل أغلبها فيمايلي :

"–قلة أشعار بعض القبائل مما اضطرهم إلى ... التقويل ليَلحَقوا بالقبائل التي لها أشعار ووقائع كثيرة .

–دور الرواة في التزَيُّد وتزييف الاشعار .

–الإعجاب بالعمل الأدبي يدفع ذوي النفوس الضعيفة إلى سرقته .

–الشاعر تأتيه فترات ... يُجْبَل فيها ... قد يُضْطَر إلى ... الأخْذ .

–الخصومة بين أنصار القديم والحديث [يجعلهم يُرجعون كل إبداع هو مسروق من القدماء] .

–الخصومة بين الشعراء أنفسهم والمنافسة فيما بينهم مما دعاهم إلى اتهام بعضهم بعضا بالسرقة .

–أثر البيئة والمجتمع .

---

[1]–م س ، ص 280 وما بعدها .

-تقاليد الشعر .

-الرواية والتلمذة" [1] .

3-نماذج عن السرقة :

*-من أمثلة السرقة المستحسنة "قول عنترة:

وخَيلٍ قَدْ دلفت لَهَا بِخَيْلٍ عَلَيْهَا الأُسْدُ تَهْتَصِرُ اهْتِصَارَا

وقول عمرو بن معدى كرب:

وخيلٍ قد دلفتُ لها بخيلٍ تحيَّةُ بَينِهِمْ ضَرْبٌ وَجيعُ

وقول الخنساء ترثي أخاها صخرا:

وخيلٍ قد دلفت بها بخيل فدَارَتْ بين كَبشَيْهَا رَحاها[2]" .

-ومن أمثلة الأخذ الحسن أيضا قول "أعرابيّ من بني بيان:

رأَسْتُكمُ وما منكم رئيس أذُود وليس بكم من يذُودُ

تُفدِّيني نســاؤُكم ومُهْرى يكرّ وأنتم عُصَبٌ شهود

فأين لواءكم إلاّ بكفّــى إذا كثــر البوارقُ والرعودُ

وقول الآخر:

رجعتُــم يَوم الكريهــة خُشَّعــا وسيــــوفُنا وسيــوفكم تترَنَّمُ

فمتَــى جحدتم ما نقول فسائِلوا عنــّا نساءَكمُ لكيمــا تعلَموا

ولنحن أكثَرُ في صدور نسائكم منكم إذا ما الأرض طبّقها الدّمُ[3]"

-ومثاله أيضا قول حاتم الطائيّ متوجها إلى ماوية بنت عفزر :

---

[1]-ديْوَل طاهر ، السرقة الشعرية في التراث النقدي ، المصطلح والمفهوم (المنصف لابن وكيع انموذجا) ، مذكرة من متطلبات شهادة الماجستير في اللغة والأدب العربي ، تخصص النقد العربي ومصطلحاته ، إشراف : موساوي أحمد ، جامعة قاصدي مرباح ، ورقلة ، الموسم الجامعي 2011-2012 ، ص 49 وما بعدها .

[2]-ابن رشيق ، العمدة ، م س ، ص 292 .

[3]-الخالِديّيْن (أبو بكر محمد ، وأبو عثمان سعيد ابني هاشم) ، كتاب الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والجاهلية والمخضرمين ، حققه وعلق عليه : السيد محمد يوسف ، ج2 ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، 1965 ، ص 8 .

"أماوِيَّ إن يُصبحْ صَدايَ بقَفْرةٍ من الأرض لا ماءٌ لديَّ ولا خَمْرُ
تَرَيْ أنَّ ما أنفقتُ لم يكُ ضائرِي وأنَّ يدي مِمَّا بَخِلْتُ به صِفْرُ
وقد علِمَ الأقــوامُ لَــو أنّ حاتما أراد ثَــراءَ المال كــان له وَفْرُ
غَنينا زمانا بالتصعلك والغِــنَى وكُــلاًّ سقاناه بكأسَيْهما الدَّهْرُ
فما زادنا بأوًا على ذِي قَرابــة غِنانــا ولا أزْرَى بأحسابنا الفَقْر

أخذه النمر بن تولب فقال :

أعاذلَ إنْ يُصبحْ صدايَ بقفرة بعيدًا وينْأى صاحبي وقريبي
تَرَىْ أنّ ما أبقَيتُ لم أكُ ربَّه وأنّ الذي أنفقتُ كان نصيبي
وذي إبِلٍ يسعَى ويحسِبها له أخى نَصَبٍ في رعيها ودُبوبِ
غدَتْ وغدا ربٌّ سواه يسوقُها وبُدِّل أحجارًا وجُولَ قليبِ[1]"

-و"قال بن الرومي :

توخَّى حِمَامَ المَوْتِ أَوْسَطَ صِبْيَتِي فللهِ كيفَ اختارَ وَاسِطَةَ العِقْدِ[2]

يقول أبو تمام:

كأن بَنِي نبهانَ يوم وفاتِه نجومُ سماءٍ خرّ مِن بينها البدرُ[3]" .

*-ومن أمثلة الأخذ المستهجن قول أبي كريمة:

قفاهُ وجهٌ ، ثم وجه الذي قفاهُ وجهٌ يشبـــــه البدرَا

أخذه من قول أبي نواس:

بأبي أنتَ منْ أُبي بديعٍ فَاقَ حُسْنَ الوجوهِ حُسْنُ قَفَاكَا"[4].

-وعن" الصولي قال : سمعت من ينشد المبرد لسلم الجاسر :

سقَتْني بعيْنيها الهوى وسقيْتُها فدبَّ دبيبَ الخمرِ في كلِّ مَفْصَلِ

---

[1]-م س ، ص17-18.

[2]-ديوان ابن الرومي ، شرح : أحمد حسين بسج ، ج1 ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط3 ، 2002 ، ص 400.

[3]-أحمد الشايب ، أصول النقد الأدبي ، م س ، ص 292 .

4-العسكري ، الصناعتين ، م س ، ص 231. وديوان أبي نواس ، م س ، ص 664.

فقال له المبرد : قد حسّنه أبو نواس حيث يقول:

ويدخل حبُّها في كل قلبٍ مداخِل لا تُغَلْغِلُها المُدامُ"[1].

والأمر أن الأخذ أو السرقة كانت متنوعة بين عُلو شأن وحطّ قدْر . فمَن أعلى شأن اللفظ وزاد حسن المعنى ، ومن شطّ في صنعة اللفظ وأبخس ثمن المعنى . وبين هذا وذاك كانت دائرة النقد العربي بين الاستحسان والاستهجان ، وبين التقييد والإطلاق . فنالت القضية حظها الوافر من الدرس النقدي حتى بلغ أن حُدد مفهومها ، وعُددت أقسامها ، ونُصح ببعضها ونُهي عن بعضها الآخر.

4-شروط السرقة :

وضع بعض النقاد للسرقة شروطا تجعلها مقبولة منهم :

-**ابن المعتز** : يشترط الرجل التفنن في السَّرِق ، والوصول به درجة إعجاب المتلقي ، يقول : "ولا يعذر الشاعر في سرقته حتى يزيد في إضاءة المعنى أو يأتي بأجزل من الكلام الأول ، أو يسنح له بذلك معنى يفضحُ به ما تقدّمه ولا يفتضح به ، وينظر إلى ما قصده نظر مستغنٍ عنه لا فقير إليه"[2].

ومثال الجودة قول أبي تمام:

"كأنَّ بني نَبْهان يومَ وفاته نجومُ سماءٍ خرَّ من بينها البَدْرُ

[وأجود منه قول] أبي يعقوب إسحاق بن حسان الخريمي :

بقية أقمار مِنَ العِزّ لو خبَتْ لظلت مَعَدٌ في الدُّجى تَتَسَكَّعُ

إذا قمرٌ منها تغَوَّرَ أو خَبَا بدا قمرٌ من جانب الأفُقِ يَلْمَعِ

فقيل لأبي تمام : أردتَ أن تصف حسن حالهم بعده أو سوء حالهم ؟ قال : لا والله إلا سوء حالهم ؛ لأن قمرهم قد ذهب . فقيل له : والله ما تكون الكواكب أحسن ما تكون إلا إذا لم يكن معها قمر[3]" . وقد أخطأ الوصف .

1-م س ، ص210 . وديوان أبي نواس ، م س ، ص 568 .

2-المرزباني، الموشح ، م س ، ص 352 .

3-م ن ، ص 346 .

-**ابن طباطبا**: قائلا : "إذا تناول الشاعر المعاني التي قد سُبق إليها فأبرزها في أحسن من الكسوة التي عليها لم يعد [سارقا] بل وجَب له فضل لطفه وإحسانه فيه ... كقول دعبل:

أحبُّ الشيبَ لما قيل ضيفٌ كحبّي للضيوف النازلينا

أخذه من قول الأحوص ... حيث يقول:

فبان مني شبابي بعد لذتهِ كأنما كان ضيفاً نازلاً رحلا

[وقد] يحتاج مَنْ سلك هذا السبيل إلى إلطاف الحيلة ، وتدقيق النظر في تناول المعاني واستعارتها وتلبيسها حتى تخفى على نُقَّادِها والبَصَراء بها ، ويتفرد بشهرتها كأنه غير مسبوق إليها ، فيستعمل المعاني المأخوذة من غير الجنس الذي تناولها منه . فإذا وجد معنى لطيفا في تشبيب أو غزل ، استعمله في المديح ... وإن وجده في وصف ناقة أو فرس استعمله في وصف إنسان ... وإن وجد المعنى اللطيف في المنثور من الكلام ، أو في الخطب والرسائل فناوله وجعله شعرا كان أخفى وأحسن"[1] .

-**أبو هلال العسكري** : يعترف الرجل أن الألفاظ نفسها متداولة بين كل الناس ، لكن الفضل يعود لمن أحسن تركيبها ، وأبدع في إعطائها معاني تليق بها ، وأن الحديث عن السرقة لا يجوز إلا إذا أُخذ الكلام بعينه لفظا ومعنى . يقول :"ليس لأحد من أصناف القائلين غنى عن تناول المعاني ممن تقدمهم ، والصب على قوالب من سبقهم ، ولكن عليهم -إذا أخذوها- أن يكسوها ألفاظا من عندهم ، ويبرزوها في معارض من تأليفهم ، ويوردوها في غير حليتها الأولى ، ويزيدوها في حسن تأليفها ، وجودة تركيبها ، وكمال حِلْيَتها ، ومعْرضها ؛ فإذا فعلوا ذلك فهم أحَقُ بها . ولولا أن القائل يؤدي ما سمع ، لما كان في طاقته أن يقول ، وإنما ينطق الفعل بعد استماعه من البالغين ... وقال بعضهم : ... المعاني مشتركة بين العقلاء . فربما وقع المعنى الجيد للسوقي ، والنبطي والزنجي ، وإنما تتفاضل الناس في الألفاظ ، ورصفها وتأليفها ، ونظمها . وقد يقع للمتأخر معنى سبقه إليه المتقدم من غير أن يلمّ به . ولكن كما وقع للأول وقع للآخر ، وهذا أمر عرفته من نفسي ، قلت أحتري فيه ، وذلك أني عملت شيئا في صفة النساء:

سَفَرْنَ بُدُورًا واتَّقينَ أهِلَّةً .

---

[1]-ابن طباطبا ، عيار الشعر ، م س ، ص 79 **وما بعدها.**

وظننت أني سَبقت إلى هذين الشيئين في نصف بيت ، إلى أن وجدته 196 بعينه لبعض البغداديين ، وكثُر تعجُّبي ، وعزمت على ألا أحكم على المتأخر بالسرِق من المتقدم حتما . وقد أطبق المتقدمون والمتأخرون على تداول المعاني بينهم ، فليس على أحد فيه عيب ، إلا إذا أخذه بلفظه كله ، وأخذه فأفْسَده ، وقصّر فيه عمن تقدمه"[1] .

-**ابن رشيق** : يفسر ذلك على طريقته يقول : "الشاعرين إذا رَكَّبَا معنى ، كان أوْلاهُما بِهِ أقْدَمُهُما مَوْتًا وأعلاهُما سِنًا ، فإن جمعهما عصرٌ واحد كان مُلْحَقا بأَوْلاهُما بالإحسان ، وإن كانا في مرتبة واحدة رُوِىَ لهُما جميعا"[2] . وعليه فالسرقة مستحسنة —حسب ابن رشيق- إذا كان بها فن ، وهو من قبيل الإبداع المشَجَّعِ عليه ، بل هو من قوانين الشعر ، والمقدرة على الإنتاج ، وتطوير اللغة بمعانيها بعد ألفاظها .

-**ابن شهيد**: أعجب بما سمعه من "شيخ يعلّم بُنياً له (صناعة الشعر) وهو ينصحه بقوله : "إذا اعتمدتَ معنى قد سبقك إليه غيرك فأحْسِن تراكيبَه ، وأرَقَّ حاشِيتَه ، فاضربْ عنه جملة ، وإن لم يكن بُدٌ ففي غير العروض التي تقدّم إليها ذلك المُحسِن لتنشَط طبيعتُك ، وتَقْوى منتك ، فتذكرت قول الشاعر ، وقد كنتُ أنسيتُه :

لما تسامى النّجْمُ في أُفقِه ولاحـــت الجَـوْزاءُ والمِرزَمُ

أقبَلْتُ والوَطْءُ خفيف كَما يَنسابُ من مَكْمَنِهِ الأرقَمُ

فعلمتُ أنه صدق"[3] . يعني لا بد من الإبداع ، وإلا عدّ سرقة .

وحسب ابن المعتز ، وابن رشيق ، وابن طباطبا ، وابن شهيد نُلَخِّص شروط السرقة كمايلي:

-إيضاح المعنى الأول .

-سَبْكه في كلام أجزل مما سبقه.

-الاستعانة بالسابق دون الافتقار إليه .

-الأولى بالأصل الأسبق تاريخا ، والأكبر سنا ،والأجود نظما.

-استخدام الحيلة في الأخذ حتى لا يظهر .

1-العسكري ، الصناعتين ، م س ، ص196-174 .

2-ابن رشيق ، العمدة ، م س ، باب السرقة .

3-ابن بسام ، الذخيرة قسم 1 ، مجلد 1 ، م س ، ص 287 .

-تغيير الأوزان والقوافي فيه اقتدار وعدم اتّكال.

-نظم المنثور ، ونثر المنظوم .

وبهذا فقد حصر النقاد للسرقة شروطا تجعل قاصدها بعيدا عن الاتهام ، قريبا من الإبداع. ومثال مَن توفرت فيه هذه الشروط أبو تمام ؛ حيث يقول فيه **أبو بكر الصولي**: "وليس أحد من الشعراء –أعزك الله– يعمل المعاني ويخترعها ويتكئ على نفسه فيها أكثر من أبي تمام ؛ ومتى أخذ معنى زاد عليه ، ووشّحه ببديعه ، وتمم معناه ، فكان أحق به"[1] . ومثاله "يقول المتنبي :

إنَّ القَتِيلَ مُضَرَّجًا بِدُمُوعِهِ مِثْلَ القَتِيلِ مُضَرَّجًا بِدِمَائِهِ

يقول **ابن الأثير** : أحدَث هذا المعنى فنثرته فمن ذلك قولي : "القتيل بسيف العيون ، كالقتيل بسيف المنون ، غير أن ذلك لا يجرد من غمده ، ولا يقاد صاحبه تعمّده ، فزدت على المعنى الذي تضمنه البيت ، وغَيّرْت اللفظ ، ومن ذلك وجه آخر وهو : دَمْعُ المُحِبّ وَدَمُ القتيل متّفِقان في التشبيه والتمثيل ، ولا نجد بينهما بَوْنًا إلا أنهما يختلفان لفظا وهذا أحسن من الأول"[2] . يقول الشاعر:

"كأنَّ فـؤاده كـرةٌ تنـزّى حـذار البين إن نقع الحذارُ

يروّعُـه السّرار بكـل شيء مخـافة أن يكون به السِّرَارُ

كأنّ جفونَـه شملـتْ بشـوكٍ فليت لنومِه فيها قرارُ

أقولُ وليلتي تزدادُ طـولاً أمـا لليـلِ بعدهُم نهارُ

جفت عيني عن التغميض حتى كـأنّ جفونها فيها قصارُ

وقد تناول هذا المعنى [جفت عيني عن التغميض] العتابي [فأوعده وقال :

في مآقيَّ انقباضٌ عن جفونِها وفي الجفونِ عن الأمان تقصير"[3].

من خلال كل الآراء والشواهد السابقة الذكر ، نلحظ أن ظاهرة السرقة بدأت ممقوتة كل المقت ، وغدت مقبولة كل القبول ، وذلك نتيجة وضْع النقاد هذه القضية موضع الدراسة

---

[1]-أبي بكر محمد بن يحي الصولي ، أخبار أبي تمام ، نشره وحققه وعلق عليه : خليل محمود عساكر ، محمد عبده عزام ، نظير الإسلام الهندي ، (دط) ، (دت) ، ص53 .

[2]-ابن الأثير ، المثل السائر ، م س ، ج1 ، ص 106.

[3]-أبو إسحاق إبراهيم بن علي الحصري القيروان ، زهر الآداب وثمر الألباب ، م س ، ص747.

والتمْحيص ، فشخَصوا أسبابها ، ووضعوا لها قواعد تجعلها من قِبل الإبداع والفن لا تؤتى إلا لبارع متميز . وهي طبيعة اللغة التي تلقى حياة من قبل هؤلاء المبدعين ، فلولاهم لبقيت ميتة تلوكها الألسن حتى تتركها .

فقضية السرقة الأدبية ليست مجرد قضية نقدية وانتهى ، بل هي من البدايات الهامة نحو تنظير نقدي عربي ، فمن خلال عمودي (اللفظ والمعنى) استطاع الناقد العربي أن يتوصل إلى "تقنين العلاقة بين ما يفترض أنه مسروق ، وما هو مسروق منه ، ...[فهي خطوة جريئة لـ] ضبط العلاقة بين المعنى واللفظ أو المادة والصورة ... [فقضية السرقات الأدبية قد رسمت] ما يمكن اعتباره سرقة وما لا يمكن اعتباره كذلك ، والقواعد التي تحكم هذا وذاك ... [و]تحكم عمليات التأثير والتأثر ، وتحمي النص ... من فوضى اجتياح حدود النص[1]" .

17-المؤثرات الأجنبية في النقد العربي :
(نماذج نصية من المشرق والمغرب والأندلس)

انتشر الإسلام في شتى أنحاء المعمورة ، فاختلط العرب بغيرهم من الشعوب ، واختلطت ثقافتَهم بثقافتِهم من (هندية ويونانية وفارسية)[2] . فشجع الخلفاء على ترجمة الكتب الأجنبية لمختلف العلوم ، و"كان أن راسل المأمون الملوك في عدة جهات من العالم باعثا إليهم وفودا من العلماء ليأخذوا منهم ما يحتاجون من كتب ، فوفّر للمترجمين كل الأجواء المناسبة للعمل من مال وراحة وحرية فكر"[3] .

وبهذا "اتسعت دائرة معارف [المفكر المسلم] من مجرد الرغبة في جمع الحديث وتحقيقه إلى مجالات المعرفة كافة ، وفي ذلك وصل نضجه العقلي إلى درجة رفض الشك الأفلاطوني في الواقع الحسي ... [وتقبّل] تأثير أرسطو الأكثر عقلانية ... [فكان] التأثير اليوناني على العقل العربي حقيقة

---

[1]- عبد العزيز حمودة ، المرايا المقعرة ، م س ، ص 445 وما بعدها .

[2]-حنا الفاخوري ، تاريخ الأدب العربي ، م س ، ص 354 .

[3]-عبد الله شريط ، تاريخ الثقافة والأدب في المشرق والمغرب ، م س ، ص 92 .

تاريخية ... [لها الفضل] في تطوير نظرية أدبية عربية تقنن للإبداع الشعري ، وتحكم شروط إنتاجه وقويمه[1]" .

ومن أبرز ما ترجموا آنذاك كتابا (الخطابة) و(فن الشعر) لأرسطو . ومن أبرز الأفكار التي وفدت إلى النقاد العرب من هذين الكتابين :

أولا : كتاب (الخطابة) لأرسطو جاء فيه :

"-كيف تؤثر في نفوس الحكّام ،

-المثل وأنواعه واستخدامه ،

-النقائض ،

-صفات الأسلوب ،

-الصورة أو المقارنة ،

-سلامة الأسلوب ،

-رسائل الإطناب ،

-النبرة الخطابية ،

-الأسلوب المفضل والأسلوب المقنع ،

-وسائل تجميل الأسلوب ،

-أجزاء الكلام"[2] .

ثانيا : كتاب (فن الشعر) جاء فيه :

"-المحاكاة وفنونها ،

-الفرق بين الشاعر والناظم ،

-منشأ الشعر ،

-اللغة ،

-الغناء ،

-مسببات التأثير التراجيدي ،

---

[1]-عبد العزيز حمودة ، المرايا المقعرة ، م س ، ص 313-314 .

[2]-أرسطوطاليس ، الخطاب ،م س ، ص ج وما بعدها (الفهرس).

-اللغة الشعرية ،

-اللغة والأسلوب ،

-مشكلات نقدية وحلولها ،

-الموازنة بين الملحمة والتراجيديا"[1] .

هذه المواضيع التي وردت في الكتابين قد تأثر بها النقاد العرب في ميادين النقد والبلاغة واللغة عامة ، فكان أن أرّخوا للشعر ، وحددوا أغراضه من (مدح وهجاء وغزل ورثاء) وغيرها . ووضعوا المفاهيم لمختلف الفنون والقضايا ، وصنّفوها وقسموها أقساما ، فعرّفوا الشعر ، ووازنوا بين إنتاج مبدعيه ، وجادلوا على منطق الفلاسفة . وبدا تأثّرهم واضحا بهؤلاء الأجانب درجة المطابقة ، إلا أن المميز في الأمر أن أجرى النقاد العرب نقدهم ومصطلحاتهم بما يتوافق والطبيعة العربية ، واللغة العربية في حد ذاتها.

ومن بين هؤلاء النقاد الذي جمعوا بين الفلسفة والنقد **محمد بن الحسن بن المظفر الحاتمي** ؛ حيث حاول "أن يقيم صلة بين الشعر والفلسفة لا بين الفلسفة وطرائق النقد، فدلّ بذلك على نوع جديد من ثقافة الناقد الأدبي في عصره"[2] . فهو حين يعلّق على شعر المتنبي ، يرى أن من ادعى له سرقات فقد كذب ؛ حيث أن المتنبي بقدرته اللغوية والفكرية يستطيع تحويل النثر إلى شعر ، فقد نظم الكثير من أفكار أرسطو ، فكان بذلك انموذجا هاما و"صورة [حية] للّقاء بين الفكر اليوناني والشعر العربي[3]" .

فبفضل ما استفاده المتنبي من فلسفة اليونانيين استطاع أن يخلق "حيرة كبيرة للذوق والنقد معاً ... [فـ] هو شاعر يجمع بين القديم والحديث، يجيء بالجزالة والقوة والبيان على خير ما كان يجيء به القدماء، ويغوص على معاني الحياة الإنسانية غوصاً بعيداً، ويضمّن شعره فلسفة حياة وثقافة تنتمي إلى القرن الرابع ... [فالنقد العربي] أمام طريقة جديدة قديمة لا ينفع فيها ما اعتمدوه من مقاييس"[4].

---

[1]-أرسطو ، فن الشعر ، م س ، ص 284-285.

[2]-إحسان عباس ، تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، م س ، ص 243.

3-م ن ، ص 249 .

[4]-م ن ، ص252 .

ومن أمثلة تأثر المتنبي بالفلسفة اليونانية نجد : (إذا كانت الشهوة فوق القدرة كان هلاك الجسم دون بلوغها). يقول المتنبي في هذا :

وإذا كانت النفوس كباراً تعِبت في مرادها الأجسام

ومن ذلك أيضاً : (روم نقل الطباع ؟ شديد الامتناع)، يقول المتنبي:

يُرَادُ مِنَ القَلْبِ نِسْيَانُكُمْ وتَأْبَى الطِّبَاعُ على النَّاقِلِ

وأيضا في قول أفلاطون : الفقير إذا تشبّه بالغني في الهيئة كان مثل الوارم الذي يوهم الناس أنه سمين" ... يقول المتنبي:

أُعيذُها نَظَراتٍ مِنْكَ صَادِقَةً أن تحْسَب الشَّحْمُ فيمن شحمُهُ وَرَمُ"[1] .

هذا عن الأدب أما عن النقد فنجد **الجاحظ** قد قسّم الشعراء إلى أربع طبقات بقوله : "الشعراء عندهم أربع طبقات : فأوّلهم الفَحْلُ الخَنذيذ ، والخنذيذ هو التام ... ودون الفحل الخنذيذ الشاعر المفلّق ، ودون ذلك الشاعر فقط ، والرابع الشعرور[2]" . وأيضا **ابن سلام الجمحي** إثر حديثه عن الانتحال في الشعر ؛ حيث أرجع بمنطق الفيلسوف المحقق لكل ذي حقٍ حَقَّه ، فأبان عن رواة كاذبين ، وعن شعراء وهميين ، وعن حقائق تاريخية غير صحيحة . وكتابه (طبقات فحول الشعراء) أفضل مثال على ذلك . ومثاله أيضا كتب البلاغة العربية ، والحديث عمّا يُفسِد الكلام وما يجعله مقبولا لدى المتلقي ،كألوان البيان والبديع ، وتفاصيل علم المعاني لدى كل من (الجاحظ ، وعبد القاهر الجرجاني ، وأبي عبيدة ، وابن المعتز ، والسكاكي ، والزمخشري ، وابن حزم ، وحازم القرطاجني ، وابن رشد) وغيرهم كثير . وقد تمثل التأثر خاصة في كل ما تعلق بالنقد العلمي في عصر بني العباس.

ويقول **عبد القاهرالجرجاني** في سياق حديثه عن نظم الكلام : "نظم [الأصوات] هو تواليها في النطق ، وليس نظمها بمقتضٍ عن معنى ، ولا الناظم لها [متّبع] ... في ذلك رسما من العقل اقتضى أن يتحرى في نظمه لها ما تحرّاه ، فلو أن واضع اللغة كان قد قال (ربَ) مكان (ضرب) لما كان في

1-م س ، ص 248 ـ249 . الأبيات في ديوان المتنبي ، دار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ، 1983 ، ص 269-332 .

2-أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، البيان والتبيين ، م س ، ص 241.

ذلك ما يؤدي إلى فساد . وأما نظْم الكلم فليس الأمر فيه كذلك لأنك تقتفي في نظمها آثار المعاني وترتيبها على حسب ترتيب المعاني في النفس . فهو إذن أمْر يُعتبر معناه ضمُّ الشيء كيف جاء واتفق ، وكذلك كان عندهم نظير النسيج والتأليف ، والصياغة والبناء ، والوشي والتحبير وما أشبه ذلك ، ومما يوجب اعتبار الأجزاء بعضها مع بعض حتى يكون لوضع كلٍ حيث وُضع عِلّة تقتضي كونه هناك ، وحتى لو وضع في مكان غيره لم يصلح[1]" . ففي هذا النص من البسط والشرح ما ليس في كتب سبقته . وفيه من الرّوية وتتابع الأفكار ما ليس لنقاد العصر الجاهلي . وفيه من التمثيل لكل فكرة ما لم يجتمع في النقد الذي سبق عصر التدوين . وهو تأثر بما جاء في كتب النقد الفلسفية اليونانية .

والأمر ذاته في موازنة **الآمدي** بين المتنبي وخصومه يقول : "فإنْ كنت –أدام الله سلامتك– ممن يفضّل سهل الكلام وقريبه ، ويُؤْثر صحّة السّبْك ، وحُسْن العبارة ، وحُلْو اللفظ ، وكثرة الماء والرونق ، فالبحتري أشعر عندك ضرورة . وإن كنت تميل إلى الصّنْعة ، والمعاني الغامضة التي تستخرج بالغوص والفكرة ، ولا تَلْوِى على ما سوى ذلك فأبو تمام عندك أشعر لا محالة ... فأما أنا فلستُ أُفصح بتفضيل أحدهما على الآخر ، لكني أوازن بين قصيدة وقصيدة من شعرهِما إذا اتفتا في الوزن والقافية وإعراب القافية ، وبين معنى ومعنى ، ثم أقول : أيهما أَشْعَر في تلك القصيدة ، وفي ذلك المعنى ، ثم احْكُمْ أنتَ حينئذ [إن شئت] على جملة ما لكل واحد فيهما إذا أحطت علما بالجيد والرديء"[2] .

وفي هذا النص دليل على ابتعاد النقاد العرب –في هذا العصر– عن عصبيتهم ، وانتقالهم إلى مرحلة جديدة هي مرحلة العلم ، وتوضيح كل غامض ، وفتح كل مغلق أمام القارئ ، وترك المجال واسعا للاجتهاد ، وعدم ادعاء العلم ، لأن العلم أبوابه كثيرة ، وأسراره جمة ، ولا يمكن حصره في رأي أو قسم . وهو منهج أرسطو لمن قرأ كتابيه سابقي الذكر.

وكذلك القول في البيان **لأبي الحسن بن الحسين الرخجي** يقول : "الزم الصمت تَعُد في نفسك فاضلا ، وفي جهلك عاقلا ، وفي قَدْرك حكيما ، وفي عجزك حليما ، وإياك وفضول الكلام

1–عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز في علم المعاني ، م س ، ص 67 .

2–الآمدي ، الموازنة ،م س ، ج1 ، ص 5–6.

فإنه يظهر من عيوبك ما بَطُن ، ويحرك من عدوك ما سكَن ، فكلام الانسان بيان فضله ، وترجمان عقله ، فاقتصره على الجميل ، واقتصر منه على القليل ، وإياك ما يسخط سلطانا أو يوحش إخوانا ، فمن أسخط سلطانه تعرض للمنيه ، ومن أوحش إخوانه تبرأ من الإنسانية ، وكلٌ يُعرف بقوله ، ويُوصف بفِعله ، فقُل سديدا ، وافعَل حميدا[1]" . وفي هذا النص تفصيل للشروط التي يجب أن يلتزم بها المتكلم حتى يضمن مكانته وسط غيره . وهو ما تحدث عنه أرسطو في كتابه الخطابة (الأسلوب المفضّل) .

وإن خاطبنا ما جاء في النقد العربي من تواصل بينه وبين الثقافات الأخرى ، فسيطول الحديث ، وحسبنا هنا أن ذكرنا بعض النماذج للإيضاح فقط .

18-أثر المعتزلة في النقد الأدبي :
(نماذج نصية من المشرق والمغرب والأندلس)

يعدّ المعتزلة "من أكبر المدافعين عن الإسلام ، فتخصصوا في علم الكلام (أي الجدل) ، وذاع صيتهم ، ومن أعلامهم (واصل بن عطاء ، وأبو هذيل العلاّف ، والنظام ، والجاحظ ، وأبو الحسن الأشعري) . وكان أن خرج أبو الحسن الأشعري عنهم ، فأخذ من بعض مذهبهم ومن مذهب خصومهم (أهل السنة) بعض الأشياء ، فكان مذهبه مختارا ، حاول فيه أن يوفّق بين العقل والنقل[2]".

وقد تأثر النقد الأدبي بآراء المعتزلة ؛ أي احتكام أصحابه إلى العقل ، لأن العقل يتحكم في العاطفة ويبتعد عن العصبية . فكان من جراء هذا الاتجاه عدة قضايا منها :

---

[1]-خمس رسائل : الإيجاز والاعجاز لأبي منصور الثعالبي النيسابوري ، وبرد الأكباد في الاعداد له أيضا ، ومنتخبات البيان والتبيين لأبي المكارم عمرو بن بحر الجاحظ ، وأحاسن المحاسن ، لأبي الحسن بن الحسين الرخجي ، وغاية الأرب في معاني ما يجري على ألسن العامة في محاوراتهم وأمثالهم من كلام العرب لأبي طالب المفضل بن سلمة ، ط1 ، مطبعة الجوائب قسطنطينية ، 1301 ، ص 153 .

[2]-أحمد أمين ، ظهر الإسلام ، ط1 ، الناشر دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، 2005 ، ج1 ، ص 247-248.

-لا تفضيل للقديم من الشعر على الحديث أو الحديث عن القديم . والمعيار في ذلك (محض الحسن والقبح) .

-الصدق في الشعر أقرب إلى أن يقبله العقل .

-الاعتماد على الجدل من أجل الإقناع . وبذلك يتساوى الشعر والنثر في قدرتهما على ذلك. وكانت قصيدة (عبيد بن الأبرص) تدعى "الخطبة البليغة" .

-تحوّل الشعر إلى نشاط عقلي لتقديم المعرفة .

-انشار قضية السرقات الشعرية .

-قضية اللفظ والمعنى . والمعاني مطروحة في الطريق عند الجاحظ ، والنظم أساس الإعجاز لدى عبد القاهر الجرجاني.

-قضية الصدق والكذب في الشعر .

-قضية التخييل لدى عبد القاهر الجرجاني وابن الأثير ؛ أي الصورة الشعرية التي تقترب من العقل من طريق التمويه[1].

وكان قد نتج عن هذا التيار العقلي المعتزلي عدة مؤلفات مثل : (البيان والتبيين للجاحظ ، وأسرار البلاغة ودلائل الإعجاز للجرجاني ، والموازنة بين الطائيين للآمدي ، وكتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري ، والكشاف للزمخشري) ، فكان منهج هؤلاء المنطق الصائب ، والحجة القاطعة ، والدقة في ذكر النماذج ، وطول النفس في استنتاج القضايا ، والإحاطة بها من كل جانب في هدوء العلماء المبرزين .

وكان أن نتج أيضا عن هذا التيار "(النثر الأدبي) الذي أضفى طابعه العميق في طرح القضايا ، والتشعب في دقائقها ، وقد كان له طابعه الفني الذي ميزه . وكان للبيان والبلاغة مصدرا أساسا قد ترعرعا فيه . فنجد (بشر بن المعتمر وصحيفته الشهيرة، والعتّابي، والرمّاني، والزمخشري صاحب كتاب (أساس البلاغة)، والقاضي عبد الجبار وكتابه (المغني في أبواب التوحيد والعدل) لبحث إعجاز وأسرار البلاغة القرآنية، وأبو حيان التوحيدي في كتبه (المقابسات، والامتاع والمؤانسة، ورسالته في علم

---

[1]-إحسان عباس ، تاريخ النقد الأدبي عند العرب ،ط 4 ، نشر دالر الثقافة ، بيروت – لبنان ، 1983 ، ص 10-11 .

الكتابة). ولهؤلاء النقاد أيضا ابتكارهم لموضوعات أدبيّة جديدة كـ (الأدب الساخر والمتهكّم، والحديث عن الشيء ونقيضه، ووصف الحقائق والمفاهيم المعنوية) ... وقد عُرف المعتزلة أيضاً بمقدرتهم الفذة على الجدل ... والخصائص التي نجدها في وصفهم من دقّة وشمولية ... [و] تأمّل والتدقيق وتقصّي الأشياء والظواهر المحيطة به ... والمعتزلة بسّطوا الموضوعات العلمية والفلسفية المعقّدة والشائكة، وقدّموها إلى عامّة الجمهور بأسلوب سهل مبسّط جذّاب يتميّز بالطابع الأدبي والفنّي في الطرح والتناول ... (أي إخضاع الموضوعات العلمية للأسلوب الأدبي) ... [وللمعتزلة] شعر ... لايستهان به ... في الموضوعات والأغراض المختلفة ... [كـ] الدفاع عن عقيدة الاعتزال، ومدح زعمائها، وهجْو خصومها[1]" .

و[مثال ذلك] قول بشر بن المعتمر منتصرا لمذهبهم ، رادا على من اتهمهم بالخطأ:

إن كنت تعلـم ما أقـول ومـا تقول فأنـت عالم
أو كنت تجهل ذا وذا ك فكن لأهل العلم لازم
أهل الريـاسة من ينـازعهم ريـاستهم فظـالم
لو تطلبـت ريـاسة بالجهـل أنت لها مظالم
لولا مهامـهم رأيـت الدين مضطرب الدعائم[2]

وقد تأثر بهؤلاء النقاد نقاد آخرون كـ (ابن قتيبة ، والمبرد ، وابن المعتز) فكان للأول أن "تناول مبادئ صحيفة بشر والصحيفة الهندية من حديث حول اللفظ والمعنى، ومراعاة نفسية السامعين، والانقياد إلى اللحظات التي لا يوجد فيها ما يعترض الغريزة أي الحالة النفسية للمنشيء . والتكلف ... وطبّقها جميعاً على الشعر ... ومنحها من التحليل والبسط ما رفعها فوق مستوى النصائح الموجزة . وكذلك أخذ [الثاني] ... مفهوماته عن الاستعانة والتشبيه والإيماء من المدرسة

[1]-فالح الربيعي ، أثر المعتزلة على الأدب العربي ، رسالة التقريب ، العدد 19-20 ، 1419 إيران والعرب ، (المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية) ، الأنترنيت.

[2]-م ن .

الاعتزالية ومبادئها البلاغية. وأقبل [الثالث] ... على بيان الجاحظ، فاستخرج منه مبحثه في البديع واستعار مصطلحه عن المذهب الكلامي[1]" .

وللاستدلال نذكر أهم القضايا التي خاض فيها هؤلاء النقاد (قضية المعنى) ، لنبرز جهودهم :

-"الاهتمام بإبراز المعاني المشتركة بين الشعراء : وهو اهتمام أدى إلى تتبّع السرقات ... ثم آل بهم الأمر إلى تصنيف السرقات في أنواع وضروب ... ومن صور الاهتمام بها في القرن الثالث: (كتاب سرقات الشعراء وما اتفقوا عليه) لابن السكيت (ت243هـ) ، وكتاب (إغارة كثير على الشعراء) للزبير بن بكار (ت256هـ) ، وكتاب (سرقات البحتري من أبي تمام) ، وكتاب (سرقات الشعراء) لأحمد بن أبي طاهر طيفور (ت280هـ) .

-النقد الضمني : رأى بعض المشتغلين بالشعر ممن لا يقفون موقف العداء من الشعر المحدث أن يبرزوه للناس بعمل مختارات منه ... فمن ذلك كتاب (البارع) وهو اختيار شعر المحدثين لأبي عبد الله هارون بن علي ، وكتاب (اختيار الشعراء الكبير) له أيضاً وقد أتم منه (شعر بشار ، وأبي العتاهية ، وأبي نواس) . ولأحمد بن أبي طاهر طيفور ... [كتب] (شعر بكر بن النطاح، ودعبل، ومسلم، والعتابي، ومنصور النمري، وأبي العتاهية، وبشار) وغيرهم[2] ، وللمبرد كتاب (الروضة) أختار فيه شعر المحدثين"[3].

-القصائد الطوال : تم الكشف من خلال هذا المنهج عن "حقيقة القصائد الطوال، فيكشف لنا عن جوانب جديدة تتعلق بها، ومن هذا نفهم أنه حتى القرن الثالث لم تكن تلك القصائد تسمى معلقات ... وقد أورد عن الحرمازي ثلاث روايات نسبها ... إلى غيره في ماهية تلك القصائد وفي من جمعها، وتقول إحدى تلك الروايات إن الذي جمع القصائد السبْع هو عبد الملك بن مروان نفسه ، ولم يكن في الجاهلية من جمعها قط ، وهي قصيدة (عمرو بن كلثوم ، والحارث بن حلزة ، وسويد بن أبي كاهل ، ... وأبي ذؤيب ... وعبيد بن الأبرص ... وعنترة ... ثم ... دخل عليه ابنه

---

[1]-إحسان عباس ، تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، م س ، ص 69.

[2]-م ن ، ص 71.

[3]-م ن ، ص 74.

سليمان وهو يومئذ غلام فأنشده قصيدة أوس بن مغراء ... فقال ... أدخلوا قصيدة ابن مغراء فيها[1]" .

-إعادة صياغة النظريات القديمة : كان "بعض نقاد القرن الثالث ... مخلصين للموروث الذي تلقوه عن أساتذتهم، وكانوا يَرَوْن أن الحل للمشكلات الأدبية هو تطوير النظريات التي لُقِّنوها عن أولئك الأساتذة ، وإعادة صياغتها بحيث ينفتح صدرها لشمول جميع أنواع الاعتراضات الحادثة أو شمول أكثرها، متجاوزين بذلك تزمّت ابن الأعرابي وإضرابه، لكن دون أن يبارحوا دائرة الشعر القديم، وفي طليعة هؤلاء النقاد محمد بن سلام الجمحي وأبو العباس ثعلب[2]". وكان لابن سلام في كتابه الطبقات حديث طويل حول قضية الانتحال الذي طغى على الشعر الجاهلي ، لأسباب شتى ذَكَرها.

-تقسيم الشعراء إلى طبقات : أشهر من تكلم عن فكرة الطبقات هو ابن سلام الجمحي الذي وضع معايير تقسيمه في كتابه الطبقات ومنها :

-"الفحولة : يقول : "أقصرنا من الفحول المشهورين على أربعين شاعرا . ... فقد كان الأصمعي يقسم الشعراء إلى فحول وغير فحول ... وقال : "هم فحول إلا أن الفحولة تتفاوت". [و] كان الأصمعي لا يعد الأعشى وكعب بن زهير في الفحول، فجاء ابن سلام ووضع الأعشى في الطبقة الأولى من فحول الجاهلية ، وكعباً في الثانية، وكان الأصمعي يقول في الأسود بن يعفر أنه يشبه الفحول، ولكن ابن سلام يقول : وكان الأسود شاعراً فحلاً؟ "[3] . ويقول : وهم أربعة رهط فحول شعراء موضعهم مع الأوائل ... طرفة بن العبد ... وعبيد بن الأبرص ... وعلقمة بن عبدة ... وعدي بن زيد"[4] .

---

[1]-م س ، ص 74.

[2]-م ن ، ص 77 .

[3]-ابن سلام الجمحي ، طبقات فحول الشعراء ، منشورات علي بيضون ، دار الكتب العربية ، بيروت ، دط ، 2001 ، ص 40.

[4]-م ن ، ص 58.

وقال : "ولم يتصل في ولد أحد من فحول الجاهلية ما اتصل في ولد زهير ، ولا [في] ولد أحد من الإسلاميين ما اتصل في ولد جرير[1]" .

-"التقارب من حيث الغرض والبيئة : بنى ابن سلام تقسيمه هذا على أساس التشابه أي "تشابهاً في الموضوع ؛ كأنه يجمع أصحاب المراثي في طبقة واحدة، وأن يضع (ابن قيس الرقيات ، والأحوص ، وجميل بثينة ، ونصيباً) معاً لأنهم يشتركون في الغزل، وأن يجمع بين (الرُجَّاز) في فئة ... كما أن حشد (شعراء كل قرية) [بال]نظر إلى صلتهم ببيئة واحدة"[2] .

-العودة إلى المصطلح البدوي : رغم امتلاك نقاد المعتزلة لمعايير جديدة ، ومصطلحات جديدة إلا أنهم عادوا إلى ما عمل به أساتذتهم من مصطلحات ، أي استخدام مصطلحات بدوية ، وكان أن استعمل ابن سلام الجمحي "مقاييس الأصمعي بالصياغة الجديدة ، ... [وكان لـ] مؤلِّف كتاب (قواعد الشعر) أبو العباس أحمد بن يحي ثعلب (ت 291هـ) ...[عودة] إلى [الأصول النحوية التي وضعها] الخليل بن أحمد ، فتحدث [عن]... (الخبر ، والاستخبار ، والأمر ، والنهي) [كـ] قواعد للشعر ... وأهم من ذلك كله أنه حاول أن يستوحي روح الخليل في صياغة مصطلح مبتكر ؛ فإذا كان الفراهيدي قد نظر إلى (الخباء) في وضع مصطلح العروض، ووقف الأصمعي عند (الفحل) من الجِمال في تصور الشاعرية ، فما أجراه [ثعلب] أن يقف عند (الفرس)، ولأول مرة نجد مصطلحاً نقدياً غريباً لم يعش إلا في كتاب "قواعد الشعر" ؛ وربما استوحى واضعه قول ابن الأعرابي من قبل في وصف القافية : استجيدوا القوافي فإنها حوافر الشعر . أي أنها أشرف ما في البيت لأن حوافر الفرس هي أوثق ما فيه وبها نهوضه وعليها اعتماده"[3] .

فقد عمل ثعلب بهذه الطريقة ، "وأوجد مصطلحاً مستمداً من الفرس يدور حول وصف البيت المفرد؛ فالبيت إما (معدل ، أو أغر ، أو محجل ، أو مرجل) ؛ ... فالمعدل: ما اعتدل شطراه وتكافأت حاشيتاه، وهو أقرب الأشعار من البلاغة وأشبهها بالأمثال السائرة كقول طرفة:

أرى الدهر كنزاً ناقصاً كل ليلة وما تنقص الأيام والدهر ينفد

والأغر : ما نجم من صدر البيت بتمام معناه دون عجزه كقول الخنساء:

---

[1]-م س ، ص 49.

[2]-م ن ، ص 80 .

[3]- إحسان عباس ، تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، ص 85 . عن المحتسب 2: 209 – 210.

وان صخراً لتأتم الهداة به كأنه علم في رأسه نار

والأبيات المحجلة مثالها:

فتملأ بيتنا أقطاً وسمنــاً وحسبك من غنى شبع وري

والأبيات المرجلة : هي التي لا ينتهي معناها إلا بانتهاء القافية كقول زهير:

فإن الحق مقطعه ثلاث: يمين أو نفار أو جلاء

فالأول يستقل فيه كل شطر بحكمة أو بقول مكتمل، والثاني يأتي بالقول المكتمل في الشطر الأول ويجعل الشطر الثاني تفسيراً، وينعكس الحال في النوع الثالث، أما الرابع فلا استقلال فيه بين الشطرين[1]".

-المفاضلة بين شاعرين : كانت المفاضلة بين الشعراء موجودة منذ العصر الجاهلي ، لكن لم تكن بالمعايير الدقيقة والمفصّلة كما فعل نقاد المعتزلة ، ونجد في هذه القضية عديد النقاد أبرزهم الآمدي في كتابه الموازنة بين المتنبي وخصومه . ويمكن ذكر "رسالة كتبها أبو أحمد يحي بن علي المنجم (ت300هـ) يفاضل فيها بين العباس بن الأحنف والعتابي [كأنموذج لذلك] ... قال : ما أهل نفسه العتابي قط لتقديمها على العباس بن الأحنف في الشعر، ولو خاطبه بذلك مخاطب لدفعه وأنكره ، لأنه كان عالماً لا يؤتي من معرفة بالشعر، ولم أر أحداً من العلماء بالشعر قط مثل بين العباس والعتابي فضلاً عن تقديم العتابي عليه لتباينهما في المذهب، وذلك أن العتابي متكلف ، والعباس يتدفق طبعاً، وكلام هذا سهل عذب ، وكلام ذاك متعقد كز، ولشعر هذا ماء ورقة وحلاوة، وفي شعر ذاك غلظ وجساوة، وشعر هذا في فن واحد -وهو الغزل - فأكثر فيه وأحسن، وقد افتن العتابي فلم يخرج في شيء عما وصفناه به"[2] .

-النظرة التوفيقية : نجد في هذا الاتجاه"أُناس ذوو مشارب متباينة، فيهم اللغوي المشبع بروح القديم كابي العباس المبرد، والمتكلم المتأثر بشتى ألوان الثقافات كالجاحظ، وذوو الثقافة الإسلامية الخالصة كابن قتيبة ، والشاعر المحدث كابن المعتز[3]" .

---

[1]-م س ، ص 85-86.

[2]-م ن ، ص 87-88.

[3]-م ن ، ص 89.

وعلى هذا المنهاج سار نقاد المغرب والأندلس في تناول القضايا نفسها بمنطق صائب ، وروية نادرة ، وبسط وافر ، ورؤية عميقة ، واستدلال بيّن . ومن أمثلتهم (ابن رشيق ، وحازم القرطاجني ، وعبد الكريم النهشلي ، وابن رشد) ، وغيرهم كثير . يقول **ابن رشيق** على لسان أستاذه عبد الكريم النهشلي حول قضية السرقات الأدبية : "السّرَقُ في الشعر ما نُقل معناه دون لفظه ، وأبعد في أخْذه ... واتّكال الشاعر على السرقة بلادة وعجْز ، وتكرّه كل معنى سُبق إليه جهْل ، ولكن المختار له عندي أوسط الحالات . [فقد] ... قال بعضهم : مَنْ أخذ معنى بلفظِه كما هو كان سارقا ، فإن غيّر بعض اللفظ كان سالخا ، فإن غيّر بعض المعنى ليُخفيه أو قَلَبه عن وجهه كان ذلك دليل حذقه . والاصطراف : أن يُعجَب الشاعر ببيت من الشعر فيصرفه إلى نفسه ، فإن صرفه إليه على جهة المثل فهو اختلاب واستلحاق ، وإن ادعاه جُملة فهو انتحال ... وإن كان شاعر أخذ منه غلبة فتلك الإغارة والغصب ... فإن أخذه هِبة فتلك المرافدة ، ويسمى أيضا النسخ ، فإن تساوى للمعنيان دون اللفظ وخفى الأخذ فذلك النظر والملاحظة ، وكذلك إن تضادا ودلّ أحدهما على الآخر ، ومنهم من يجعل هذا هو الإلمام ، فإن حُوّل المعنى من نسيب إلى مديح فذلك الاختلاس ... فإن أخذ بِنْيَة الكلام فقط فتلك الموازنة ، فإن جعل مكان كل لفظة ضدها فذلك هو العكس ، فإن صح أن الشاعر لم يسمع بقول الآخر –وكانا في عصر واحد– فتلك المواردة ، وإن أل ّف البيت من أبيات قد رُكب بعضها من بعض فذلك هو الالتقاط والتلفيق ، وبعضهم يسميه الاجتذاب والتركيب[1]" .

ويعتمد **ابن حزم** في عرض وجهة نظره حول الشعر بسطا وافيا ، خاضعا لمنطق صائب ، بأدلة مقنعة –كما يفعل المعتزلة عادة– ؛ حيث وضع شروطا له قائلا : "وإذا كان مع ما ذكرنا رواية شيء من الشعر فلا يكن إلا من الأشعار التي يكون فيها الحُكم ... كشعر حسان بن ثابت ، وكعب بن مالك ، وعبد الله بن رواحة رضي الله عنهم ، وكشعر صالح بن عبد القدوس ونحو ذلك . فإنها نِعم العون على تنبيه النفس . وينبغي أن ي ُتَجَنَّب من الشعر أربعة ضروب :

أحدها : (الأغزال والرقيق) ، فإنها تح ُثُّ على الصبابة ، وتدعو إلى الفتنة ، وتحُضّ على الفتوة ، وتصرِف النفس إلى الخلاعة واللذات ، وتسهّل الانهماك في الشطارة والعشق ، وتنهى عن الحقائق

[1]–ابن رشيق ، العمدة ، م س ، ص 280–281–282.

حتى أدى ربما ذلك إلى الهلاك والفساد في الدين ، وتبذير المال في الوجوه الذميمة ، وإخلاف العرض وإذهاب المروءة ، وتضييع الواجبات . وإن سماع شعر رقيق لينقض بنية المرء الرائض لنفسه حتى يحتاج إلى إصلاحها ومعاناتها برهة ، لا سيما ما كان يطي بالمذكر وصفة الخمر والخلاعة ، فإن هذا النوع يسهّل الفُسوق ، ويهرّب المعاصي ، ويردي جملة.

والضرب الثاني : الأشعار المقولة في (التصعلك وذكر الحروب) كشعر عنترة ،وعروة بن الورد ، وسعد بن ناشب ، وما هناك . فإن هذه أشعارٌ تثير النفوس وتهيّج الطبيعة ، وتسهّل على المرء موارد التَّلَف في غيرها ، وربما أدّته إلى هلاك نفسه في غير حق ، وإلى خسارة الآخرة ، مع إثارة الفِتن ، وتهوين الجِنايات والأحوال الشنيعة ، والشَّرَه إلى الظلم ، وسفْك الدِّماء .

والضرب الثالث: أشعار (التغزُّب ، وصِفات المخارج والبيد ، والمهامه) ، فإنها تسهل التحول والتغرّب ، وتُنشب المرء فيما ربما صعب عليه التخلص منه بلا معنى .

والضرب الرابع : (الهجاء) ، فإن هذا الضرب أفسَد الضروب لطالِبه ، فإنه يهوّن على المرء الكون في حالة أهل السَّفَه ... والمعاناة لصنعة ... المكتسبين بالسفاهة والنذالة والخساسة وتمزيق الأعراض ، وذِكر العورات ، وانتهاك حرم الآباء والأمهات ، وفي هذا حلول الدمار في الدنيا والآخرة.

فثم صنفان من الشعر لا يُنهى عنهما هما : (المدح والرثاء) ؛ فأما إباحتهما ، فلأن فيهما ذكر فضائل الموت والممدوح ، وهذا يقتضي راوي ذلك الشعر الرغبة في مثل ذلك الحال . وأما كراهتنا لهما ، فإن أكثر ما في هذين النوعين الكذب ، ولا خير في الكذب . وأيضا فإن الإكثار من رواية الشعر هو كسب غير محمود ؛ لأنه [من] طريق الباطل والفضول لا من طريق الحق والفضائل . ولا يظن ظان أن هذا علم جهِلنا فَذَمَمْنَاه ، فقد عَلِمَ ما داخلنا أو بلغه أمرناكيف توسّعنا في رواية الأشعار ، وكيف تمكَّنا من الإشراف على معانيها ، وكيف وقوفنا على أفانين الشعر ومحاسنه ، ومعانيه وأقسامه ، وكيف قُوَّتُنا على صناعته ، وكيف تأتّى مقصّده ومقطوعه لنا ، وكيف سهولة نظمه علينا في الإطالة فيه والتقصير، ولكن الحق أولى بما قيل"[1] . ونحن نرى كيف أن ابن حزم يبسط القضية ويوجد الأدلة في رَوِية ، حتى يجعل قارئه يقتنع بما يذهب إليه . وهو منطق العقل الذي يعمل على الإفهام في غير إملال .

---

[1]-ابن حزم ، رسائل ابن حزم ، رسالة مراتب العلوم، م س ،ص 67-68-69 .

وبهذا نجد نقاد المغرب العربي والأندلس قد اتبعوا منهج المشارقة في اعتمادهم على العقل : فقد قسموا الأفكار ، وربتبوها ، وبسطوها ، وزادوا فيها زيادة مُدْرِك بأبعاد القضايا ، وتعمقوا ، وتشعبوا فيها درجة الإتقان والإبداع.

19-قضايا النقد عند الفلاسفة :
(نماذج نصية من المشرق والمغرب والأندلس)

لما اختلط العرب بغيرهم من الأمم ك (الفرس والروم والهنود والصينيين) ، نقلوا إليهم كتبا كثيرة لعلوم شتى ، خاصة منها كتب الفلسفة . ففهِموها وترجموها وتأثرو بها وعلّقوا عليها ، ومن أمثال هؤلاء (محمد بن أبي بكر الرازي ، والفارابي ، وابن سينا) في المشرق ، (ابن زهر ، وابن طفيل ، وابن رشد)[1] في المغرب العربي . فقد عاد هؤلاء إلى كتب الفلاسفة كأفلاطون وأرسطو ، وترجموها وكانت لهم آراء مختلفة فيها ، واختلافهم يعود إلى ترجمة كل منهم لها وتأويله لما وجده فيها . وقد جاء بعدهم من خَلَفهم في هذه الآراء ، فاستنبطوا منها ما يواتي ثقافتهم ، وطبّقوه على لغتهم وخاصة الشعر منها .

1-مراحل تأثر النقاد العرب بالفلسفة :

مر النقد العربي في تأثره بالثقافة الأجنبية بمراحل ثلاثة هي:

-مرحلة "الترجمة ،

-[مرحلة] التلخيص والتفسير،

-[مرحلة]التأثر والاقتباس: ... ؛ [حيث] لم يعرف النقد العربي مصطلحات مثل (المحاكاة والتخييل) بمعناهما المتميز، وكذا اصطلاحي (المادة والصورة(اللذين نُظر إلى اللفظ والمعنى من خلالهما، وكذا مصطلح (التطهير)، وغيرها من المصطلحات[2]" . إلا بعد هذه الحركة . ولم يكن التأثر بهذا التيار الفلسفي من قِبل النقاد والبلاغيين وحسب ، بل تأثر به أيضا شعراء كأبي تمام حيث يقول:

اللهُ أكبـــرُ جاء أكبرُ من جَرتْ فتعثَّرتْ في كُنهِـــــه الأوهامُ

---

[1]-أحمد أمين ، ظهر الإسلام ، م س ، ص 292-533 وما بعدها .

[2]- محمد التجاني محجوبي ، القضايا النقدية عند فلاسفة الأندلس ، م س ، ص 55.

مَن شرَّدَ الإعدامَ عن أوطانهِ بالبذلِ حتى استُطرف الإعدامُ
وتكفَّل الأيتـــــامَ عن آبائهم حتى وَدَدْنا أننا الأيتـــامُ[1]

وابن الرومي في قوله:

شرِبتُ وقد كـــان الشّبابُ محلّلاً ليَ الـــــراحِ ما كان الكتابُ مُحرّما
وقد طابقَ الشيبُ الكتابَ فحُرِّمتْ على فيكَ تحريمين إن كنتَ مُسلِما[2]

وهو ما نلحظه على هذه الأبيات من تحديد من حيث المنطق اللغوي والمصطلحات مثل (كنهه ، طابق) ، والجناس (أكبر ، أكبر ، أيتام ، أيتام ، إعدام ، إعدام) ، والتقسيم (حرمت تحريمين) ...إلخ. وهي صنعة مغال فيها .

2-القضايا النقدية ذات الصبغة الفلسفية :

من أهم القضايا النقدية التي اتسمت بسِمة الفلسفة : (الشعر والنثر ، واللفظ والمعنى ، والطبع والصنعة ، وعيوب الشعر ، ووحدته وبنيته ، والسرقات الشعرية ، والقديم والحديث ، والموازنة بين الشعراء) . ونجدها جلها ماثلة في كتابي الخطابة ونقد الشعر لأرسطو كالآتي : "الصورة أو المقارنة، وسلامة الأسلوب ، ورسائل الإطناب ، والنبرة الخطابية ، والأسلوب المفضل والأسلوب المُقنع ، ووسائل تجميل الأسلوب ، وأجزاء الكلام[3] ، والمحاكاة وفنونها ، والفرق بين الشاعر والناظم ، ومنشأ الشعر ، واللغة ، والغناء ، ومسببات التأثير التراجيدي ، واللغة الشعرية ، واللغة والأسلوب ، ومشكلات نقدية وحلولها ، والموازنة بين الملحمة والتراجيديا[4]" .

وحسب هذا العرض للقضايا النقدية ذات الطابع الفلسفي الموجودة في كتابي (الخطابة وفن الشعر) لأرسطو ، نجد تأثرا واضحا بين الطرفين (النقد اليوناني والنقد العربي) ، وإن صُبغت القضايا النقدية الفلسفية عند العرب بطابع يتماشى وطبيعة اللغة العربية وتقاليدها الأدبية . وهذا كله نتيجة الجهود التي بذلها مترجموا هذه الكتب ومفسّروها وناقلوا علومها إلى العربية.

---

[1]-حنا الفاخوري ، تاريخ الأدب العربي ، م س ، ص 449 .

[2]-ديوان ابن الرومي ، شرح : أحمد حسن بسج ، منشورات علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط3 ، ج3 ، 2002 ، ص 255.

[3]-أرسطوطاليس ، الخطاب ، م س، ص ج وما عبدها (الفهرس) .

[4]-أرسطو ، فن الشعر ، م س، ص 284-285 .

ومن بين المصطلحات اليونانية التي أُدخلت إلى النقد العربي –بفضل هذا التأثر– نجد "(الأقاويل الشعرية ، والمحاكاة ، والتخييل) . [كما أن] ... محاولة محو الفارق بين الشعر والخطابة قد جُعلت المصطلحات المتصلة بالخطابة تُنقل إلى حيز ... الشعر . [إضافة إلى] ... أن المصطلح النقدي [قد] جمع بين مسميات البداوة [كـ] الطبع والصنعة ، والعيوب ، والوحدة ، والسرقة] وألفاظ المنطق والفلسفة . [فأضحى الحديث عن (المفهوم ، والتقسيم ، والحد ، والأصول ، والصّحة] ، وتسميات [أخرى كـ] الأزياء الحضارية [منها :] حديث ، وصورة ، وفن[1]" .

ومنه فقد عرف النقد العربي بفضل التأثر بالفلسفة اليونانية إضافات لا حصر لها سواء تعلق الأمر بالمصطلحات أو القضايا ، فاتسع مجاله ، وتعددت قضاياه ، وكان فيه الإبداع والتميز ، خاصة وأن اللغة التي طُبِّق عليها هي لغة العرب ، لغة الجمال ، لغة التأريخ ، لغة القرآن .

3–النقاد الفلاسفة وقضايا النقد :

إذا استقرأنا النقد العربي القديم ، وجدنا قضايا فلسفية قد وردت في النقد اليوناني لدى أفلاطون وأرسطو وغيرهما . وكان قد طرح هذه القضايا نقاد بارزون أمثال (ابن حزم ، وابن رشد ، وابن سينا ، وابن بسام ، وحازم القرطاجني) وغيرهم . وفيمايلي عرض لبعض هذه القضايا على ألسنة ممثليها:

–ابن حزم :

يعتمد ابن حزم في نقده على مبدأ **الأخلاق** ، كما ورد لدى أفلاطون وغيره ، فكان مما قال : "وإن كان مع ما ذكرنا رواية شيء من الشعر فلا يكن إلا من الأشعار التي فيها الحِكم والخير ، كشعر حسان بن ثابت ، وكعب بن مالك ، وعبد الله بن رواحة رضي الله عنهم ، وكشعر صالح بن عبد القدوس ونحو ذلك ، فإنها نعم العون على تنبيه النفس[2]" ،ويؤكد على ضرورة "تنجب أربعة أضرب [من الشعر] : أحدها : الأغزال والرقيق ... والضرب الثاني : الأشعار المقولة في التصعلك وذكر الحروب ... والضرب الثالث : أشعار التغرب وصفات المفاوز والبيد المهامه ... والضرب

---

[1]– إحسان عباس ، تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، م س ، ص 24.

[2]–ابن حزم ، رسائل ابن حزم الأندلسي ، تحقيق إحسان عباس ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط1 ، ج4 ، 1983 ، ص 67 .

الرابع : الهجاء [ويدعو إلى ضربين منه] لا ينهى عنها نهيا تاما ولا يُحض عليهما ، بل هما ... من المباح المكروه وهما : المدح والرثاء[1]" .

وهذه النقطة بالذات تجعل من الشعر سائرا فيما حث عليه الدين الحنيف ، فتخدمه وتهذب ممتهنه . والالتزام بالمقاييس الخلقية هو منهج النقد عند نقاد الأندلس[2] آنذاك .

-ابن رشد :

إن اطلاع ابن رشد على الثقافة اليونانية ، وفقهه للثقافة العربية ، جعله يميز بينهما ، ولا ينقل ما لدى اليونان نقلا حرفيا ، بل ينقل إلا ما يتماشى وثقافة العرب ولغتهم . وعليه فهو ناقد متمرّس يعرف ما يمكن أن يخدم الشعر العربي، وما لا يخدمه . ومثال ما نذهب إليه رأيه في كتاب (فن الشعر) لأرسطو فهو يرى أن "لا يمكن أن يكون [الكتاب] ذا جدوى للقارئ العربي إذا هو لم يطبّق ما يمكن تطبيقه من آراء أرسطو على الشعر العربي ...[ف] كثيراً من قوانين [الكتاب] خاص بأشعار اليونان، أو بأشعار (الأمم الطبيعية) ؛[ومثاله[...أن الشعر العربي يبتعد عن مدح الفضائل ، وأن ما فيه منها إنما يجيء مجيء الفخر بها لا بالحثّ عليها"[3]. وعليه لا بد أن يؤخذ من الكتاب ما يخدم الثقافة العربية والأدب العربي ، لا أن يفرض عليهما ما ليس بهما .

فيتحدث الناقد عن قضية الصدق والكذب في الشعر ، معدّا الصدق والقرب من الواقع هو من صميم الأخلاق . وجاء ذلك "حين تعرّض لـ(مجموعة الخصائص التي تكون في الفرد) سمّاها (العادات) ، وجعل شخص البطل المسرحي هو (الممدوح) ، وربط ما يطلبه أرسطو من مواءمة بين تصوير شخصيات أعلى من المستوى العادي ، وبين المحافظة على درجة من الواقعية ...[حيث] أن الشاعر [الحقّ هو الذي] يصور كل شيء بحسب ما هو عليه حتى يحاكي الأخلاق والنفس، ومثّل على ذلك بقول أبي الطيب:

أتاك يكاد الرأس يجحد عنقه وتنقد تحت الذعر منه المفاصل

---

[1]- ابن حزم : رسائل ابن حزم ، التّقريب لحد المنطق ، م س ، ص 67-68 .

[2]-أميمة إبراهيم أحمد الحار دلو ، اتجاهات النقد الأدبي في الأندلس في القرنين السادس والسابع الهجرين ، دكتوراه في الفلسفة في اللغة العربية ، إشراف : عز الدين الأمين ،كلية الدراسات العليا ، قسم اللغة العربة ، جامعة الخرطوم ، 2008، ص 132 .

3-إحسان عباس ، تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، م س ، ص 521-522.

يقوم تقويم السماطين مشْيُــه إليك إذا ما عوجته الأفاكل[1]"

ويشترط في قضية الشعـر شروطا لذلك ، يقول : "فالصناعات المخيلة ، أو التي تفعل فعل التخييل ثلاثة : صناعة اللحن ، وصناعة الوزن ، وصناعة عمل الأقاويل المحاكية ... وكثيرا ما يوجد من الأقاويل التي تسمى أشعارا ما ليس فيها من معنى الشعرية إلا الوزن فقط ، كأقاويل سقراط الموزونة ... وكذلك الفاعل أقاويل موزونة في الطبيعيات هو أحرى أن يسمى متكلما من أن يسمى شاعرا[2]" . وعليه فإن الشعر لديه هو ما اجتمع فيه كل من الوزن والمحاكاة .

كما لقضية **التغيير في القول** أيضا له فيها زاد وفير ؛ حيث يجد أن مغايرة المتكلم لما هو موجود بأسلوب يراه أليق بالمعنى ، محوّلا إياه إلى فن مؤثر فذاك هو الشعر بعينه قائلا : الشعر "إنما يكون مختلفا ، أي مُغيرا عن القول الحقيقي ... فإذا غيّر القول الحقيقي سمي شعرا أو قولا شعريا ووجد له فعل الشعر ، مثال ذلك قول [الشاعر]:

ولما قضينا من مِنى كلّ حاجــةٍ ومسحَ بالأركانِ مَـــن هو ماسِح

أخذْنا بأطرافِ الأحاديث بينَنَا وسالتْ بأعناقِ المطي الأباطح

[يقول :] وإنّما صار شعرا [لما] استعمل قوله (أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا وسالت بأعناق المطي الأباطح(بدل قوله (تحدثنا ومشينا، (وكذلك قوله: (بعيدة مهوى القُرط) ، إنما صار شعرا لأنه استعمل هذا القول بدل قوله : طويلة العنق ، وكذلك قول الآخر :

يادار أين ظِباؤكِ اللّعسُ ؟ قدْ كان لِي في إنسِها أُنْس

إنّما صار شعرا لأنّه أقام الدار مقام النّاطق بمخاطبتها، وأبدل لفظ النّساء بالظباء، وأتى بموافقة الإنس والأنس في اللفظ، وأنت إذا تأملت الأشعار المحركة وجدتها بهذه الحال، وما عدا من هذه التغييرات فليس فيه من معنى الشعرية إلا الوزن فقط . والتغييرات تكون بالموازنة والموافقة والإبدال والتشبيه ،

1-م س ، ص 524-525 .

2-أبو الوليد بن رشد ، تلخيص كتاب أرسطوطاليس في الشّعر ، ومعه جوامع الشعر للفارابي، تحقيق وتعليق : محمدسليم سالم ، يشرف على إصدارها : محمد توفيق عويضة، القاهرة ، ، (دط) ، 1971 ،ص 62 وما بعدها .

وبالجملة : بإخراج القول غير مخرج العادة ، مثل : (القلب، والحذف، والزيادة ، والنقصان، والتقديم والتّأخير، وتغيير القول من الإيجاب إلى السلب ، ومن السلب إلى الإيجاب[1]" .

ويعطي ابن رشد أمثلة لذلك قوله : "فالحذف مثل قوله تعالى [في سورة الرعد] : {وَلو أنَّ قُرآنًا سُيِّرَت بِهِ الجِبَالُ أو قطعَتْ بِهِ الأرْضُ أو كلِّم بِهِ المَوْتَى(31)} ... والتقديم والتأخير مثل قوله تعالى [في سورة البقرة] : {وَإِذِ ابْتَلَى ابْرَاهيمَ رَبُّهُ}... [و]قول النابغة :

وَلاَ عيْبَ فيهِمْ غيرَ أنَّ سُيُوفَهُم بِهِنَّ فُلُولٌ مِنْ قراعِ الكَتَائِبِ

فإنه أوجب لهم الفضائل بنفي العيوب ، واستثنى منها ما ليس بعيب ، على جهة تسمية الشيء باسم ضده ... وليس يخفى عليك أنواعها البسيطة والمركبة ... والفاصل من هذه الأشياء هو أن يستعمل من كل واحد منها ماهو أَبْين وأَظْهر وأَشْبه ... [و]هو دليل المهارة ، وهذا ... هو الذي يجمع إلى جودة الإفهام فِعْلَ الأقاويل الشعرية ، أعني تحريك النفس[2]".

وهو ما عرف بالعدول لدى النقاد أي العدول عن الأسلوب المألوف إلى ما ليس مألوفا ، حتى يحصل لدى المتلقي الإعجاب ، والمتعة ، والتأثر ، لرغبة كل نفس في التغيير والتجديد. فابن رشد لا يكتفي بالحديث عن الجمال الذي يحدثه العدول في الشعر ، بل يتعدى إلى أثره في النفس أيضا . وبه إشارة إلى الصورة التي يحدثها الشاعر تحبيبا في شيء ما أو تنفيرا منه ، فهي التي تجعل الأمور أكثر وضوحا وقربا من النفس البشرية ، فتمنحها طاقة جديدة سواء بالاستمرار في الفعل أو التوقف عنه . وعليه فهي بمثابة المحرك الذي يسيّر الأنفس . فالمبدع بفضلها إمام الأنفس نحو الفضائل ، جندي قد سخّر للحد من الرذائل .

وتفصيلا لقضية (المحاكاة) لدى أرسطو ، أو التخييل يرى ابن رشد أن: "أصناف التخييل والتشبيه ثلاثة : اثنان بسيطان ، وثالث مركب منهما ؛ أما الاثنان البسيطان فأحدهما تشبيه شيء بشيء وتمثيله به ، وذلك يكون ... بألفاظ خاصة عندهم مثل : (كأن ، وإخال ، وما أشبه) ، وهي التي تسمى عندهم (حروف التشبه) ، وأما النوع الثاني فهو أخذ الشبيه بعينه بدل الشبيه ، وهو الذي

---

[1]-أبو الوليد بن رشد ، تلخيص كتاب أرسطوطاليس في الشّعر ، ومعه جوامع الشعر للفارابي، م س ،ص 149 وما بعدها .

2-إيراهيم مفعول به مقدم ، ورب (من ربه) فاعل مؤخر ، م ن ، ص 151 ، وما بعدها

يسمى (لسان العرب) في هذه الصناعة ، مثل قولهـ تعالى [في سورة الأحزاب] : {وَأَزْواجُهُم أُمَّهاتهُم (6)} ... وينبغي أن تعلم أن في هذا القسم تدخل الأنواع التي يسميها أهل زماننا (استعارة وكناية) ،فالاستعارة مثل قول القائل : وعُرى أفراس الصبي ورواحله ، والكناية مثل قوله تعالى [في سورة النساء] : {أوجَاءَ أَحَد مِنكُمْ مِنَ الغَائِطِ (43)} وأما القسم الثاني فهو أن يبدل التشبيه مثل أن تقول : (الشمس كأنها فلانة ، أو الشمس هي فلانة) ، و[هو التشبيه المعكوس] ... ، والصنف الثالث من الأقاويل الشعرية هو المركب من هذين"[1].

ويدقق ابن رشد الحديث عن القضية ، فيعدّ "المحاكاة البسيطة هي التي يستعمل فيها أحد نوعي التخييل ... [أو ما] يسمى (الإدارة) ، أو النوع الذي يسمى (الاستدلال) ، وأما المحاكاة المركبة فهي التي يستعمل فيها الصنفان جميعاً، وذلك إما أن يبتدئ بالإدارة ثم ينتقل منه إلى الاستدلال أو يبتدئ بالاستدلال ثم ينتقل منه إلى الإدارة"[2].

قال : "وأعني بالإدارة محاكاة ضد المقصود مدحه أولا بما ينفّر النفس عنه ، ثم ينتقل منه إلى محاكاة الممدوح نفسه ، ثم لأنه إذا أراد أن يحاكي السعادة وأهلها ابتدأ أولا بمحاكاة الشقاوة وأهلها ثم ينتقل إلى محاكاة أهل السعادة ، وذلك بضد ما حاكى به أهل السعادة . وأما الاستدلال فهو محاكاة الشيء فقط ... وأحسن استدلال ما خلط بالإدارة . مثل قول أبي الطيب:

كَمْ زَوْرَةً لَكَ في الأعراب خَافِيَةٍ أدهى وَقَدْ رَقَدوا مِن زَوْرَة الذِيبِ

أزورهم وســـواد الليل يشفع لي وأنثني وبيـــاض الصبح يغري بي

فإن البيت الأول هو (استدلال) والثاني (إدارة) ، ولما جمع هذان البيتان صنفي المحاكاة كانا في غاية الحسن[3]" .

ولا يتوقف الأمر عنده في تصنيف أنواع التشبيه العامة فقط ، بل تعداه إلى ذكر تفريعاته أيضا. فـ "الاستدلالات (الانكشافات) [أو التشبيهات عنده هي]: ...

1-أبو الوليد بن رشد ، تلخيص كتاب أرسطو طاليس في الشعر ، ومعه جوامع الشعر للفارابي ، م س ، ص 58-59.

2-م ن ، ص 94.

3-م ن ، ص 95-96 .

"أن يلتزم [الشاعر] في تخيلاته ومحاكاته الأشياء التي جرت العادة باستعمالها في التشبيه ، وألا يتعدى في ذلك طريقة الشعر ، قال : وأنواع الاستدلالات التي تجري هذا المجرى أعني المحاكاة الجارية مجرى الجودة وعلى الطريق الصناعي ، أنواع كثيرة ، فمنها :

°-أن تكون المحاكاة لأشياء محسوسة بأشياء محسوسة ، من شأنها أن توقع الشك لمن ينظر إليها وتوهم أنها هي ، لاشتراكهما في أحوال محسوسة ، وذلك مثل تسميتهم لبعض ... رفاتا ... لأنها من جهة الشكل يمكن أن يتوهم متوهم أنها هي . وجل تشبيهات العرب راجعة إلى هذا الموضع، ولذلك كانت حروف التشبيه عندهم تقتضي الشك ، وكلما كانت هذه المتوهمات أقرب إلى وقوع الشك كانت أتم تشبيها ، ولما كانت أبعد من وقوع الشك كانت أنقص تشبيها .

°-أن تكون المحاكاة لأمور معنوية بأمور محسوسة ، مثل قولهم في المئة : إنها (طوق العنق) ، وما كان منها غير مناسب ... ما يوجد في أشعار المحدثين وبخاصة أبي تمام (لا تسقني ماء الملام) ، كذلك ينبغي أن يكون التشبيه بالخسيس مطروحا أيضا ، و[يترك] ... الأشياء الفاضلة ؛ فمثلا تشبيه بالخسيس قول راجز (والشمس مائلة ولما تفعل فكأنها في الأفق عين الأحول) . وهناك أشعار هي في باب التصديق والإقناع أدخل منها في باب التخييل كقول أبي الطيب (ليس التكحل في العينين كالكحل(.

°-المحاكاة التي تقع بالتذكر، وذلك أن يورد الشاعر شيئا ثم يتذكر به شيئا آخر ... مثل أن يرى إنسان خط إنسان ، فيتذكره ، فيحزن عليه إن كان ميتا ، ويتشوق إليه إن كان حيا ، ومن ذلك النوع ، مثل قول متمم بن نويرة:

وقالوا : أتبكي كل قبر رأيتـــه لقبر ثوى بين اللوى والدكادك

فقلت لهم : إن الأسى يبعث الأسى دعوني فهذا كله قبر مالك

ومنه ما جاء في شعر العرب من ذكر الطيف، وتصرفهم فيه كثير التفنن .

°-أن تكون المحاكاة بذكر شخص ما شبيه بشخص آخر ... مثل قول امرئ القيس (وتعرف فيه من أبيه شمائلا).

°-ما يستعمله السوفسطائيون من الشعراء ، وهو الغلو الكاذب كقول أبي الطيب:

عَدُوُّكَ مَذْمُومٌ بِكُلِّ لِسَانِ وَلَوْ كانَ مِنْ أعدائِكَ القَمَرَانِ

وهذا كثير في أشعار العرب وليس نجد في الكتاب العزيز[القرآن] منه شيئا.

°-إقامة الجمادات مقام الناطقين في مخاطباتهم ، إذا كانت منها أحوال تدل على النطق كقول عنترة :

أعْيَاكَ رَسْمُ الدَّارِ لم يتكلم حتى تكلَّمَ كالأَصَمِّ الأعجَمِ
يَا دارَ عبْلَةَ بالجوارِ تَكَلَّمِي وعمِي صَبَاحًا دار عبلَةَ واسْلِمي

[و]كقول المجنون:

وأجهشتُ للثوبانِ حين رأيتــه وهلَّلَ للرحمن حيـــــن رآني
فقلت له أين الذين عهدتُّــم حـــواليك في خصب وطيب زمان
فقال مَضَوْا واستودعوني بلادَهم ومَن ذا الذي يبقَى على الحَدَثَان

منه مخاطبتهم الديار والأطلال ومجاوبتها[1]" .

نجده أيضا يتحدث عن قضية "الحل والربط في المسرحية هما (حسن التخلص) . كذلك نقل الحل والربط في المسرحية عن حقيقتهما حين فهم منهما أن الربط يشبه البيت الرابط بين الغزل والمدح أي بيت التخلص، وأن الحل هو عدم إيراده والاكتفاء بقول: (دع ذا ، وعد عن ذا)[2]" .

وهذه المسائل النقدية التي طرقها ابن رشد في غاية الأهمية والدقة ، تدل على تمرُّس صاحبها في ميدان الفلسفة ، وفقهه ما جاء لدى اليونان ، وماهو كائن لدى العرب ، وقد زاوج بينهما دون التحيز إلى أحدهما ، مستندا في ذلك إلى علم صحيح ، ومنطق صائب.

-الفارابي :

عالج الفارابي قضية التخييل في الشعر ، وقد كان "صاحب الريادة في استعمال [ه]...[إذ]اقتدى... بمن سبقه من النقلة والملخصين في استعمال الكلمة، وإن كان المحّققون للنّص

1- أبو الوليد بن رشد ، تلخيص كتاب أرسطو طاليس في الشعر ، م س ، ص 111 وما وراءها .
الأبيات على التوالي :
-ديوان المتنبي ، م س ، ص 475 .
-وديوان قيس بن الملوح ، مجنون ليلى ، رواية أبي بكر الوابي ، دراسة وتعليق : يسرى عبد الغني ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1999 ، ص 64 .
-وشرح ديوان عنترة ، الخطيب التبريزي ، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه : مجيد طراد ، الناشر : دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1992 ، ص 147-148 .
2-م ن ، ص 523 .

الأصلي لكتاب الشعر يرون في كلمتي (التجميل ، والّتبجيل) المقابل الأنسب لما ورد في الأصل، بدلا من الّتخييل[1]". فالفرابي "لم يعرّف...الّتخييل، وإّنما أشار إلى أثره النفسي ؛ إذ يقول : استماعنا الأقاويل الشعرية [وما] ... يقع عنها في أنفسنا، شبيه بما يعرض عند نظرنا إلى الشيء الذي يشبه ما نعاف؛ فإننا من ساعتنا يخيّل لنا في ذلك الشيء أنه مما يُعاف، فتنفر أنفسنا منه فنتجنبه، وإن تيقّنا أنه ليس في الحقيقة كما خُيّل لنا، فنفعل فيما تُخيّله لنا الأقاويل الشعرية... فإن الإنسان كثيرا ما تتبع أفكاره تخيلاته[2]" .

وعليه كان للفرابي نظرته الدقيقة إلى المسألة ، فيعد الشعر مما يصنع العوالم الجميلة للمتلقي ، فهو الذي يجعلها رائعة ، وهو الذي يجعلها دون ذلك إن شاء ، فصوره التي يرسمها من طريق الشعر تثير في المتلقي أحاسيس الفرح والسعادة ، أو الحزن والأسى . فقضية التخييل لديه أساس يقصده المبدع منذ البداية ، وهو ما عُرف في النقد العربي بأغراض الشعر من (مدح ، وهجاء ، وغزل ، ونسيب ، ورثاء) . فالمتلقي رهين لما يأتي به الشعراء ، فهم فرسانه ، وعينه التي يرى بها الأشياء . إن عشق رسم لهم عالما يفيض رقة ، وإن سخط رسم لهم عالما تمجه الأنفس . فالأقاويل الشعرية (التخييل) –كما يسميها الفارابي– هي التي تبث في المتلقي مشاعر الحب والكره .

–حازم القرطاجني :

يتناول حازم قضية النظم ؛ حيث يربطها بالشعر وما يتعلق به من أبيات وأوزان ، وأفكار ، ومشاعر ، ونحو ، وأغراض ، وطبع ، وموهبة ...إلخ . ويفصّل محمد التجاني رأي حازم في القضية بقوله : "يأتي حازم ليصبح مصطلح (الّنظم) شاملا... للتعبير... [عن] كلام موزون، وبذلك يشمل الكلام على تفصيل أجزاء القصيدة، والانتقال من فصل إلى فصل، والربط بين أجزاء الفصول ،وبين الفصول بعضها مع بعض، وبذلك كان حازم أكثر النّقاد اهتماما بوحدة القصيدة. وليس لهذا من تفسير سوى اطّلاع الرجل على فكرة الوحدة عند أرسطو في كتاب الشعر ،[3]ويشمل الّنظم عند حازم الصناعة الشعرية كّلها[4] ، فهو يبدأ من (تصور الغرض الذي ينحو الشاعر نحوه ، واستحضار

---

[1]– محمد التجاني محجوبي ، القضايا النقدية عند فلاسفة الأندلس ، م س ، ص 115–116 .

[2]– م ن ، ص 115–116 ، عن :الفارابي : إحصاء العلوم، ص81 .

[3]– م ن ، ص 181 .

[4]– م ن ، ص 180–181 .

معانيه، إلى اختيار الأوزان والعبارات) . ووصف النّظم صناعة آلتها الطبع، والطبع هو استكمال للنّفس في الألفاظ. وهو يعرّف [النظم] بقوله : "النظم صناعة آلتها الطبع ، والطبع هو استكمال للنفس في فهم أسرار الكلام، والبصيرة بالمذاهب والأغراض التي من شأن الكلام الشعري أن ينحى به نحوها، فإذا أحطْت بذلك عِلما، قويتَ على صوغ الكلام بحسبه عملا، وكان النّفوذ في مقاصد النّظم وأغراضه، وحسن التّصرف في مذاهبه وأنحائه؛ وإنّما يكونان بقوى فكرية، واهتداءات خاطرية، تتفاوت فيها أفكار الشعراء[1]" . وقد صنفها كمايلي :

"القوة على التشبيه ... القوة على تصور كليات الشعر ... والمقاصد الواقعة فيها ... والمعاني الواقعة في تلك المقاصد ... القوة على تصور صورة للقصيدة ... القوة على تخيل المعاني ... القوة على ملاحظة الوجوه التي يقع التناسب [فيها] بين المعاني ... القوة على التهدي إلى العبارات الحسنة ... القوة على ... تسيير تلك العبارات متزنة ... القوة على ...[الانتقال] من حيز إلى حيز ... القوة على وصل بعض الفصول ببعض الأبيات ... القوة المائزة بين حسن الكلام من قبيحه[2]" .

فكان استيعاب حازم لكتاب الشعر عند أرسطو واضحا ، فهو قد تعمق في قضية النظم إلى أبعد الحدود ، فحين يتكلم عن أسرار الكلام ، كأنه قد تكلم عن قضايا البلاغة في كل من النثر والشعر معا ، وهو في حديثه عن فكرة الإبداع في الشعر انطلاقا من (الفكرة ، إلى القالب ، إلى الوحدة النصية ، إلى الغرض العام من كل ذلك) ، قد حدد مسار المبدع من البداية حتى النهاية ؛ أي الصناعة في حد ذاتها . إنه بحديثه عن النظم وبسطه لشروطه كأنه قد جمع قضايا النقد العربي كلها في قضية واحدة ، فالنظم لديه هو كل ما تعلق بالنص والمبدع في آن واحد ، وهو أيضا متعلق بالمتلقي وما يجب توفيره من قبل المبدع لتكون العملية ناجحة. فنجاح المبدع ينطلق من مراحل إبداعه الأولى (رغبته في النظم ، فاختياره للموضوع ، فانتقاؤه لوسائله اللغوية ، فصبها في قالب معين ، فمواتاة القالب لما سنته العرب من أوزان ، فسيره وفق قوانين اللغة المتعارف عليها ، فالتجديد والإبداع تماشيا مع ما يقتضيه الغرض والمقصود من النظم ، فمراعاة ما يطوق إليه المتلقي من حسن وتجديد ...إلخ) ، وصولا إلى إلقاء صناعته بين يدي المرسل إليه.

---

[1]- حازم القرطاجني : منهاج البلغاء وسراج الأدباء م س ، ص 199 .

[2]- م ن ، ص 201.

وعليه فالنظم لدى حازم علم واسع ، يفقهه جهابذة الكلام ، ويبْلغه المتدارسون لمَناحيه ، إنه -بحق- يشمل علوم العربية كلها من (نحو ، وصرف ، وبلاغة ، وعروض ، ودلالة ، وفقه لغة) ...إلخ.

-ابن سينا :

يتناول ابن سينا قضية المحاكاة ، ويوضّح الفرق بين العرب واليونانيين في تناولها ؛ فهي عنده تجمع بين الصدق والكذب في الشعر ، فالصدق نقل الشاعر الواقع كما هو ، والكذب نقل الواقع مع التغيير فيه لغرض فني . والعرب يشْبِهون اليونانيين في اعتبار المحاكاة عُجْب أو فن ، يقول : "كانت (العرب) تقول الشعر لوجهين : أحدهما ليؤثر في النفس أمراً من الأمور تعد به نحو فعل أو انفعال ، والثاني للعجب فقط ؛ فكانت تشبّه كل شيء لتعجب بحسن التشبيه، وأما اليونانيون فكانوا يقصدون أن يحثوا بالقول على فعل ، أو يردعوا بالقول عن فعل ، وتارة كانوا يفعلون ذلك على سبيل الخطابة ، وتارة على سبيل الشعر[1] ، والدليل على فرحهم بالمحاكاة أنهم يُسَرُّون بتأمل الصور المنقوشة للحيوانات الكريهة والمتقذر منها، ولو شاهدوها أنفسها لتنكبوا عنها "[2] .

وعليه فالمحاكاة عند ابن سينا نقل للواقع صدقا كان أو كذبا ، الغرض التأثير في المتلقي سلبا أو إيجابا . وهو بذلك يساوي بين ما يراه اليونانيون وما هو موجود لدى العرب . فالغرض واحد هو تفعيل المتلقي وفقا لما يريده المبدع.

-ابن بسام :

كان توجّه ابن بسام النقدي معاديا لفكرة "التفلسف في الشعر ، و... إيراد المعاني الإلحادية فيه ؛ [فكان وازعه دينيا بحتا ، ومثاله أن] أورد قصيدة للسميسر يقول فيها:

يا ليتنا لم نَكُ من آدم أوْرَطَنا في شبَهِ الأسْر

إن كان قد أخرَجَهُ ذَنْبَهَ فما لنا نُشرَك في الأمْر

فحمل عليه بشدة قائلاً : "والسميسر في هذا الكلام ممن أخذ الغلو بالتقليد ، ونادى الحكمة من مكان بعيد ، صرّح عن عمى بصيرته ، ونشر مطوي سريرته ، في غير معنى بديع ، ولا

1-إحسان عباس ، تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، م س ، ص 413-415 .

2-م ن ، ص 414 .

لفظ مطبوع ، ولعله أراد أن يتبع أبا العلاء ، [فيما كان ينظمه من سخيف الآراء] ... ومجه في قصر باعه ، وضيق ذراعه ، أين هو من حُسن إبداعه ولطف اختراعه[1]" . وعليه كان الإلحاد مَفْسَدَة للشعر العربي —حسب ابن سينا–، خاصة وأن المتلقي العربي يمقته ويتجنبه منذ بدايات الشعر الأولى ، فما بالك وهو قد مسح الإسلام قلبه وعقله من كل الشوائب . وبه قد أثبت ابن بسام أن دخول الإلحاد في الشعر يذهبه ماؤه ورونقه.

ويتضح موقف ابن بسام الأخلاقي أيضا حين "أورد أبياتاً فلسفية لأبي عامر بن نوار الشنتريني ، يقول فيها:

يا لقومي دفنوني ومضَوا وبنوا في الطين فوقي ما بَنوا
ليت شعري إذ رأوْني ميّتـاً وبكَـوْني أي جـزاي بَكوا
ما أراهم نَدَبوا فيّ سِـوى فرقـة التأليف إن كانوا دَروا

[وعلق عليها بقوله:] وهذا معنى فلسفي قلّما عرّج عليه عربي ، وإنما فزع إليه المحدثون من الشعراء حين ضاق عنهم منهج الصواب ، وعدموا رونق كلام الأعراب . فاستراحوا إلى هذا الهذيان استراحة الجبان إلى تنقص أقرانه ، واستجادة سيفه وسنانه . وقد قال بعض أهل النقد : إنه عيب في الشعر والنثر أن يأتي الشاعر أو الكاتب بكلمة من كلام الأطباء أو بألفاظ الفلاسفة القدماء . وإني لأعجب من أبي الطيب على سِعة نفسه وذكاء قبسه ، فإنه أطال قرع هذا الباب ، والتمرس بهذه الأسباب ، وكذلك المعري كثُر به انتزاعه ، وطال إليه إيضاعه ، حتى قال فيه أعداؤه وأشياعه[2]".

ومنه نستنتج رأي ابن بسام النقدي ؛ حيث كان رافضا فكرة تداخل العلوم والفنون ؛ إذ ينفرد الشعر العربي بخصائص تمنحه جلاله ونقاؤه وبهاؤه ، وخروج الشعراء عنها فيه إفساد وإبعاد له عن المقاصد التي وجد من أجلها.

وبه يتضح مذهب ابن بسام في الشعر ، فهو متمسك بالأخلاق العربية الإسلامية ، ويرى في الابتعاد عنها والتأثر بالفلسفة اليونانية وما جاء فيها من عادات وفساد ، يعيب الأدب ، ويقلل من قيمته التي عُرف بها ، ويُنزله منزلة الكلام اليومي الذي لا نشوة فيه ، ولا رونق ، ولا فن ، ولا إبداع .

1–أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني ، الذخيرة ي محاسن أهل الجزيرة ، تحقيق : إحسان عباس ، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، ج1 ، 1979 ، ص 890 .

2–م ن ، ج2 .

فالتأثر بالفلسفة دون حذَر أمْر في غاية الخطر على ما ورثه العرب عن أجدادهم من فن . وحجر عثرة أمام الاستمرار فيه ، فهو قتل بل وإبادة.

من خلال ما سبق من آراء معالِجة لقضايا النقد العربي المتأثر بالثقافة اليونانية وخاصة الفلسفة منها ، نجد أن الفلسفة اليونانية قد أضافت الكثير إلى النقد العربي ، ونقلته نقلة نوعية نحو الأمام . لكن كل من نقاد العرب قد فسّرها بطريقته ، وأخذها المأخذ الذي رآه.

20-مفهوم النثر في التراث النقدي
(نماذج نصية من المشرق والأندلس والمغرب)

إن المطلع على اهتمام النقاد القدماء بقضية النثر ، يجدهم بين مُقْدِم مستحسن ، وبين ملتفت إلى الشعر مستجيد له . والأمر أن بلاغة القرآن الكريم وإعجازه جعل هؤلاء في بحث طويل حول مواطن الحسن والجمال والتأثير في النص الأدبي . فجمعوا النصوص بمختلف أصنافها من (شعر ، وحديث ، وخطابة ، ومقامة ...إلخ) ليجدوا أنفسهم يسيرون في مسار الشعر ، والإفاضة في البحث فيه . لأنه –حسبهم– أقرب للجمال لما يحمله من إيقاع وتخييل . لكن الأمر لا يتعلق بالمقامات والخطب وحسب ، لأنها حلبة جهابذة الكلام ، وإنما الأمر متعلق بحديث النبي محمد (ص) . وهو لا ينطق عن الهوى . إنه بأمر من خالقه . فحديثه أبلغ من كلام كل البشر.

فبين كل هذه الاختلافات وجد النقاد أنفسهم مجبرين على البحث ، غير قادرين على الجزم . خاصة إذا تعلق الأمر بقوله جل وعلا (القرآن الكريم) . فطال اجتهادهم ، وكثر جدلهم . ولم يقفوا إلا على النزر القليل مما مُنح لهم من قدرة . لذا نجد البحث في إعطاء مفهوم حاصِرٍ للنثر والشعر يختلف بين هذا وذاك . وكانت الإفاضة حول الشعر ، وما يمكن معرفته عن النثر في المشرق إلا من خلال ما ورد عن الشعر . وأبرز ما هناك كتاب (عيار الشعر) **لأبي الحسن بن طباطبا** الأصفهاني العلوي (ت 322هـ) الذي يُفْصِح أن الشعر "كلام منظوم بائن عن المنثور الذي يستعمله الناس في مخاطباتهم"[1]. وعليه فإن الشعر –حسبه– له نظام خاص يميزه عن النثر ، وللنثر ما يميزه عن

1–محمد أحمد بن طباطبا العلوي ، عيار الشعر ، شرح وتحقيق : عباس عبد الساتر ، مراجعة : نعيم زرزور ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان ، ط2 ، 2005 ، ص 9 .

الشعر . فإذا كان الشعر ينماز بالوزن (الإيقاع) ، فالنثر لا ، وإن كان الشعر ينماز بالتقفية ، فالنثر له قافيته التي تميزه من (سجع أو فاصلة) ، وإن كان الشعر له أهداف كـ(المدح والذم والغزل) وغيرها ، فإن للنثر أهداف كـ(النصح والإرشاد والتهديد والوعيد) . وإن كان شكل الشعر في مبناه يختلف عن النثر ؛ فإن الأول يحكمه نظام البيت ، والثاني يميزه الاسترسال .

ونجد ذلك أكثر تفسيرا عند أبي علي أحمد بن محمد بن الحسن **المرزوقي** (ت421هـ) ؛ حيث يقول في شرحه لديوان الحماسة لأبي تمام : إن أسباب"قلة المترسلين ، وكثرة المفلقين ، وعز من جمع بين النوعين مبرزا فيهما : فهو أن مبنى الترسل على أن يكون واضح المنهج ، سهل المعنى ، متسع الباع ، واسع النطاق ، تدل لوائحه وظواهره على باطنه . إذ كان موْرِده على أسماع مفترقة : من خاصي وعامي ، وأفهام مختلفة : من ذكي وغبي ، فمتى كان متسهّلا متساويا ، ومتسلسلا متجاوبا تاوت الآذان في تلقيه ، والأفهام في درايته ، والألسن في روايته ، فيُسمع شارده إذا استدعى ، ويُتوجل وافده إذا استدنى ، وإن تطاول أنفاس فصوله ، وتباعد أطراف حزونه وسهوله. ومبنى الشعر على العكس من جميع ذلك ، لأنه مبني على أوزان مقدّرة ، وحذوف مقسمة ، وقوافي يساق ما قبلها إليها مهيأة ، وعلى أن يقوم كل بيت بنفسه غير مُفْتَقِر إلى غيره إلا ما يكون مُضَمنا بأخيه وهو عيب فيه . فلما كان مَداه لا يمتد بأكثر من مقدار عروضه وضربه ، وكلاهما قليل، وكان الشاعر يعمل بيتا وكل بيت يتقاضاه بالاتحاد وجب أن يكون الفضل في أكثر الأحوال في المعنى أن يبلغ الشاعر في تلطيفه ، والأخذ من حواشيه حتى يتسع اللفظ له فيؤديه على غموضه وخفائه ... [ف] يصير المدرك له والمشرف عليه كالفائز بذخيرة يغتنمها ، والظافر بدفينة استخرجها ... فكل ما يُحمد في الترسّل ويُختار ، يُذم في الشعر ويُبغض. وأما السبب في قلة البلغاء وكثرة الشعراء ، ونباهة أولئك وخمول هؤلاء ؛ فهو أن المترسل محتاج إلى مراعاة أمور كثيرة إن أهملها أو أهمل شيئا منها رجعت النقيصة إليها ، وتوجهت النقمة علة ومنها : تبيين مقادير من يكتب عنه وإليه ، حتى لا يرفع وضيعا ، ولا يضع رفيعا ، ومنها وزن الألفاظ التي استعملها في تصاريفه ، حتى تجيء لائقة بمن يخاطَب بها . مفخّمة أحضرت بسلطانه التي يصدر عنها . ومنها أن يعرف أحوال الزمان ، وعوارض

في الحدثان ، فتتصرف معها على مقاديرها في النقض والإبرام ، والبسط والانقباض . ومنها أن يعلم أوقات الإسهاب والتطويل ، والإيجاز والتخفيف ؛ فقد يتفق ما يحتاج فيه إلى الإكثار حتى يستغرق في الرسالة الواحدة أقدار الرسائل الطويلة . ويتفق أيضا ما تفي فيه الإشارة وما يجري مجرى الوحي في الدلالة ، ومنها ما يُعرف من أحكام الشريعة ما يقف به سواء السبيل ، ولا يشتط في الحكومة ، ولا يعْجل منها بخط عن المحجة ، فهو إنما يترسل في عهود الوُلاّة والقُضاة ، وتأكيد البيْعة والإيمان ، وعمارة البُلدان ، وإصلاح فسادٍ ، وتحريضٍ على جهاد ، وسدّ ثغور ، ورتْق فتوق ، واحتجاج على فئة أو مجادلة مِلّة ، أو دعاء إلى أُلفة ، أو نهي عن فرقة ، أو تهنئة بعَطية ، أو تعزية برزية ، أو ما شاكل ذلك ، وما حلائل الخطوب ، وعظائم الأمور التي يحتاج فيها إلى أدوات كثيرة، ومعرفة مفتنة . فلما صار الأمر على هذا صار وجود المضطلعين بجودة النثر أكثر ، وعددهم أنزر ، وقد وسمتهم الكتابة بشَرَفها . لأنهم بمنزلة رِياسَتها ، فأفكارهم عالية بحسب عُلُو صناعتهم ومقاصد رياستهم ، وشدة الفاقة إلى كفايتهم . والشعراء إنما أغراضهم التي يسددون نحوها ، وغاياتهم التي ينزعون إليها : وصف الديار والآثار ، والحنين إلى المعاهد والأوقات ، والتشييد بالنساء ، والتلطيف في الاحتداء ، وفي المديح والهجاء ، والمبالغة في التشبيه والأوصاف ، فإذا كان كذلك لم يتدلفوا في المضمار ، ولا تقاربوا في المقدار"[1] .

فرغم طول ما تحدث به المرزوقي عن قيمة النثر مقارنة بغريمه الشعر ، نجده قد فصّل بين خصائص كل منهما وأهدافه . درجة تدل على وعي نقدي كبير من قبله ، واطلاع غير يسير على ما ورد من كتابات المشارقة عن النثر . فرؤية المرزوقي دقيقة درجة تدل على ممارسته لفن النثر دون مجادل فلا يمكن لرجل أن ينظر بهذه الدقة إلى فن من الفنون إلا إذا خبره حق خبرة .

فمن خلال ابن طباطبا والمرزوقي نفهم أن للنثر شرفه الذي لا يضاهيه الشعر . وبه تميز وانماز، وأبرز نموذج على ذلك القرآن الكريم والحديث الشريف.

---

[1]-المرزوقي ، شرح ديوان الحماسة ، م س ، ص 17-18 .

ولا يذهب أبو القاسم محمد بن عبد الغفور **الكلاعي** بعيدا عن ذلك ، فهو قد أل ّف في الموضوع أكثر من كتاب ، فالرجل باهتمامه الكبير بالنقد "يمثل وعياً نقدياً بارزاً بين أقرانه ... فمن كتبه المتصلة بهذا الموضوع كتاب (ثمرة الأدب) ، وكتاب (الانتصار لأبي الطيب) ، ورسالته في (إحكام صنعة الكلام)[1]" .

وإذا خصصنا بالقراءة رسالته (إحكام صنعة الكلام) فإنها "تتناول النثر بالقواعد والأمثلة، فبعد مقدمات قسّم الرسالة في بابين : ... الأول في الكتابة وآدابها، و... الثاني في ضروب الكلام وهي : الترسيل والتوقيع والخطبة والحكم والأمثال والمقامة والحكاية والتوثيق والتأليف ، (وقد أدرج مع هذه التي تعد أنواعاً على الحقيقة فصلاً في المورّى والمعمّى) ، ثم انصرف إلى الأسلوب نفسه ، فاختار السجع وقسّمه إلى المنقاد والمستجلب والمضارع والمشكل.

ومن هذه القسمة يتجلى لنا أن وقفة الكلاعي عند أنواع النثر ت ُعد هامة في تاريخ النثر العربي، لأنه استطاع أن يحدّد الأنواع بدقة ووضوح، وأن ينصرف عن التحدث في أنواع البديع ، لأن غيره قد أشبعها بحثاً؛ وانصرف هو إلى ابتكار مصطلح جديد لضروب النثر : فالترسيل في نظره أقسام منها :

-العاطل : لقلة تحليته بالأسجاع والفواصل ، وهو أصل النثر ، إذ التجمل بكثرة السجع طارئ.

-الحالي : وهو ما حُلي بح ُسن العبارة ، ولُطف الإشارة ، وبدائع التمثيل والاستعارة ، وزادت العناية فيه بالسجع دون غلبة لهذا السجع عليه.

-المصنوع : وهو ما ن ُمِّق بالتصنيع ، ووُشِّح بأنواع البديع ، وحُلّي بكثرة الفواصل والأسجاع.

-المرص ّع : وهو ما رُصع بالأخبار ، والأمثال ، والأشعار ، والآيات ، والأحاديث ، وجرى فيه حل أبيات القريض.

-المغصن : وهو ما كان ذا فروع وأغصان ؛ بحيث تتم المقابلة فيه متوازية ، فمن مقابلة أربع بأربع : (ومن السلام سلام وإن لاح جوهراً ، ومن الكلام كلام وإن فاح عنبرا) .

-المفص ّل : وهو ما تراوح فيه المنثور والمنظوم على التوالي.

-المبتدع : وهو ما يقرأ فيه كلمات من جهتين وثلاث وربما أربع"[2] .

---

[1]-إحسان عباس ، تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، م س ، ص 509.

[2]-م ن ، ص 511.

فالكلاعي بتقسيمه هذا لأنواع النثر دلّ على بعد نظر ، ودقة تمييز ، وقراءة عميقة لما اجتمع في عصره من أقوال عن النثر ، فنظرته كانت نظرة الفاحص المتعمق الباحث المتمرس ، المبدع في ميدان النقد . وعليه فإن النثر العربي قد تطور وتنوع ، ليتطور معه النقد ، آخذا مكانه بالموازاة مع الشعر حينا ، ومنافِسا له حينا آخر ، خاصة إن تعلق الأمر بكلام الله جل وعلا.

21-النقد وقضية الإعجاز
(نماذج نصية من المشرق والأندلس والمغرب) .

إن حكاية الإعجاز بدأت منذ نزول القرآن الكريم ؛ حيث عدّه المكذبون كلام بَشر ، وأن الرسول محمد (ص) قد ادّعى النبوة . لكن جاء الرد منه جل شأنه وسلطانه في سورة البقرة بقوله : {إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (23) فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وُقُودُهَا النَّاسُ وَالحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ(24)} ، ومن اعتراف بامتيازه وتميزه عن بلاغة العرب قول الوليد بن المغيرة : "إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة ، وإن أسفله لمغدق ، وإن أعلاه لمثمر[1]" . هذا الأمر زاد الكفار رهبة وخوفا مما أُنزِل .

ولما جاء عصر النقد العلمي ، والبحث في محاسن الكلام وبلاغته انطلاقا من منطق أرسطو والمعايير النقدية التي نُقلت آنذاك . بحث النقاد في أسرار الإعجاز ، فالكل قد صال وجال من منطلقه ومتسعه ومغزى بحثه . فكان ممن بحث في هذا الموضوع : (الرماني ، والخطابي ، والباقلاني ، وأبو هلال العسكري ، وعبد القاهر الجرجاني) وغيرهم كثير . وفيمايلي عرض لما وَرد في كتبهم وما استُخلص من آرائهم:

-أبو القاسم الحسن بن بشر **الآمدي**(ت370هـ) : وضع هذا الرجل نظريته النقدية (اللاتعليل) ، وهي "أقرب النظريات ... التي يمكن أن تخدم البحث في الإعجاز"[2]. فكانت نظرية الآمدي النقدية "تعتمد على ... إبراز دور الناقد الكفؤ الذي يجب أن يُصغي الآخرون إلى

1-عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز في علم المعاني ، م س ، ص 336-337 .

2-إحسان عباس ، تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، م س ، ص 337.

حُكمه سواء استطاع التعليل أو لم يستطع ... وذلك يعني أن هناك دائرة في الشعر يُحَس فيها الجمال ولا يستطاع التعبير عنها بـ (لِمَ وكيف)[1]".

-أبو الحسن علي بن عيسى **الرمـــاني** : يحدد هذا الناقد مناحي الإعجاز في القرآن الكريم ، ويعدّها سبعا ، يقول : "وجوه إعجاز القرآن تظهر في سبع جهات : ترك المعارضة مع توفر الدواعي، وشدة الحاجة ، والتحدي للكافة ، والصِّرفة ، والبلاغة ، والأخبار الصادقة عن الأمور المستقبلة ، ونقض العادة ،وقياسه بكل معجزة"[2] . ويركز على جانب منها هو البلاغة يقول : البلاغة "على ثلاث طبقات : منها ما هو في أعلى طبقة ، ومنها ما هو في أدنى طبقة ، ومنها ما هو في الوسائط بين أعلى طبقة وأدنى طبقة ، فما كان في أعلاها طبقة فهو معجز وهو بلاغة القرآن ، وما كان منها دون ذلك فهو ممكن كبلاغة البلغاء من الناس . وليست البلاغة إفهام المعنى ، لأنه قد يفهم المعنى متكلمان أحدهما بليغ والآخر عيي ، ولا البلاغة أيضا بتحقيق اللفظ على المعنى ، لأنه قد يحقق اللفظ على المعنى وهو غث مستكره ونافر متكلف . وإنما البلاغة إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ"[3] . وبه يكون إعجاز القرآن أمر لا يمكن حصره أبدا ، سواء تعلق الأمر بالعارفين بطرقه ، أو غيرهم . فهو ملك لمن جلّ اسمه وعظم سلطانه .

-أبو هلال **العسكري** (ت395هـ) : يقسم هذا الناقد البلاغي الكلام في كتابه الصناعتين (الكتابة والشعر) : إلى ثلاثة أشياء " لفظ حامل ، ومعنى به قائم ، ورباط لهما ناظم، وقد حاز القرآن في هذه الثلاثة معاً غاية الشرف والفضيلة : ففيه أفصح الألفاظ وأعذبها وأجزلها، وأحسن التأليف ، وخير المعاني. وقد توجد هذه الفضائل الثلاث على التفرق في أنواع الكلام، فأما أن توجد مجموعة في نوع واحد منه فلم توجد إلا في كلام العليم القدير[4]" . وحسبه فإن "الإنسان إذا أغفل علم البلاغة ، وأخلّ بمعرفة الفصاحة ، لم يقع علمه إعجاز القرآن من جهة ما خصه الله به من

---

[1]-م س ، ص 338 .

[2]-الرماني ، والخطابي ، وعبد القاهر الجرجاني ، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن في الدراسات القرآنية والنقد الأدبي ، (النكت في إعجاز القرآن) لأبي الحسن علي بن عيسى الرماني ، حققها وعلق عليها : محمد خلف الله أحمد ، ومحمد زغلول سلام ، دار المعارف بمصر ، ط3 ، (دت) ، ص 75 .

[3]-م ن ، ص 75-76.

4-أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري ، كتاب الصناعتين الكتابة والشعر ، م س ، ص 9-10 .

حسن التأليف ، وبراعة التركيب ، وما شحنه به من الإيجاز البديع ، والاختصار اللطيف ، وضمّنه من الحلاوة ، وجلّه من رونق الطلاوة ، مع سهولة كلمه ، وجزالتها ، وعذوبتها ، إلى غير ذلك من محاسنه التي عجز الخلق عنها ، وتحيرت عقولهم فيها ، وإنما يعرف إعجازه من جهة عجز العرب عنه . وقصورهم عن بلوغ غايتهم في حسنه وبراعته ، وسلاسته ونصاعته ، وكمال معانيه ، وصفاء ألفاظه"[1] . وبهذا يكون أبو هلال العسكري قد تحدث عما يجعل القرآن معجزا ، وعن سبيل التعرف على آليات الإعجاز فيه.

-أبو بكر محمد بن الطيب **الباقلاني** (403 هـ) : يسرد الرجل أبوابا كثيرة للبديع ، ويعدّها جميعها لا تمثّل الإعجاز لأنه مقدور تقليدها قائلا : "لا سبيل إلى معرفة إعجاز القرآن من البديع الذي ادعوه في الشعر ووصفوه فيه . وذلك أن هذا الفن ... يمكن استدراكه بالتعلم والتدرب به والتصنع له ... كقول الشعر ، ورصف الخطب ، وصناعة الرسالة ، والحذق في البلاغة ، وله طريق يسلكه إليه ، ووجه يُقصد ، وسُلَّم يُرتقى فيه إليه ، ومثال قد يقع طالبه عليه ...ومن كان قد تدرّب وتقدّم في حفظ ذلك ، استغنى عن هذا التصنيف ، ولم يجنح إلى تكلف هذا التأليف ... فأما شأو نظم القرآن فليس له مثال يُحتذى عليه ، ولا إمام يُقتدى به ... [بل فيه] الإعجاز في الكلام ... والتفاوت العجيب بين النظام والنظام[2]" . وبهذا فهو يحكم للقرآن بالتفرد ، من حيث معايير النظر إليه ، فهو ليس كلام بشر ليُنظَر إليه كما نُظِرَ إليه ، بل لا بد من وجود نظرية بلاغية خاصة به ، ومصطلحات تليق بجلالة نظمه وسبكه . وهو ما يفوق مقدرة البشر .

-**القاضي عياض** (ت544هـ) : يُفصح الناقد عن أوجه كثيرة للإعجاز القرآني في أهم مؤلفاته (الشفاء) ؛ حيث يرى "أن القرآن منطوٍ على وجوه من الإعجاز كثيرة ، وتحصيلها من جهة ضبط أنواعها في أربعة وجوه : أولها : حُسن تأليفه ، والتئام كلِمه ، وفصاحته ، ووجوه إيجازه ، وبلاغته الخارقة عادة كلام العرب ، الذين هم فرسان الكلام ... والثاني : صورة نظمُه العجيب ، والأسلوب الغريب، المُخالف لأساليب كلام العرب ، ومنهاج نظمِها ونثرها الذي جاء عليه ، ووقفَت عليه مقاطع آياته ، وانتهت إليه فواصل كلماته ، ولا يوجد قبله ولا بعده نظيرٌ له . الوجه الثالث : ماانطوى عليه من الإخبار بالمغيبات وما لم يكن فوُجد كما وَرَد . الرابع : ما أنبأ به من

1-أبو هلال العسكري ، م س ، المقدمة .

2-أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني ، إعجاز القرآن ، (دط) . دار المعارف ، مصر (دت) ، ص 111-112 .

أخبار القرون السالفة ، والأمم البائدة ، والشرائع الدائرة ، مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة ، إلا الفذ من أخبار أهل الكتاب الذي قطع عمره في تعلم ذلك فيورده (ص) على وجهه ويأتي به على نصه وهو أمي لا يقرأ ولا يكتب ... ومنها الروعة التي تلحق قلوب سامعيه عند سماعهم ، والهيبة التي تعتريهم عند تلاوته ... ومن وجوه إعجازه : كونه آية باقية لا يُعْدم ما بقيت الدنيا ، مع تكفل الله بحفظه ، ومنها أن قارئه لا يمَلُّه، وسامعه لا يمجه ، بل الإكباب على تلاوته تزيده حلاوة وترديده يوجب له محبة ... ومنها جمعه لعلوم ومعارف لم يجمعها كتاب من الكتب ، ولا أحاط بعلمها أحد ، في كلمات قليلة وأحرف معدودة ، وهذا الوجه داخل في باب بلاغته ، فلا يجب أن يعد فنا مفردا في إعجازه ... والأوجه التي قبله تعد في خواصه وفضائله لا إعجازه "[1] . وبه قد تجاوز الناقد الجانب الشكلي للنص القرآني ، ليأخذ بسبيل المواضيع المتناولة فيه ، وأثره في من يتلقّاه .

-**عبد القاهر الجرجاني** (ت 471هـ) : يفصّل الرجل في كتابه دلائل الإعجاز القضية قائلا : "إنا إذا سُقنا دليل الإعجاز فقلنا : لولا أنهم حين سمعوا القرآن ، وحين تحدوا إلى معارضته ، سمعوا كلاما لم يسمعوا نمطا مثله ، وأنهم قد رازوا أنفسهم فأحسّوا ابالعجز على أن يأتوا بما يوازيه أو يدانيه ، أو يقع قريبا منه لكان محالا أن يدّعوا معارضته . وقد تحدوا آيه ، وقرعوا فيه ، وطولبوا به ، وأن يتعرضوا لشبا الأسنة ، ويقتحموا موارد الموت . فقيل لنا : قد سمعنا ما قلتم ، فخبرونا عنهم عماذا عجزوا ؟ أعن معان من دقة معانيه وحسنها وصحتها في العقول ؟ أم عن ألفاظ مثل ألفاظه . فإن قلتم : عن الألفاظ ، فماذا أعجزهم من اللفظ ؟ أم ما بهرهم منه ؟ . فقلنا أعجزتهم مزايا ظهرت لهم في نظمه ، وخصائص صادفوها في سياق لفظه ، وبدائع راعتهم من مبادئ آيه ومقاطعها ، ومجاري ألفاظها ومواقعها ، وفي مضرب كل مثل ، ومساق كل خير ، وصورة كل عظة وتنبيه وإعلام ، وتذكير وترغيب وترهيب ، ومع كل حجة وبرهان ، وصفة وتبيان . وبهرهم أنهم تأملوه سورة سورة ، وعشرا عشرا ، وآية آية ، فلم يجدوا في الجميع كلمة ينبو بها مكانها ، ولفظة ينكر شأنها ، أو يرى أن غيرها أصلح هناك أو أشبه ، أو أحرى أو أخلق ، بل وجدوا اتّساقا بَهَرَ العقول ، وأعجز الجمهور ، ونظاما والتئاما ، وإتقانا وإحكاما لم يدع في نفس بليغ منهم –ولو حكّ بيافوخه السماء– موضع طمع ،

1- الحافظ أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن ابن أبي بكر السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن ، تحقيق : مركز الدراسات القرآنية ، المملكة العربية السعودية ، دط ، دت ، ج5 ، ص 1893 .

حتى خَرَسَت الألْسن عن أن تدعي وتقول ، وخلدت القروم فلم تملك أن تصول[1]" . ويضيف : "ولهذا كانت (المعاني) لا الألفاظ هي المقصودة في إحداث النظم والتأليف، فلا نظم في الكلم ، ولا تأليف حتى يعْلق بعضها ببعض ويُبنى بعضها على بعض، وبهذا يكون اللفظ تابعاً للمعنى، بحسب ما يتم ترتيب المعنى في النفس[2]" .

وبه يكتشف عبد القاهر سر الإعجاز ، إنه –كما يقول– متمثل في المعاني ، فالألفاظ خوادم للمعاني لا العكس.

-**ابن حزم** : ينزّه الرجل القرآن عن التصنيف ، فهو يصرّح بأنه لا ينتمي إلى أي طبقة من طبقات كلام البشر يقول : "أن لآية مثل {وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا} لا يمكن أن تكون في أعلى درجات البلاغة ، لأنه ليس فيها إلا عد الأسماء ... فلو كان إعجاز القرآن لأنه في أعلى درج البلاغة لكان بمنزلة كلام الحسن البصري ، وسهل بن هارون ،وشعر امرئ القيس، ومعاذ الله من هذا لأن كل من يسبق في طبقته لم يؤمن أن يأتي من يماثله ضرورة[3]" . فالإعجاز لدى ابن حزم متمثل في كل آي القرآن الكريم ، فهناك يضع القارئ يده على إعجازه ، وكلٌ يكتشف ذلك حسب قراءته . وبذلك فمعاييره غير ممكن عدها وحصرها ، إنها باقية بعلم الغيب حتى يأتي الله ساعته .

من خلال كل ما سبق ، نجد أن الحديث عن إعجاز القرآن شيق موضوعه ، دقيق مسلكه . لا يمكن الجزم برأي والاستغناء عن رأي آخر . وهو من حكمته سبحانه وتعالى ليبقى البشر في بحث دائم في شكله ومضمونه وأهدافه . فبين حديث عن الإعجاز في ألفاظه ومعانيه ، وبين إفاضة في الحديث عن قصصه ومراميه ، وبين محاولة فصلٍ بين النثر فيه والشعر ، وبين محاولة علم بمجازاته وحقائقه ، وبين التكلم في إيجازه بحذف وغير حذف ، وبين رغبة في معرفة مجمل ما يجعله معجزا

1-عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز في علم المعاني ، م س ، ص 53-54 .

2-م ن ، ص 67 .

3-إحسان عباس ، تاريخ النقد الأدبي ، م س ، ص 489-490 ، عن : الفصل 3 : 17-18.

يفوق قدرة إبداع البشر . أمر يبقى الاجتهاد فيه حتى يوم الدين ؛ فليس الأمر متعلق ببناءه أو أعماقه أو جماله أو تأثيره أو إقناعه . بل هو متعلق بما أراده سبحانه وتعالى (تعجيز البشر) .

22-قضية التأويل
بين القديـــم والجديـــــد

إن النصوص العلمية لا حاجة لقارئها إلى تأويل ، لأن معانيها صريحة تُفهم مباشرة ، وألفاظها لها دوال واحدة لا تتغير عند كل الناس . في حين أن النصوص الأدبية شعرا كانت أم نثرا لها من الدلالات ما يجعلها محلّ اختلاف في الفهم بين متلقيها . ففي العصر الجاهلي كان الشاعر يظن أنه موحٍ بمعاني وأهداف ، لكنها تصل إلى المتلقي غير ما توقعها ؛ فأم جندب -مثلا- فهِمت أن زوجها يعنّف فرسه ، لكن زوجها امرئ القيس كان يظن أنه يحسن بتعنيفه لها . وأيضا المسيب بن علس كان يظن الصحة في استعارة صفة الناقة للجمل ، لكن طرفة بن العبد فهمها غير ما توقعه المبدع . وكذا الأمر بالنسبة لحسان بن ثابت حين ظن أنه أجاد بمدحه لقومه ، لكن الخنساء رأت أنه مُقِل لو بالغ بموضع المدح لكان أجود[1] . وعند نزول القرآن الكريم ، كثُر التفسير والتأويل لآياته ، فوجد من تتوق نفسه إلى إفشال رسالة السماء سبيله إلى ذلك . فانبرى جمهرة من العلماء والمفسرين المسلمين إلى وضع حدود لهذه القضية ، وكان مايلي:

إن أول التفاسير كانت في عصر النبي صلى الله عليه وسلم ، فهو من كان يعطي معاني ما أُنزل عليه لصحابته ، وكان بعضهم يتحرّج من الاجتهاد في التفسير ، لتقديسهم كلام الله عز وجل ، كأبي بكر الصديق الذي يقول : "أي أرض تُقِلُّني ، وأي سماء تُظِلُّني ، إذا قلت في القرآن برأيي[2]" . لكن البعض الآخر كان يجد ضرورة ، فهذا علي بن أبي طالب يقول : القرآن "بين دفَّتَي المصحف لا ينطق ، وإنما يتكلَّم به الرجال"[3] ، لأنه يحتمل وجوه التأويل .

1-وقد ورد البسط في هذه القضايا في بداية هذا البحث .

2-نصر حامد أبوزيد ، إشكالية تأويل القرآن قديما وحديثا1 ، maaber@ses-net.org

3-م ن.

بعد هذه المرحلة جاء من تقوّل في القرآن ما لم يأت به . فجاهد علماء الإسلام بكل ما لديهم من علم لدحض حجج هؤلاء . ومنهم علماء المعتزلة ؛ حيث انطلاقا من قوله تعالى في "سورة آل عمران : {مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ(7)} ...[استنبطوا] نظرية في التأويل تعتمد على فهم المتشابِه (الغامض) قياسًا على مرجعية المُحكَم، أي (الواضح) . ومن خلال نظريتهم في المعرفة واللغة حدَّدوا عدة مستويات للوضوح، ومثلها للغموض، وصارت نظريتُهم في التأويل في قالبها النظري التجريدي الخالص نموذجًا مُحتذى عند خصومهم"[1].

فمثلا" **القاضي عبد الجبار**... في كتابه (متشابه القرآن) يصوغ نظرية المعتزلة تلك في شكلها الأكثر نضجًا . لكن كتاب **ابن قتيبة** (تأويل مشكل القرآن) ... يؤكِّد في ردوده على المعتزلة ، أنه يتبنَّى نظريتهم حتى في قراءة نهاية الآية على العطف وليس على الوقف ثم الاستئناف : [في سورة آل عمران]{وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا الله وَالرَاسِخُونَ فِي العِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ(7)}. والخلاف هنا يكمن في تحديد ما هو مُحكَم وما هو متشابِه : فما يعتبره المعتزلة مُحكَمًا واضحًا هو عند خصومهم متشابِه غامض، والعكس صحيح"[2]. وعليه فإن قضية التأويل لدى المعتزلة وغيرهم يحكمها إيمان كل طرف بمنطلق خاص به وهدف يبتغيه . فتكون بذلك العملية خاضعة لمرجعيات كل منهم وأهدافه .

هذا عن المشرق ، أما في الجهة المقابلة من بلاد المسلمين نجد **ابن حـــزم** الذي يتبنى منهجا منطقيا بحتا . فهو يؤمن بفكرة "أن تُحمل الألفاظ على الحقيقة ابتداء، حملا للألفاظ على ظاهرها وأخذها على ما هي عليه في اللغة، إلا ما أخرجه عن الظاهر دليل حق من طبيعة أو شريعة ؛ يقول: "فكل خطاب خاطبنا الله تعالى به أو رسوله صلى الله عليه وسلم، فهو على موضوعه في اللغة ومعهوده فيها إلا بنص إجماع أو ضرورة حس تشهد بأن الاسم قد نقله الله تعالى أو رسوله صلى الله عليه وسلم عن موضوعه إلى معنى آخر ، فإن وُجد ذلك أخذناه على ما نُقل إليه[3]".

1-م س .

2-م ن ، عن : الاتجاه العقلي في التفسير: دراسة في قضية المجاز في القرآن عند المعتزلة، دار التنوير، ط 3، 1993، الحاشية 9، ص 78.

3- عبد القادر بوعصابة ، آراء ابن حزم الأندلسي اللغوية وأثرها في التفسير ، مجلة إنسانيات، في الأنثروبولوجيا والعلوم الاجتماعية ، الجزائر ، ،82-77 ,2010 | 50 عن : أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي ،

ويدقق في المسألة نفسها حول الألفاظ ، فيرى أن اللفظ لا يفهم بعضه أو جزؤه إلا إذا جاوره لفظ آخر يدل على ذلك ، فيعينه على تكوين المعنى الكامل ويشاركه فيه ، وإلا فلا ينبغي الخلط والخطأ يقول : "وهذا لا يعلم من ذلك اللفظ الجزئي لكن من لفظ آخر وارد لنقل حكم هذا الجزئي إلى سائر النوع"[5]. ويضرب مثلا لذلك عن الحذف ، فيعتبر أن لا بد للحذف من دليل عقلي ، وإلا كان تأويله خاطئا ، يقول : "ولا يجوز لأحد أن يقول في القرآن حذف إلا بنص آخر جلي يوجب ذلك أو إجماع على ذلك أو ضرورة حس"[1] .

وهذا دليل على اهتمام الرجل بقضايا اللغة اهتماما بالغا بعيدا عن هوى النفس ، خاصة إن تعلق الأمر بكتاب الله وسنة نبيه . اقتداء بصحابة رسول الله (ص) وأخصهم أبى بكر الصديق .

كذلك **جلال الدين السيوطي** (ت 911هـ)الذي اهتم بدوره بقضية التأويل ؛ حيث أدمج إليها مصطلح التفسير ، فهو "يضعهما معًا على قدم المساواة، من حيث ارتباطُ كلٍّ منهما بالآخر، وحاجة المفسِّر –أو المؤوِّل– إليهما معًا، وذلك على أساس أن (التفسير) هو شرح معاني الكلمات في حين أن (التأويل) هو استنباط دلالة التراكيب، بما تتضمَّنه من حذف وإضمار وتقديم وتأخير وكناية واستعارة ومجاز ... إلخ[2]" .

ومن أمثلة التأويل (قضية المجاز) التي تعد أهم القضايا النقدية لدى المعتزلة لأنها تستوجب التأويل . فالمعتزلة قد اعتبروا المجاز "حلاً لإشكالية التعارض الظاهر بين النصِّ والعقل ؛ وكان اعتمادهم[م] في استجابتهم [م] العقلية على (قياس الغائب على الشاهد) ، إدراكًا للمطلق في مخالفته للمحدود من كلِّ وجه ؛ فهو قياس مخالفة لا قياس مطابقة[3]". ففي قوله تعالى–حسب القاضي عبد

الإحكام في أصول الأحكام ،منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط1980،1م ، ج4، ص28 ، على الأنترنيت : http://insaniyat.revues.org/5170.

1– م س ، عن: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج3، (دط) ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان، ، ص298..

2–نصر حامد أبوزيد ، إشكالية تأويل القرآن قديما وحديثا1 .

3–م ن ، انظر: محمد عابد الجابري، بنية العقل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط 4، 1989.

الجبار- في "سورة طه {الرَّحْمَنُ عَلَى العَرْشِ اسْتَوَى(5)} ، وسورة الأعراف : {إِنَّ رَبَّكم اللهُ الذِي خَلَقَ السَّمَاواتِ وَالأَرْضِ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى العَرْشِ(54)} . [مجاز حسب] ... أو صورة تمثيلية (تمثيل)، وأنه ليس هناك عرش ولا استواء بمعنى الجلوس : إنهم في هذا التأويل ينطلقون من استحالة المعنى الحرفي في حق الله الذي (ليس كمثله شيء) ؛ إذا كان الله مستويًا على العرش فمعنى ذلك -من منظور المعتزلة- أنه محدود في المكان ، وأنه جسم يقبل الأعراض ... إلخ . واعتماد المعتزلة في مرجعية التأويل على القياس العقلي (قياس المخالفة) يجد له كذلك مرجعيةً في بنية النصِّ القرآني كما تصوروها من خلال ثنائية (المُحكَم والمتشابِه)"[1] ، أي الواضح والغامض .

وعليه فإن المعتزلة كانت لهم أدلهتم من النص القرآني على ضرورة التأويل لبلوغ المعاني الحقيقية للنصوص ، سواء تعلق الأمر بالنص القرآني أو غيره . فالتأويل —حسبهم- إيجاد المعنى البعيد المقصود من طريق المعنى القريب غير المقصود . ويستندون في ذلك على أدلة عقلية وحسية ، وإلا كان التأويل غير ضروري . والنماذج السابقة تبرز الظاهرة ؛ أي لا بد من وجود دليل حتى يكون التأويل مسوّغا ، ولا يختص بهذا إلا من أوتي مقدرة فكرية وعلمية تخوله ذلك.

فقضية التأويل لدى المعتزلة قد حققت تقدما ملحوظا نحو إدراك المعاني الحقيقية التي أوحى إليها عز وجل ، فكان لقضية المجاز خاصة مباحث عديدة كـ"تعدد الدلالة ... والحضور والغياب ... وتباعد العلاقة عند نقطة البداية بين المتشابهين ، ثم معقولية العلاقة التي يقيمها الشاعر بين المتباعدات ، وعدم تكلف الغموض من أجل الغموض ... وضرورة أن يستحق المعنى عناء البحث عنه والحفر عند جذور اللغة من أجله[2]" . والأمر أوسع مما ذكرناه .

1-م س ، نقلا عن : القاضي عبد الجبار أبو الحسن الأسدآبادي: متشابه القرآن، بتحقيق عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة، ط 1، القاهرة، 1966، ص 35-36.

2-عبدالعزيز حمودة ، المرايا المقعرة، م س ، ص 599 .

23-قضيـة المنظـوم والمنثـور:
(نماذج نصية من المشرق والمغرب والأندلس)

إن العربي قد جُبل منذ القديم على التمييز الدقيق فهو "قد تربى على فطرة السماع ، وفطرة التمييز بين الكلام الجميل وما ليس بجميل ، [بين ما بُنى على الموسيقى ، وما بنى على غيرها ، وذلك استنادا إلى] مستوى اتساق الأصوات[1]" . فلما أصبح للنقد قضايا قائمة بذاتها ، تبارى النقاد في حصر المفاهيم ، وتقسيم الأنواع استنادا إلى ما جاءت به الفلسفة اليونانية واقتنع به نقاد العرب . فكان من بين تلك القضايا قضية المنظوم (الشعر) ، والمنثور (النثر) .

1-ماهية الشعر والنثر : اهتم النقاد القدامى بفني (النثر والشعر) وأطالوا الحديث عنهما . ومن بين هؤلاء نجد :

-**ابن الأثير** : الذي يجعل لكل منهما سمات يقول : "فإن احتج أبو إسحاق ... من قوله إن الشعر على حدودٍ مقررة ، وأوزان مقدرةٍ ، وفصّلت أبياته ، فكان كل بيت منها قائم بذاته ، فليس يحتاج إلى غيره إلا ما جاء على وجه التضمن فهو عبث . فلما كان النَّفَس لا يمتد في البيت الواحد ... من مقدار عروضه وضربه ، وكلاهما قليل احتيج إلى أن يكون الفصل في المعنى ، واعتمِد أن يلطّف ويدقّ . والترسل...كلاما واحدا لا يتجزأ ولا يتفصّل إلا فصولا طوالا ، وهو موضوع وضع ما ، يمر على أسماء شتى : خاصة ، ورعية ، وذوي أفهام ذكية ، وأفهام غبية ، فإذا كان سهلا ساغ فيها وقرُب... حتى أن التضمين عيْب في الشعر وفضيلة في الترسل . إن البيت الشعري لما كان محجوزا على الشاعر أن يزيد فيه أو ينقص منه أو يلحق به بيتا آخر ، فيحصل أحدها مرتبطا بصاحبه بخلاف الرسائل ، فكان المعنى أن يساوي ألفاظ البيت تارة ، ويزيد عليها تارة أخرى ، وينقص منها أخرى . فكان الأحسن أن يزيد المعنى ، لأن اللفظ الحسن بغير معنى ، كالمرأة ميتة حسنة الصورة. فالرسائل المسجوعة لا يلزم فيها ما ذكرناه في الشعر ، لأن الفقرة الواحدة قد يطيلها الكاتب ، وقد يقصرها ، وقد يأتي بفقرتين طويلتين ، ثم يأتي بعدها باثنتين قصيرتين، ثم يأتي

---

[1]-عمارة زينب ، المنظوم والمنثور في نقد ابن الأثير في ضوء الشعرية الحديثة ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير ، إشراف : مصطفى درواش ، قسم الأدب العربي ، جامعة مولود معمري تيزي وزو ، 2011 ، ص 18 .

بعد ذلك بفقرتين إحداهما قصيرة والأخرى طويلة ، فهو يضرب يمينا وشمالا ، ويمد نفسه تارة ، ويقصره أخرى ، وليس كذلك القصيـــــدة فإن صاحبها عند ابتدائها يلتزم عروضا واحدة، ولو زاد فيها حرفا واحدا أو أنقصه لكان شعره فاسدا"[1].

وبه فإن الشعر والنثر مختلفان من حيث الشكل والمضمون . واختلافهما –حسب ابن الأثير– فيمايلي:

–يبنى "الشعر على الاجتداء والطلب ... ولم تُبْن الكتابة على هذا . ولا عرفت بهذا [ومثاله : امرؤ القيس وهو الملك اجتدى سعد بن الضبّاب بالشعر] .

–المراد من الكتابة ومقصدها الذي وضعت لأجله ما ذكره أبو اسحاق : من سداد الثغور ، وإصلاح الأمور ، والدعاء إلى الألفة ، والنهي عن الفرقة ، واستعداد لحرب ، والإعلام بفتح . ولم يوضع الشعر لذلك ...

–هذا منظوم ، وذاك منثور ...

–من الألفاظ ... لا يحسن استعمالها في الكتابة ، ويحسن في الشعر ...

–الشاعر إذا أطال في شرح معان متعددة احتاج أن يأتي بمتمة بيت أو أكثر ، والكاتب لا يأتي من ذلك جميعه.

–الشاعر يطري نفسه ويمدحها في شعره ، وليس ذلك للكاتب .

–الشاعر يبالغ ويوغل حتى يدخل في الإطالة وليس ذلك للكاتب .

–الشعر يحسن فيه الكذب . ولا يستحسن في الكتابة .

–الشاعر يخاطب الملك بالكاف كما يخاطب السوقة ، ويدعوه باسمه ونسبه إلى أمه ، وليس ذلك للكاتب"[2].

وبه قد وضع ابن الأثير للشعر والنثر خصائص لا بد من التزامها وإلا ما كان الأول ولا الثاني ، وفسُد كل منهما .

---

[1]–ابن الأثير ، أدب الكاتب والشاعر ، م س ، ص 303 وما بعدها .

[2]–م ن ، ص 360 وما بعدها .

-**المرزوقـــي** : فصّل المرزوقي في هذه القضية وأطال ، فهو يرى أن كل من النثر والشعر صنعتان تليق بممتهِنيهما ، ولكل منهما قواعد وأصول ومقامات ومتمرسين وجب تحديد كل ذلك ، ليتبين للناس الفصل بينهما ، يقول :

"**السبـــب** في قلة المترسلين ، وكثرة المفلّقين ، وعزّ من جمع بين النوعين مبرزا فيهما : فهو أن مبنى الترســل(النثر) على أن يكون واضح المنهج ، سهل المعنى ، متّسع الباع ، واسع النطاق ، تدل لوائحه وظواهره على باطنه . إذ كان مؤرده على أسماع مفترقة : من خاصي وعامي ، وأفهام مختلفة : من ذكي وغبي ، فمتى كان متسهّلا متساويا ، ومتسلسلا متجاوبا تساوت الآذان في تلقيه ، والأفهام في درايته ، والألسن في روايته ، فيُسمع شارده إذا استدعى ، ويتوجل وافده إذا استدنى ، وإن تطاول أنفاس فصوله ، وتباعد أطراف حزونه وسهوله. ومبنى الشعـــر على العكس من جميع ذلك ، لأنه مبني على أوزان مقدّرة ، وحذوف مقسمة ، وقوافي يُساق ما قبلها إليها مهيأة ، وعلى أن يقوم كل بيت بنفسه غير مُفْتقِر إلى غيره إلا ما يكون مضمنا بأخيه وهو عيب فيه . فلما كان مداه لا يمتد بأكثر من مقدار عروضه وضربه ، وكلاهما قليل . وكان الشاعر يعمل بيتا وكل بيت يتقاضاه بالاتحاد ، وجب أن يكون الفضل في أكثر الأحوال في المعنى أن يبلغ الشاعر في تلطيفه ، والأخذ من حواشيه حتى يتسع اللفظ له فيؤديه على غموضه وخفائه حدًا يصير المُدرك له والمُشرف عليه كالفائز بذخيرة يغتنمها ، والظافر بدفينة استخرجها ... فكل ما يُحمد في الترسّل ويُختار ، يُذم في الشعر ويُبغَض.

وأما **السبـــب** في قلة البلغاء وكثرة الشعراء ، ونباهة أولئك وخمول هؤلاء ؛ فهو أن **المترسل** محتاج إلى مراعاة أمور كثيرة إن أهملها أو أهمل شيئا منها رجعت النقيصة إليها ... ومنها : تبيين مقادير من يَكتب عنه وإليه ، حتى لا يرفع وضيعا ، ولا يَضَع رفيعًا . ومنها وزن الألفاظ التي استعملها في تصاريفه ، حتى تجيء لائقة بمن يخاطَب بها ... ومنها أن يعرف أحوال الزمان ، وعوارض في الحدثان ، فتتصرف معها على مقاديرها في النقض والإبرام ، والبسط والانقباض . ومنها أن يعلم أوقات الإسهاب والتطويل ، والإيجاز والتخفيف ؛ فقد يتفق ما يحتاج فيه إلى الإكثار حتى يستغرق في

الرسالة الواحدة أقدار الرسائل الطويلة . ويتفق أيضا ما تفي فيه الإشارة وما يجري مجرى الوحي في الدلالة ، ومنها ما يعرف من أحكام الشريعة ما يقف به سواء السبيل ، ولا يشتط في الحكومة ، ولا يعجل منها بخط عن المحجة ، فهو إنما يترسل في عهود الولاة والقضاة ، وتأكيد البيعة والإيمان ، وعمارة البلدان ، وإصلاح فساد ، وتحريض على جهاد ، وسدّ ثغور ، ورتق فتوق ، واحتجاج على فئة أو مجادلة ملة ، أو دعاء إلى أُلفة ، أو نهي عن فرقة ، أو تهنئة بعطية ، أو تعزية برزية ، أو ما شاكل ذلك ، وما حلائل الخطوب ، وعظائم الأمور التي يحتاج فيها إلى أدوات كثيرة، ومعرفة مفتنة . فلما صار الأمر على هذا صار وجود المضطلعين بجودة النثر أكثر ، وعددهم أنزر ، وقد وسمتهم الكتابة بشرفها . لأنهم بمنزلة رياستها ، فأفكارهم عالية بحسب علو صناعتهم ومقاصد رياستهم ، وشدة الفاقة إلى كفايتهم. **والشعراء** إنما أغراضهم التي يسدّدون نحوها ، وغاياتهم التي ينزعون إليها : وصف الديار والآثار ، والحنين إلى المعاهد والأوقات ، والتشييد بالنساء ، والتلطيف في الاحتداء ، وفي المديح والهجاء ، والمبالغة في التشبيه والأوصاف ، فإذا كان كذلك لم يتدلفوا في المضمار ، ولا تقاربوا في المقدار"[1] .

وبه قد فصّل المرزوقي بين الفنين ، فكان لكل منتج لهما أغراضه وغاياته ، ووسائله وآلياته.

-**ابن خلدون** : يفرّق الرجل بين الفنين قائلا في كتابه (المقدمة) : "اعلم أن لسان العرب وكلامهم على فنين : في الشعر المنظوم ، وهو الكلام الموزون المقفى ، ومعناه الذي تكون أوزانه كلها على روي واحد وهو القافية . وفي النثـــر ، وهو الكلام غير الموزون . وكل واحد من الفنين يشتمل على فنون ومذاهب في الكلام ؛ فأما الشعر فمنه (المدح والهجاء والرثاء) ، وأما النثر فمنه (السجع) الذي يؤتى به قِطعا ، ويلتزم في كل كلمتين منه قافية واحدة ... ومنه (المرسل) وهو الذي يطلق فيه الكلام إطلاقا ولا يقطع أجزاء ، بل يرسل إرسالا من غير تقييد بقافية ولا غيرها ، ويستعمل في الخطب ، والدعاء ، وترغيب الجمهور ، وتزهيدهم . وأما القرآن وإن كان من المنثور إلا أنه خارج عن الوصفين ، وليس يسمى مرسلا مطلقا ولا مسجعا ، بل تفصيل آيات ، ينتهي إلى مقاطع يشهد

---

[1]-المرزوقي ، شرح ديوان الحماسة ، م س ، ص17-18 .

الذوق بانتهاء الكلام عندها ، ثم يعاد الكلام في الآية الأخرى بعدها ويثنى من غير التزام حرف يكون سجعا ولا قافية ، وهو معنى قوله تعالى [في سورة الزمر] : {اللهُ نَزَّلَ أحسنَ الحديثِ كتابًا مُتشابهاً مثانِي تقْشعِرُّ منه جلُودُ الذينَ يَخْشونَ ربَّهمْ(23)} ، وقال [في سورة الأنعام] : {قَدْ فَصَّلْنا الآياتِ(23)}[1]" .

وعليه نجد أن ابن خلدون والمرزوقي قد سارا في طريق واحد ، وتفسير قول ابن خلدون أن لكل من الفنين سمات هي كالآتي:

-يختلفان من حيث الشكل ؛ فالشعر (أبيات تامة المعنى وتنتهي بقافية)، والنثر (نصوص تنثر غير مربوطة بالوزن ، ومتواصلة أفكارها. (

-يختلفان من حيث المواضيع ، فالشعر فيه (مدح ، وهجاء ، ورثاء ...إلخ) ، والنثر فيه (خطبة لغرض الإصلاح أو الإرشاد أو الحث على موضوع ما ، وقصة فيها عبرة أو ترفيه ، ومثَل فيه تحذير أو حث على شيء ما...إلخ) .

-يجمع القرآن الكريم بينهما إلا أنه لا ينسب إلى أحدهما . فهو يقترب من النثر ؛ حيث يكتب مستمرا دون وزن عروضي أو قافية تختم معناه . ويقترب من الشعر في أن له من البديع ما يجعل المخلوقات تأنس له ، والعقول تؤمن به . كل حسب موضعه الذي يقتضيه في غير زيادة أو نقصان .

2-أفضلية الشعر على النثر : إن الشعر ديوان العرب ، وقد عُرفوا به ، لذا نجد النقاد قد فصّلوا في أسباب تفضيل العرب الشعر عن النثر ، رغم وجود الفنين في كلامهم . فهذا **عبد الكريم النهشلي** يقول : "لما رأت العرب المنثور يند عليهم وينفلت من أيديهم ، ولم يكن لهم كتاب يتضمن أفعالهم ، تدبروا الأوزان والأعاريض ، فأخرجوا الكلام أحسن مخرج بأساليب الغناء ، فجاءهم مستويا . ورأوه باقيا على مرّ الأيام ، فألِفوا ذلك وسموه شعرا ... وأفضل بيان العرب وأفصحه ما أداه عنها الشعر الجاري على ألسنتها بالبلاغة المحكمة ، والحكمة المتقنة الباقية ، مضمنا حكمها وسائر

[1]-مقدمة ابن خلدون ، م س ، ص 519.

أمثالها ، شاهدا على أحسابها وكريم أفعالها ، مخبرا عن مروءاتهم في سالف أيامهم"[1] . وعليه فإن أسباب تفضيل الشعر على النثر لدى العرب يعود للأسباب التالية :

-النثر غير مأمون في سبكه ويمكن ضياعه .

-النثر لا تحفظه الذاكرة .

-الشعر متين سبكه ويمكنه حمل تاريخهم .

-الأنفس تميل إلى الوزن فتحفظه .

-الشعر أمتع في السمع والنفس فيدوم .

ويؤيد **ابن رشيق** كلام أستاذه عبد الكريم ، لأنه يرى فيه الصواب ، وإلا كان قد جاء بما يصححه ، لمقدرة الرجل على التمييز ، ونجده قد أضاف إلى رأي أستاذه تفصيلا وتدقيقا للقضية ، جاء في كتابه العمدة : "كل منظوم أحسن من كل منثور من جنسه في معترف العادة ، ألا ترى أن الدُّرّ –وهو أخو اللفظ ونسيبه ، وإليه يقاس ، وبه يشبه– إذا كان منثورا لم يؤمن عليه ، ولم ينتفع به في الباب الذي له كسب ، ومن أجله انتُخب ؛ وإن كان أعلى قدرا وأغلى ثمنا . فإذا نُظم كان أَصْوَن من الابتذال ، وأظهر لحسنه مع كثرة الاستعمال . وكذلك اللفظ إذا كان منثورا تبدد في الأسماع ، وتدحرج عن الطباع ، ولم تستقر منه إلا المفرطة في اللفظ ، وإن كان أجمَله ، والواحدة من الألف ، وعسى أن لا تكون أفضله ، فإن كانت هي اليتيمة المعروفة ، والفريدة الموصوفة ؛ فكم في سقط الشعر من أمثالها ونظائرها لا يُعبأ به ، ولا ينظر إليه ، فإذا أخذه سِلْك الوزن ، وعقد القافية ؛ تألّفت أشتاته ، وازدوجت فرائده وبناته ، واتخذه اللابِس جمالا ، والمدّخر مالا ، فصار قرطة الآذان ، وقلائد الأعناق ، وأماني النفوس ، وأكاليل الرؤوس ، يقلّب بالألسن ، ويخبأ في القلوب ، مصونا باللّب ، ممنوعا من السرقة والغصب[2]".

فحسب ابن رشق فإن المنظوم (الشعر) :

-أأْمن لعناصره اللغوية من حيث النظم .

-له بُعد جمالي من حيث الإيقاع.

---

[1]-عبد الكريم النهشلي القيرواني ، الممتع في صنعة الشعر ، تح : محمد زغلول سلام ، (دط) ، منشأة المعارف بالاسكندرية (دت) ، ص6.

[2]-ابن رشيق ، العمدة ، م س ، ج1 ، ص 19-20.

-يحافظ على بقائه مدة طويلة ، أي تحفظه الذاكرة بسبب مافيه من دقة سبك تألفه الأذن وتستريح له النفس ، ويجد مكانه المبجل في العقل .

-لا يمكن إتلافه بالسرقة أو التغيير .

3-فنون النثر قبل الإسلام :

رغم تفضيل العربي للشعر على النثر إلا أن فنون النثر كانت موجودة لديه منذ القديم ، وازدادت تفرعا وتطورا بعد مجيء الإسلام . و"من أمثلة النثر في العصر الجاهلي : (المثل ، والخطابة ، والوصية ، وسجع الكهان ، والرسائل ، ووصف المرأة) .

فأما المثـــل "بمعنى النظير ، [وهو] ضرب من الحِكم ، والقول الجيد الذي يمتاز بالصياغة المحكمة ، والإيجاز الشديد ، وشيء من المبادهة ؛ حيث ... يُضرب لتفسير موقف ما ...[والأمثال]تؤثر في وعي الفرد ... [و] تؤثر في موقف الإنسان وسلوكه ... ومثاله قولهم : (إنه ليعلم من أين تؤكل الكتف) : أي أنه عليم ببواطن الأمور وخبير بمواطن الفائدة فيختارها[1]" .

وأما الخطـــابة هي "التأثير بالبيان ... وصاحب هذا القياس يسمى خطيبا ، والغرض ترغيب الناس فيما ينفعهم من أمور معاشهم ومعادهم"[2] .

ومنها خطبة عبد الله بن مسعود –رضي الله تعالى عنه– يقول :

"أصدق الحديث كتاب الله تعالى ، وأوثق العُرى كلمة التقوى ، وخير الملل ملّة إبراهيم عليه السلام ، وأحسن السنن سنة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ، وشر الأمور محدثاتها ، وخير الأمور عزائمها . ما قلّ وكفى خير مما كثُر وألهى . نفس تنجيها خير من إمارة لا تحصيها . خير الغِنى غنى النفس . خير ما ألقي في القلب اليقين . الخمر جماع الآثام . النساء حِبالة الشيطان . الشباب شُعبة من الجنون . حب الكِفاية مفتاح المعجزة . من الناس من لا يأتي الجماعة إلا دبراً ، لا يذكر الله إلا هُجْرا . أعظم الخطايا اللسان الكذوب . سِباب المؤمن فُسوق ، وقتاله كفر ، وأكل لحمه معصية . مَن يتألَ على الله يُكذبه ، ومن يستغفر يُغفر له . مكتوب في ديوان المحسنين : من عفا عُفي عنه . الشقيّ من شقِي في بطن أمه . السعيد من وُعِظَ بغيره . الأمور بعواقبها . ملاك العمل خواتيمه .

---

[1]-حني عبد الجليل يوسف ، الأدب الجاهلي قضايا وفنون ونصوص ، ط1 ، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ، القاهرة ، 2001 ، ص 482-483.

[2]-م ن ، ص 491 ، عن : التهانوي ، كشاف اصطلاحات الفنون ، مكتبة لبنان 1996 .

أحسن الهُدى هدى الأنبياء . أقبح الضلالة الضلالة بعد الهدى . أشرف الموت الشهادة . من يعرفِ البلاء يصبر عليه . من لا يعرف البلاء ينكره"[1] .

وأما الوصيـــــة : منها وصية أمامة بنت الحارث لابنتها أم إياس . فلما حُملت إلى زوجها قالت لها : أي بنيةُ : إن الوصية لو تُركت لفضل أدبٍ ، تُركتْ لذلك منكِ ، لكنها تذكرة للغافل ، ومعونة للعاقل ، ولو أن امرأة استغنت عن الزوج لغِنى أبويها ، وشدة حاجتهما إليها ، كنت أغنى الناس عنه ، ولكن النساء للرجال خُلِقنَ ، ولهن خُلق الرجال :

أي بنيةُ : إنك فارقتِ الجو الذي منه خرجت ، وخلَّفت العُشّ الذي فيه دَرجت ، إلى وَكْر لم تعرفيه ، وقرين لم تألفيه ، فأصبح بمِلكه عليك رقيبا ومليكا ، فكوني له أمَةً يكن لك عبدا وشيكا . يا بنيةُ : احملي عني عشر خصالٍ تكن لك ذُخْرا وذكرًا ، (الصحبة بالقناعة ، والمعاشرة بحسن السمع والطاعة ، والتعهدُ لموقع عينه ، والتفقد لموضع أنفه ، فلا تَقَع عينُه منك على قبيح ، ولا يَشَمَّ منك إلا أطيبَ ريح ، والكحلُ أحسنُ الحسْن ، والماءُ أطيب الطيْب المفقود ، والتعهد لوقتِ طعامه ، والهُدُوّ عنه عند منامه ، فإن حرارة الجوع مَلْهَبة ، وتنغيص النوم مَغْضَبَة ، والاحتفاظ ببيته وماله ، والإرعاء على نفسه وحَشَمه وعياله ، فإن الاحتفاظ بالمال حسن التقدير ، والإرعاء على العيال والحشم جميل حسن التدبير ، ولا تفشي له سراً ، ولا تعصي له أمراً ، فإنكِ إن أفشيت سرّه ، لم تأمَني غَدْرَه ، وإن عَصَيْتِ أمره ، أوغَرْتِ صدرَه ، ثم اتقِي من ذلك الفَرَحَ إن كان تَرِحا ، والاكتئابَ عنده إن كان فَرِحا ، فإن الخَصلة الأولى من التقصير ، والثانية من التكدير ، وكوني أشد ما تكونين له إعظامًا ، يكن أشدّ ما يكون لك إكراما ، وأشد ما تكونين له موافقة ، يكن أطوَلَ ما تكونين له مُرَافَقَة ، واعلمي أنك لا تصلين إلى ما تحبين ، حتى تُؤْثِري رِضاه على رِضاكِ ، وهواه على هواكِ فيما أحببت وكَرِهتِ ، والله يَخِير لك[2]" .

وأما سجـــع الكهّان : وهو "نثر مسجوع في شكل قطع أو أقوال منسوبة لكهان الجاهلية ... الذين ... كانوا يقومون على خدمة أصنامها ، وزعموا أن هذه الطائفة ... تستطيع أن

---

[1]-الجاحظ ، البيان والتبيين ، م س ، ص 262.

[2]-أحمد زكي صفوت ، جمهرة خطب العرب في العصور العربية الزاهرة ، العصر الجاهلي ، عصر صدر الإسلام ، ج1 ، ط1 ، شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى لباني الحلبي وأولاده ، مصر ، 1923، ص 297 . عن : الأمثال 2:143.

تعرف الأسرار ... وكان عرب الجاهلية يعطون كَهَنَتِهِم نوعا من القداسة ، كما أنهم كانوا يلجئون إليهم في بعض المواقف التي تتصل بمعرفة الغيب[1]" . ومن أمثلته : قول سلمة بن المغفّل لبني تميم :

"إنكم تسيرون أعقابا ، وتغزون أحبابا ، سعدا ورببابا ، وتردون مياها جبابا ، فتلقون عليها ضِرابا ، وتكون غنيمتكم ترابا ، فأطيعوا أمري ولا تغزوا تميما" . لكنهم خالفوه وقاتلوا بني تميم فهُزموا هزيمة نكراء[2] .

وأما الرسـائل : "تتسم الرسالة بالإيجاز والبعد عن التكلف ... وتبدأ الرسالة بقوله : أما بعد ... وتتسم بالدقة والترتيب المنطقي ، والتلميح ، كما تكشف عن ثقة صاحب الرسالة بنفسه ، وبمن وجه إليه الرسالة[3]" . ومثالها رسالة عمر رضي الله عنه إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال :

"بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعدُ فإن القضاء فريضة محكمة ، وسُنة متّبعة . فافهم إذا أُدليَ إليك ، فإنه لا ينفعُ تكلم بحق لا نفاذَ له . آس بينَ الناس في مجلسِك ووجهك حتى لا يطمع شريف في حيْفِكَ ولا يخاف ضعيف من جَوْرِك . البيّنة على من ادّعى واليمين على من أنْكر . والصُّلح جائز بين المسلمين إلا صُلْحا حرّم حلالا أو أحلّ حراماً . ولا يمنعُك قضاء قضيتَه بالأمس راجعْتَ فيه نفسَك وهُديتَ فيه لرُشدك أن ترجع عنه ، فإن الحقّ قديم ، ومراجعة الحق خير من التمادي في الباطل . الفهمَ الفهمَ عند ما يتلجلج في صدرك مما لم يبلغك في كتاب الله ولا سُنة النبي صلى الله عليه وسلم . اعرفِ الأمثال والأشباه ، وقسِ الأمور عند ذلك ، ثم اعمد إلى أحبّها إلى الله وأشبهها بالحق فيما ترى ، واجعل للمدعي حقا غائبا أو بيّنة أمدًا ينتهي إليه . فإن أحضر بيّنته أخذت له بحقه ، وإلا وجهْت عليه القضاء ، فإن ذلك أنفى للشك وأجلى للعمى وأبلغُ في العذر . المسملون عُدُولٌ بعضهم على بعض ، إلا مجلودًا في حدٍّ ، أو مُجرَّبا عليه شهادةُ زور ، أو ظنينا في ولاء أو قرابة ، فإن الله قد تولّى منكم السرائرَ ودرأ عنكم الشُّبهات . ثم إيَّاك القلق والضجر والتأذي بالناس والتنكر للخصوم في مواطن الحق التي يوجبُ الله بها الأجر ويُحسن بها الذخر ، إنه من يُخلص نيتَه

---

[1]-حني عبد الجليل يوسف ، الأدب لجاهلي ، م س ، ص 514 .

[2]- م ن ، ص 515 ، عن ابن الأثير ، تاريخ الكامل ، 227/1 .

[3]- م ن ، ص 518 .

فيما بينه وبين الله تبارك وتعالى ، ولو على نفسه يكفِهِ الله ما بينه وبين الناس ، ومن تزين للناس بما يعلم الله خلافه منه هتك الله ستره وأبدى فعله . والسلام عليك[1]" .

وأما وصف المرأة : فمثاله : "أن العجفاء بنت علقمة السعدي ، وثلاث نسوة من قومها خرجن فاتّعدن بروضة يتحدثن فيها ، فوافين بها ليلا في قمر زاهر ، وليلة طلْقة ساكنة ، وروضة مُعشَبة خصبة . فلما جلسن قلن : ما رأيناه كالليل ليلةً ، ولا كهذه الروضة روضة أطيب ريحا ولا أنضر ، ثم أفَضْن في الحديث ، قلن : أي النساء أفضل ؟ قالت إحداهن : الخرود الودود الولود . قالت الأخرى : خيرهن ذات الغناء ، وطيب الثناء ، وشدة الحياء . قالت الثالثة : خيرهن السَّموع الجموع ، النَّفوع غير المَنوع . قالت الرابعة : خيرهن الجامعة لأهلها ، الوادعة الرافعة ، لا الواضعة . قلن : فأي الرجال أفضل ؟ قالت إحداهن : خيرهم الحظي الرضي ، غير الحظل البطيّ . قالت الثانية : خيرهم السيد الكريم ، ذو الحسب العميم ، والمجد القديم . قالت الثالثة : خيرهم السخي ، الوفي الرضي ، الذي لا يغير الحرّة ، ولا يتخذ الضرّة . قالت الرابعة : وأبيكن ، إن في أبي لنعْتَكُن ، كرم الأخلاق ، والصدق عند التَّلاق ، والفلْج عند السباق ، ويحمده أهل الرفاق . قالت العجفاء عند ذلك : كل فتاة بأبيها مُعجَبة . وفي بعض الروايات أن إحداهن قالت : إن أبي يكرم الجار ، ويُعظِم الخِطار ، وينحر العِشار بعد الخُوار ، ويحمل الأمور الكبار ، ويأنف من الصغار ، فقالت الثانية : إن أبي عظيم الخطر ، منيع الوَزَر ، عزيز النفر ، يُحْمَدُ منه الوِرْد والصَّدَر . فقالت الثالثة : إن أبي صدوق اللسان ، حديد الجنان ، رذوم الجِفان ، كثير الأعوان ، يُرْوِي السِّنان عند الطِّعان . قالت الرابعة : إن أبي كريم النِّزال ، مُنيف المقال ، كثير النوال ، قليل السؤال ، كريم الفعال.

ثم تنافرن إلى كاهنة معهن في الحي ، فقلن لها : اسمعي ما قلنا ، واحكمي بيننا واعدلي ، ثم أَعَدْن عليها قوْلهن ، فقالت لهن : "كل واحدة منكن ماردة ، بأبيها واجدة ، على الإحسان جاهدة ، لصواحباتها حاسدة ، ولكن اسمعن قولي : خير النساء المُبقية على بعلها ، الصابرة على الضرَّاء مخافة أن ترجع إلى أهلها مطلَّقة ، فهي تؤثر حظ زوجها على حظ نفسها ، فتلك الكريمة الكاملة ، وخير

[1]- الجاحظ ، البيان والتبيين ، م س ، ص 258-259.

الرجال الجوادُ البطل ، القليل الفشل ، إذا سأله الرجل ، ألفاه قليل العِلل ، كثير النَّفل ، ثم قالت : كل واحدة منكن بأبيها معجبة[1]" .

وبه نجد أن عصر ما قبل الإسلام لم يخل من نثر البتة ، بل كان فيه النصوص ما هو مأثور ، به حكمة جليلة ، وحُلّة جميلة.

4-النثر في عصر الإسلام :

بعد اختلاط العرب بغيرهم من الأمم أخذوا عنهم فنونهم ، فتطور النثر العربي وتفرّع ، فكان منه مؤلفات نقدية وأخرى بلاغية ، وأخرى نحوية ، وأخرى فنية كـ (الرسالة ، والمقامة ، وأدب الرحلة ...إلخ) . وقد قُسّم النثر حسب اهتمامات أصحابه إلى "قسمين : (علمي وفني) : فإذا كان المراد به أداء الحقائق العلمية والأفكار الخالصة (كالفلسفة والرياضة والطبيعة والكيمياء) ، فهو النثر العلمي ومنه : (المقالات والجدل والبحوث والمؤلفات) [كالكتب المترجمة عن أرسطو وأفلاطون ، وكتب الطب لابن سينا وغيره] . وإذا المقصود منه بعث العواطف والتأثير الوجداني (كالرسائل الوجدانية والخطابة والوصف الأدبي) فهو النثر الفني [كمقامات بديع الزمان الهمذاني ، ورسائل الأمراء والخِلان والأدباء ، وخُطب الحجاج بن يوسف وغيرها] . وهناك فنون يراد بها أداء الحقائق مع الاستعانة بالعاطفة لجعل الحقائق قوية رائعة (كالتاريخ والنقد والسياسة) فهو النثر العلمي العام أو الأدبي العام [ككتب الجاحظ ، وطبقات الشعراء لابن سلام الجمحي ، والكتاب لسبويه ، والخصائص لابن جني ، ومقدمة ابن خلدون ، والعقد الفريد لابن عبد ربه ، والذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لابن بسام الشنتريني وغيرها كثير]... ولا شك أن النثر الفني يحتوي من (العناصر والفكرة والعاطفة واللفظ والخيال) ، في حين أن النثر العلمي يحتوي (الفكرة واللفظ) [فقط] ، وإذا دخله (التشبيه أو التمثيل) فذلك لقصد الإيضاح والتفصيل لا الجمال والتأثير[2]" .

من خلال ما سبق نلاحظ أن فنون النثر كثيرة لدى العرب ، فيها ماهو قديم قِدم وجود العربي ، ومنها ماهو مستحدث بعد مجيء الإسلام . لكن الشعر واحد منذ العصر الجاهلي إلى ما بعده من عصور ، غير أنه عرف تطورا عبر مختلف المراحل الأدبية والنقدية . فالشعر ما عُرف بوزنه

---

[1]- حني عبد الجليل يوسف ، الأدب لجاهلي ، م س ، ص 528 ، عن: الميداني أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابوري ، مجمع الأمثال ، مكتبة عبد الرحمن محمد بالأزهر ، 1352هـ ، 2/54.

[2]-أحمد الشايب ، أصول النقد الأدبي ، م س ، ص 328-329 .

وقافيته ، والنثر ما عُرف بسجعه وخلاء نصه من الوزن العروضي والقافية ، وكل منهما يحمل أهدافا ورسائل تليق به وبقدرته على الإبلاغ.

24-البعد النقدي للشروح :
(نماذج نصية من المشرق والمغرب والأندلس)

بعد أن استقر العربي في المدينة ، وخالط فكر الأجانب ، ونال حظه من الدرس اللغوي ، أضحت له رغبة شديدة في العودة إلى ماضيه ، واستحضاره بشكل أكثر وضوحا ، وعرْضه لمن يرغب في الانتفاع بعلمه . فكان الشعر العربي وخاصة الجاهلي منه هدفا لذلك ، وبعده كتب اللغة وغيرهما كثير . وللتوضيح أكثر في مسألة شرح التراث العربي شعره ونثره من قبل النقاد العرب والأجانب نذكر نماذج عن ذلك:

1-**المعلّقات** : تعدّ أقدم النصوص العربية التي عمل النقاد على شرحها للناس ، فهي الصورة المشرقة التي استقر عليها الشعر الجاهلي . وبعدها كانت أشعار المحدثين ، وتلتها كتب النحاة والبلاغيين والفلاسفة وغيرهم كثير . وإذا عدنا إلى "فهرسة [كتب التراث العربي أذهلتنا] كثرة الشروح والتعليقات والحواشي في شتى حقول المعرفة من لغة ونحو وبلاغة وفقه ... فما كان يظهر كتاب إلا ويتصدى العلماء لشرحه والتعليق عليه ... وذلك ... لغاية تبسيط المادة التعليمية للمتعلم ، وإزالة عوائق استيعابها ، والعناية بضبط القواعد ، وتأصيل المفاهيم ، وحسن العرض ، والقدرة على الإبلاغ والإفهام ، والإحاطة بكل ما يتعلق بالنص"[1] .

فإذا تكلمنا عن شرح المعلقات وجدنا من اهتم بها وأعطاها كل ما لديه من معرفة لبسطها وتقديمها مذللة المعاني لمتلقيها كـ "أبي عمر الشيباني(ت206هـ) في (شرح المعلَّقات التسع) ،وأبي بكر الأنباريّ (ت328هـ) في (شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات) ، وأبي جعفر

[1]-محمد بوسعيد ، شروح البردة وآثارها الأدبية واللغوية ، الشروح الجزائرية نموذجا ، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية ، 4-2010 ، ص 12.

النحاس(ت338هـ) في (شرح القصائد المشهورات الموسومة بالمعلَّقات)، والزوزني(ت486هـ) في (شرح المعلَّقات السبع،(والخطيب التبريزي (ت502هـ) في (شرح المعلَّقات العشر[1]"(.

وكانت شروح المعلقات عامة تتمثل في رَصْد مميزات الكلمات في بنيتها الصرفية لاستخلاص المعنى ، وكشف الجوانب الفنية ، والأبعاد الدلالية لأبياتها[2] . وأمثلة ذلك :

-الإشارة إلى جمع الألفاظ ومفردها : يقول ابن الأنباري في شرحه للبيت 43 من قصيدة امرئ القيس :

وَفَرعٍ يَزينُ المَتنَ أسوَدَ فاحِمٍ أثيثٍ كَقِنوِ النَّخْلَةِ المُتَعَثكِل

القِنْو والقُنو والقَنَا : العذق وهو المشراخ ، والعَذْق بفتح العين : النخلة ، ويقال في جمع القنْو قِنْوانٌ وقُنْوانٌ ، وحكى الفراء قُنْيان في جمع قِنْو (ابن الأنباري ، لاتا : 62) .

-الإشارة إلى المرادفات للكلمة : يقول الزوزني في البيت 95 للبيد:

أُغلى السِباءَ بِكُلِّ أدكَنَ عاتِقٍ أو جَونَةٍ قُدِحَت وَفُضَّ خِتامُها

... الخاتم والخاتام والخيتام والختام واحد (الزوزني 1963 ، 110) .

-الإشارة إلى الأضداد : كقول الخطيب في شرح لفظ (يسرّون) في البيت 42 لامرئ القيس :

تَجاوَزتُ أحراسًا إلَيها وَمعشَرًا عليَّ حِراسًا لَو يسِرّونَ مَقْتَلي

ويروى : يُسرّون بالسين غير معجمة ، ويُشرّون معجمة ، فمن رواه بالسين غير معجمة احتمل أن يكون معناه يكتمون ، ويحتمل أن يكون معناه يظهرون وهو من الأضداد (الخطيب التبريزي 1997م ، 85) .

-بيان أصل اللغات للكلمات : يقول ابن الأنباري في شرح لفظة (بوصيّ) في البيت 82 لطرفة:

وَأتلَعُ نَهّاضٌ إذا صَعَّتَت بِهِ كَسُكّانِ بوصيٍّ بِدِجلَةَ مُصعِدِ

البوصي : السفينة وهو فارسي معرب (ابن الأنباري ، لاتا : 172)"[3] .

2-**الكتب المعرفية** : من كتب المعرفة ، الكتب الخاصة باللغة والبلاغة والنقد الأدبي ؛ حيث سادت الثقافة الفلسفية آنذاك ، فأُلّفت كتب كثيرة بمنطق الفلاسفة ولغتهم ، فشقّ على كثير من

---

[1]-سميه حسنعليان ، فضاء النقد في شروح المعلقات (دراسة سانكرونية) ، مجلة إضاءات نقدية ، السنة الثانية ، عدد 7 ، خريف 1391ش / أيلول 2012م ، ص 51.

[2]-م ن ، ص 81 .

[3]-م ن ، ص61-62 .

الناس تعلّم ما جاء فيها ، فاحتاجوا إلى من يلقّنهم مُحتواها ، فكان دَوْر الشُرّاح : بالتوسع فيما أُجمل ، والشرح لما أُغلِق ، والإبداع فيما أُبدع . ومن أمثلة ذلك:

-شرح القزويني في كتابه الإيضاح ما أُجمل في كتاب مفتاح العلوم للسكاكي .

-وشرح ابن جني لديوان المتنبي .

-وشرح الزمخشري للامية العرب،

-وشرح الزمخشري القرآن الكريم في كتابه الكشّاف،

-وأوضح ابن هشام الأنصاري ألفية ابن مالك .

وغيرها كثير . وكان الهدف من هذه الشروح تعليمي بالدرجة الأولى ، حيث عكف هؤلاء على تلقين العلوم للمقبلين عليها وخاصة ميادين اللغة ، والفقه ، والنحو ، والنقد.

*__الشروح في المشرق العربي__: إذا أردنا أن نجعل أمر الشروح أكثر اتساعا نعرض لأحد شروح شعر المتنبي ، بعدّه "يختزن دلالات متعددة ، لم يصرّح بها ، ولم تفصح عنها البنية الظاهرة ، فقد كان يتلاعب بالدلالة ، ويميل إلى المراوغة ، يستثير قارئه ، ويبث فيه روح المغامرة ، ويجعله يقوم بعملية حفر في طبقات النص لكشف الدلالة الغامضة أو المسكوت عنها . فقد نسج حول شعره ظلالا من الحجب والتمويه ، والصدمة غير المتوقعة ، وجعل تراكيبه تخرج بالانزياح الدلالي واللغوي عن المألوف[1]" ، فهذا شرح أبي الفتح عثمان بن جني لشعر المتنبي ، الذي "يرى أن كثيراً من الذين يحملون على المتنبي إنما يفعلون ذلك لأنه يدقّ عليهم إدراك معانيه ومراميه، ولذلك اضطلع [هو] بشرح ديوانه في ما ينيف على ألف ورقة[2]" . يقول : "لم أر شاعرا كان في معناه ولا مُجْريا إلى مداه ، ولقد كان من الجد فيما يعانيه ، ولزوم طريق أهل العلم فيما يقوله ويحكيه على أسدِّ وتيرة وأحسن سيرة . وإن كان في بعض ألفاظه تعسُّف عن القصْد في صناعة الإعراب من ارتكاب شاذٍّ أو حمْل على نادر ، يقعن غير جهل كان منه ولا قصور عن اختيار الوجه الأعرف له . ومن هنا شبثَ قومٌ لا دربة لهم بعلم العربية بأشياء من ظاهر لفظه إذ لم تكن [لهم] خِبْرة بدُخْلةِ أمره ... فأما اختراعه

---

[1]-محمد بوسعيد ، آليات تلقي شروح ديوان المتنبي ، شرح مشكل أبيات المتنبي لابن سيدة أنموذجا ، مجلة جيل للدراسات الأدبية والفكرية ، مركز جيل للبحث العلمي ، العام الخامس ، العدد 45 ، أكتوبر 2018 ، ص 27 .

[2]-إحسان عباس ، تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، م س ، ص 278 .

للمعاني وتغلغله فيها واستيفاؤه لها ، فما لا يدفعه إلا ضِدٌّ ، ولا يستحسن معاندته إلا نِدٌّ ، وما أحسبني رأيت أحدا يتناكر فضل هذا الرجل وقتا من زمان إلا وشاهدته بعد ذلك قد رجع عنه وعاد إلى تفضيله... وما لهذا الرجل الفاضل من عيب [عند] هؤلاء السقطة الجُهّال وذوي النذالة السُّفَّال إلا أنه متأخر محدَثي . وهل هذا لو عقلوا إلا فضيلة له ومَنْبَهة عليه ، لأنه جاء في زمان يُعقِم الخواطر ، ويصدئ الأذهان ، فلم يزل فيه وحده بلا مضاه يساميه ، ولا نظير يعاليه ، فكان كالقارح الجواد يتمطَّر في المهام الشّداد ... ولولا أن الغرض في هذا الموضع ليس هذا الضرب لأوردت من بدائعه ومحاسنه وما تُعُلِّق به عليه ، وما يصلح أن يُتفضَّل [له] به ، منه ما لا بد للمنصف من إلزامه ، ولا معدِلَ للمتعسف عن القول به"[1].

وما كان يميز شرح ابن جني لشعر المتنبي كونه صاحَبه ، وجالَسه ، وكان يسأله حول ما شقّ عليه ، ومنه قوله :"سألته يوماً عن قوله:

وَقَدْ عَادَتِ الأجفانُ قرحاً منَ البُكا وَعَادَ بهاراً في الخدودِ الشّقائقُ[2]

فقلت له : أقرحى مُمالٌ أم قرحًا مُنَوّن : جمع قرحة ؟ فقال : قرحاً قرحاً مُنَوَّنٌ ؛ ثم قال : ألا ترى [أن] بعده ... (وعاد بهاراً في الخدود الشقائق) ... ، يقول : كما أن بهارا جمع بهارةٍ ، وإنما بينهما الهاءُ ، فكذلك قرحًا جمع قَرحةٍ ، وإنما بينهما الهاءُ ؛ يوفِّقُ بذلك بين [أجزاء] الكلام ، فليتَ شعري هل يصدرُ ذلك عن فِكر مدخول أو رويَّة مشتركة ؟ وإنني لأعجب ممن يجهل يفضله [أو يستجيز تجاهله] ، وهو الذي يقول:

إذا كان شمُّ الرَّوحِ أدنى إليكمُ فلا برحتني روضةٌ وقَبولُ

فأيُّ مُحْدَث يتعالى لفظه في عذوبة إلى أن يقول : فلا برحتني؟ وهل هذه الفصاحة والطلاقة إلا نور من عند الله عز وجل استودعه قلبه ؟"[3] .

وفي موضع آخر يتبين حِرْصُ ابن جني على معرفة كل دقيقة بشعر المتنبي وإعادتها إلى أصلها اللغوي ليعرضها للعامة واضحة قول المتنبي :

"وَضَاقَتِ الأرْضُ حَتَّى كانَ هارِبُهُمْ إذَا رَأي غَيْرَ شَيءٍ ظَنَّهُ رَجُلا

---

[1]-أبو الفتح عثمان بن جني النحوي ، الفَسْر ، شرح ابن جني الكبير على ديوان المتنبي ، حققه وقدم له : رضا رجب ، دار الينابيع ، دمشق ، ط1 ،مجلد 1 ، 2004 ، ص 3 وما بعدها و ص 16-17 .

[2]-ديوان المتنبي ، م س ، ص 76.

[3]-ابن جني ، شرح ابن جني الكبير على ديوان المتنبي ، م س ، مجلد 1 ، ص 7 .

[يقول ابن جني :] طعن من لا دُرْبَةَ له بكلام العرب في هذا البيت ، فقال : كيف يرى غير شيء ؟ ومَنْ لم يألفْ هذه اللغة ولم يمهَرْ فيها تناكرَ كثيرا من صحيحها . تقول العرب : إنكَ ولا شيءٌ سواءٌ ، وقد أجمعوا أن التسوية لا تقع إلا بين شيئين فصاعدا ، نحو قولك : زيدٌ وعمْرٌو سواءٌ ، ولا يقال : زيدٌ سواءٌ ، وإنما جاز ذلك ؛ لأن القوم جماعة في المعنى ، وإنما تلخيصُ هذا : إنك ولا شيء يُعبَأُ به سواءٌ ، فحذف الصفة وبقي الموصوف دالا عليها ، فكذلك قوله : إذا رأى غير شيء ، أي : غيرَ شيء يُعبأ به أو يفْكَرُ في مثله ، ومثلُ هذا ما رُويَ عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : [لا صلاة لجارِ المسجدِ إلا في المسجدِ] ، وقد أجمعت الأمة على أن جارَ المسجدِ لو صلَّى في منزله ، ولم يخرج إلى المسجد لكانت صلاته مقبولة منه مجزيَّةً عنْهُ . فمن أجل هذا تأوّلوا قوله عليه السلام : إن معناه لا صلاة كاملة أو فاضلة : لأن ما يُصلّى في المسجد أفضل منها . فحذف الصفة وأقام الموصوف مقامها . وكذلك ما يُحكى عن ابن عباس رحمه الله في قوله عز وجل [في سورة مريم] : {وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا (9)} ، قال معناه : ولم تكُ شيئاً مذكورا ، فحذف المذكور وهو يريده للعلم به . وقال سيبويه : يقالُ : سيْرَ عليه ليلٌ طويلٌ ، فإنْ شئتَ حذفتَ الصفة ، وأردتّ ذلك المعنى ، فهذا من قوله يدلُّ على حذفِ الصفة كالشائع عندهم ، وهذا البيتُ لعمري من قول جرير :

تَرَكُوكَ تَحْسِبُ كُلَّ شيءٍ بَعْدّهُمْ خَيْلاً تَكُرّ عَلَيْهِمُ وَرِجالا

وأصلُ هذا كله قوله تعالى [في سورة المنافقين] : {يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عليهم (4)} . وأخبرني علي بن الحُسين الكاتب قال : حدثني أبو محمد الحسن بن علي الخُفافُ قال : حدثني ابنُ مَهْرَوَيْه قال : حدثني أبو مسلم يُعتَدُّ به من الشعراء ، وإنما الشعر حُسْنُ أساليب الكلام الذي تخرج المعاني فيه ، وإنما أذْكرُ مثل هذا لمن أحبَّ سلوكَ الطريقة المثلى وإحكامَ صناعة الشعر العليا"[1].

ومن أمثلة شرحه أيضا قول المتنبي:

"بياضُ وجهٍ يُريكَ الشَّمسَ حالكةً ودُرُّ لفظٍ يُريكَ الدُّرَّ مَشْخَلَبا

حالكةٌ : سوداء ، يقال : أسودُ حالكٌ وحانِكٌ ومحلولكٌ ومَحْلَيْلِكٌ وحُلْكوكٌ وحَلكوكٌ وحُلْبُوبٌ ومُحْلَنْكِكٌ وسَحْكوكٌ ومُسْحَنْكِكٌ وحُداريٌ وغَيْهَبٌ وغَيْهَمٌ ودَجوجيٌ وبهيمٌ وفاحِمٌ . وقد تصف العرب بالبياض كما تصف بالأُدمَة . قال الشاعر وهو زهير:

وأبيضَ فَيَّاضٍ يداهُ غَمامةٌ على مُعتفيهِ ما تُغِبُّ فواضلُه

[1]-م س ، مجلد 3 ، ص 281 ، وص 65.

والمِشْخَلَبُ : هذا الخَرزُ المعروف ، وليست عربية ، ولا فصيحة ، فاستعملها على ما جرت به عادة الاستعمال . وقد فعلتْ هذا العرب ، فجاءت بغير لغتها اتباعا للعادة ، قال الأعشى:

وإِسْفَنْطَ عانةَ بعدَ الرُّقا دِساقَ الرُّصافُ إليها غَديرا

والإسفنطُ عند جماعتهم : اسم رومي ، إلا ابن الأعرابي وحده ، فإنه عنده من قولهم : ما أسفط نفسَه عنكَ : أي ما أطيبَها . وكذلك القسطاسُ عندهم رومي ، وقال تعالى [في سورة الشعراء] : {وَزِنُوا بالقِسْطَاسِ المسْتَقِيمِ (182)} . وكذلك الإبريق عندهم أعجمي ، وقد قال عز وجل [في سورة الواقعة] : {يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ} ، وكذلك الإسوار عندهم أعجمي ، قال الشاعر :

وَوَتَّرَ الأساورُ القِياسا

وهو أكثر من أن يُحصى ، وكذلك استعمل هو أيضا (المِشْخَلَبَ) وإن لم يكن عربيا ، فأما هذا الخرز الصغار الأبيض ، فهو الخَضَضُ بالعربية . قال الشاعر:

فَإِنَّ قُرومَ خَطْمَةَ أنزلنني بحيثُ يُرى مِنَ الخَضَضِ الخُروت

أي : إذا أضفتَ نور الشمس إلى بياضِ وجههِ كانت كالسَّوداء ، وإذا قِسْتَ لفظَه بالدُّرِّ كان دونه في القيمة"[1] .

فمن خلال الأمثلة السابقة عن شرح ابن جني لشعر المتنبي نلحظ شرحا عميقا ، وتدقيقا نقديا لا غنى لكل قارئ عنه . ففيه ما يشبه التنظير للأدب . فشروح هؤلاء كانت بمثابة العين السحرية التي يرى من خلالها القراء ما تم شرحه ، أو بمثابة المكبّر الذي يجعل الأمور أوضح ، والمعجم الذي يجعلها أبسط وأيسر . فأعمالهم كانت بمثابة الجسر الذي يربط بين ما أنتجه علماء اللغة من نقاد وبلاغيين ونحويين ، ومتلقي التراث العلمي الزاخر . إن جهودهم في الشروح كانت –بحق– أرضية صلبة متينة اتخذتها الأجيال التالية انطلاقة لها.

ومن أمثلة الشروح أيضا جاء في منهاج حازم القرطاجني قوله : "حمْل قوم قول قطري بن الفجاءة:

ثم انصرفْتُ وقد أصبتُ ولم أُصَبْ جَذَعَ البصيـرة قارحَ الأقْدامِ

---

[1]–م س ، مجلد 1 ، ص 379 وما بعدها .

على القَلْب وقالوا : يريد قارح البصيرة جذع الأقدام كما يقال : إقدام غُرٍ ورأي مجرّب . والأحسن في هذا البيت حمْله على غير القلْب ، وذلك على تأويلين : أحدهما أن يريد أن هذا الموقف الذي وصفه كان أعظم موقف حضره ، وأشد موقف شهده ... فيه ... أيقن بالتلف حين رأى نفسه رديئة للرماح ، فدمه قد ذهب سرجه ولجامه ... ثم خلص من هول ذلك الموقف ، فقد سلكه له إذاك بصيرة أن الإقدام غير علة للحمام ، وأن من يركن إلى الإحجام خيفة من أن يصاب فليس على بصيرة ...

والثاني ما حكاه ابن سنان الخفاجي عن أبي العلاء [و] ساعد بن عيسى الكاتب : أنه جاراه في بعض الأيام في هذا البيت ، فقال ساعد : ما المانع أن يكون مقصوده : لم أصب ، أي لم ألف على هذه الحال ، بل وجدت على خلافها جدع الإقدام قارح البصيرة ، ويكون الكلام على وجه غير مقلوب ، فتمكن الدلالة على أن قوله في البيت (لم أصب) يعني (لم ألف) دون ما يقولون أن مراده لم أجرح من قوله قيل :

لا يركنّ أحدٌ إلى الإحجـام يـوم الوغَـى متخوفًا لحِمـامِ
فلقد أرانـي للرمـاحِ رديئـة مِـن عَـن يميـني مرةً وأمامي
حتى خضِبتُ بِما تحدّر من دمي أكتاف سرجي أو عِنان لجامي
ثم انصرفتُ وقد أصَبتُ ولم أُصبْ جـذعَ البصيرة قارحَ الاقدامِ

فكيف يكون لم يصب وقد خضب بدمه أكتاف سرحه ولجامه ، فأما قولهم : إنه أراد من دمي أي من دماء قومي ... فيه مبالغة منهم في التعسف والعدول عن وجه الكلام ليستمر لهم أن يكون الكلام فاسدا غير صحيح . ثم قال الخفاجي : وهذا الذي ذكره أبو العلاء وسبق له وجه رحيب ، نقبله ... ،وفحوى كلام قطري تدل على أنه أراد أنه خرج ولم يمت ، إعلاما أن الإقدام غير علة في الحمام وحضا على الشجاعة وبُغض الفرار"[1] .

-يقول أبو تمام :

مازال يهدي بالمكارم والعلا حتى ظننت أنه محمـوم

[1]-م س ، ص 181 وما بعدها .

فجلعه يهذي ، وجعل عليه الحمى ، وظن أنه إذا حصل له المبالغة في إثبات المكارم له وجعلها مستبدة بأفكاره وخواطره حتى لا يصدر عنه غيرها ، فلا ضير أن يتلقاه بمثل هذا الخطاب الجافي والمدح المتنافي"[1].

* **الشروح في بلاد الأندلس** : لا يتوقف أمر الشروح عند علماء المشرق والمغرب وحسب ، بل ينتقل الأمر إلى بلاد الأندلس ، ليكون أكثر توسعا ، فأُقيمت المدارس ، وعُيّن المعلّمون لهذا الغرض ؛ حيث نُقِلت "المتون الشعرية ، وبعض الشروح إلى الأندلس ، فكان من [تلك] الشروح مثالا يحتذى ، و... من المتون مادة يستقطب الطلبة من أجلها حول شيوخ وعلماء ... [والأهم من ذلك فقد كان] عددٌ من الأمراء من محبي العلم والأدب [يُعزِّزون] ... دخول علماء كبار من المشارقة [إلى قصورهم ، فوفّروا لهم أحسن الظروف ، لأنهم] نقلوا معهم أحاسن تراث المشرق وأعلاه رتبة في الثقة والضبط والرواية ... [فـ] أحله الدارسون محله من التكريم والحفظ ، وعادوا عليه بالشرح والتعليق والملاحظة والتنبيه ... [فكان منها] شروح على (الكامل) للمبرّد ، و(أمالي) القالي ، و(أدب الكتاب) ،وشرح على الشعراء الجاهليين وبخاصة (الشعراء الستة) ، وعلى (مقصورة) ابن دريد ، وشعر حبيب ، وشعر المتنبي ، فكانت الشروح شاملة لكثير من نواحي الثقافة والفكر ، ومتتبعة للنواحي الأدبية بشكل خاص ... [وما كان من أثر هذه الشروح أن كوَّنت أجيالا بأكملها ؛ حيث] كان حفظ الأشعار العربية ، وعِلم معانيها ، ومعرفة ما فيها من خَبر ، ولغة ، وأغراض بلاغية ، وميزات فنية[2]" .

ومن **أمثلـــــة الشروح** بهذا الطرف من الأرض :

-**شرح (ديوان صريع الغواني)** لأبي العباس وليد بن عيسى **الطبيخي** : ؛ حيث كان "يشرح كل بيت بمفرده في أغلب الأحيان ، ويكون شرحه الكلمة الغريبة بكلمة مرادفة أو جملة ، ويستعين على ذلك حين يرى حاجة ماسة بالشواهد الشعرية أو الآية من القرآن الكريم ، ثم يشرح معنى البيت ، شرحا

---

[1]-عبد القاهر الجرجاني ، أسررا البلاغة ، م س ، ص 180 .

[2]-محمد رضوان الداية ، تاريخ النقد الأدبي في الأندلس ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ط2 ، 1993 ، ص 69-71 .

مبسوطا وبخاصة المعاني الخفية أو الدقيقة ، ويستخرج معاني الشاعر المستترة وراء الاستعارات والكنايات والتلميحات ، ويستعين كثيرا بألفاظ الشاعر نفسه مضمّنا إياها في شرحه1" . ومثاله قول صريع الغواني "في الخمر :

شَقَقْنَا لَهَا فِي الدَّنِّ عَيْناً فَأَسْبَلَتْ كَمَا أَسْبَلَتْ عَيْنُ الخَرِيدِ بِلا كُحْلِ

يقول [الطبيخي] : شققنا لها في الدن (عينا) أي (ثقبا) فـ (أسبلت) أي فـ (فاضت) كما فاضت عين الخريد بدمعها بلا كحل ، قال أبو عمرو بن العلاء : يقال امرأة خريد وخريدة وهي الحيية أي المحتشمة. وقد وقع في بعض الروايات : (عين الخريدة بالكحل) ، واعتلّ له بعض الناس بأن قال : إنما أراد بذكر الكحل الزفتَ الذي يكون حول ثقب الخابية محدقاً لها كإحداق الكحل بالمُقلة ، والأوَّل أجود لقول الحسن بن هانئ البصري :

فُضت خواتُمها في مثل واصفها عَنْ مِثْل رَقْرَقَةٍ في جَفْنِ مَرْهَاء

والمرهاء : التي لا تكتحل ، والرقرقة : الدمع المترقرق ، أي كشف عن تلك الخمر غطاها فبدا منها جسم الرّقة كالدمع الذي ينسكب من العين التي لا كحل فيها"[2] .

وقوله يمدح داود بن يزيد بن حاتم بن خالد بن الهلّب:

لا تّدْعُ بي الشَّوْقَ إني غَيْرُ مَعْمودِ نَهى النُّهى عَنْ هَوَى الْهيفِ الرَّعاديدِ
لَوْ شِئْتُ لا شِئْتُ راجَعْتُ الصِّبى ومَشَتْ فِيَّ العُيُـــونُ وفاتَتْني بِمَجْلُودِ
سلْ لَيْلَةَ الْخَيْفِ هَلْ أَمْضيْتُ آخِرَها بِالرَّاحِ تَحْتَ نسيمِ الخُرَّدِ الغيدِ
شَجَّجْتُها بِلُعابِ المُزْنِ فَاغْتَزَلَتْ نَسْجَيْـــــنِ مَحْلولٍ وَمَعْقـــــودِ
كِلا الجَديدَيْنِ قد أُطْعِمْتُ حَبْرَتَهُ لـــــــوْ آلَ حَيٌّ إلى عُمْرٍ وَتَخْليدِ
أَهْلاً بِوافِدَةٍ لِلشّيْبِ واحِـــــدَةٍ وإنْ تَراءتْ بِشَخْصٍ غَيْرِ مَوْدُودِ
لا أَجْمَعُ الحِلْمَ وَالصَّهْباءَ قَدْ سَكَنَتْ نَفْسي إلى الماء عَنْ ماء العَناقِيدِ
لَمْ يَنْهَنِ فَنَدٌ عنها وَلا كِبَـــــرٌ لكِنْ صَحَوْتُ وَغُصْني غَيْرُ مَخْضودِ

---

[1]-م س ، ص 92-93 .

[2]-شرح ديوان صريع الغواني مسلم بن الوليد الأنصاري ، شرح وتعليق سامي الدهان ، دار المعارف ، القاهرة ، ط3 ، دت ، ص 38-39 .

أَوْنى بِيَ الحِلْمُ وَاقْتَادَ النُّهى طَلَقًا شَأْوى وَعِفْتُ الصّبا مِنْ غَيْرِ تَفْنيدِ
إذا تَجافَتْ بِيَ الهِمّاتُ عَنْ بلَـــدٍ نازَعْـــتُ أرضًا وَلَمْ أحْفِلْ بِتَمْهِيدِ
لا تَطَبيني المنى عَنْ جَهْدِ مُطْلَبٍ وَلا أحـــــولُ لِشَيْءٍ غَيْرِ مَوْجُودِ
وَمَجْهَلٍ كاطِّرادِ السَّيْفِ مُحْتَجِـــــزٍ عَنِ الأَدِلاَّءِ مَسْجورِ الصَّياخيدِ
تَمْشي الرِّياحُ بِهِ حَسْرى مُولَّهَـــةً حَيْـــرى تَلُوذُ بِأَكْتافِ الجَلاَمِيدِ

[يشرح الطبيخي هذه الأبيات بقوله] : قوله : (لا تدْعُ بي الشوق) : أي لا تدعني مشتاقا ، ولا تقل إن بي شوقا إلى أحد . (غير معمود) : أي غير عاشق ، و(المعمود) : المقروح القلب ؛ وأصله أن يصيب البعير داءٌ في سنامه فيهيج عليه حتى ربما أُخرجتْ منه العظام ، وهو للجمل مثل الريشة للبغل ، فاستعير ذلك للقلب . و(الهيف) : الضامرات البطون ، و(الرعاديد) : المرتجّات الأكفال . والرعديد في غير هذا هو الجبان ، قال أبو محجن الثقفي :

ويعلم القوم أنَّ من سراتهم إذا سما البطَلَ الرَّعديدةَ الفَرَقُ

فأدخل الهاء للتوكيد.

ويقول : لو شئت لا جعلني الله أن أشاء ذلك ، (راجعت الصبى ومشت في العيون) : أي عيون النساء لعشقهن لي . و(فاتتني بمجلود) : أي ذهبت بجَلَدي ؛ يريد أنه كان يصبو إليهن أيضا . ويقول : إنه شرب من أول الليلة إلى آخرها مع (الغيد) : وهي الجواري الطوال الأغناق الناعمات ، يشتمُّ ريحتهن . و(الخيف) : أسفل الجبل مما يلي الوادي . و(أمضيت الشيء) : إذا أتيت عليه بالتنفيذ . يقول (شججتها) : يعني الخمر ، أي مزجتها (فاغتزلت) : أي اختلطت . (نسجين أحدهما محلول والآخر معقود) : يريد أن ما ولى الماء من الخمر في الكأس أسرع فيه الماء فحلّه وما ولى منها القاع بقى على حسبه لم يحلّه الماء بعد . قال أبو نواس يصف خمرا مزجت في كأس :

حمراءُ صَفْراء التَّرائب رأسها فيه لما نسج المزاج قتيرُ

يريد أن لونها حمراء و(صفراء الترائب) : يريد قد اصفر أعلاها الذي سبق إليه الماء ، و(القتير) الحباب. (الجديدين) : الليل والنهار . و(الحبرة) : النعيم ، وقوله : (لو آل حي) : أي لو صار حي باقيا ومخلدا في الدنيا . (أهلا بوافدة) : أي قادمة ، (للشيب واحدة) ، (تراءت لي) : أي اعترضت ، (غير مردود) : أي غير محبوب . يقول : لا أجمع التكفل وشرب الخمر ، (وقد سكنت نفسي إلى

الماء) واستغنيتُ به عن الخمر أي لا أشربها . (الفند) : اللوم ، و(غصني) : أي شبابي . و(المخضود) : الواهن.

يقول : (أوفى بي الحلم) : أي وافقني ، و(اقتاد العقل طلقا شأوى) ، (وعفت الصّبا) : أي تركتُ الصبا . (من غير تفنيد) : أي من غير تعليل ولا لوم . وأصل وافقني : لاءمني ، و(طلقا) : معدى إليه الفعل . يقول : (لا تطبيني المنى) : أي لا تدعوني إلى أنفسها (عن جهد مطّلب) . وقوله : (لا أحول لشيء غير موجود) : أي لا أطلب من الأمور غير الممكن الموجود . يقول : وربّ مجهل (كاطّراد السيف) : أي كتتابع السيف في الحدة ، [محتجز] عن الأدلاّء (مسجور الصياخيد) من الحرور ، و(المجهل) : القفر الذي لا يهتدى فيه.

يقول : (تمشي الرياح فيه حسرى) : أي كالة ، (مولّهة) : أي حزينة ، (تلوذ بأكتاف الجلاميد) : يريد أن ليس فيه شجر وإنما تجري الريح على الحجارة فلا تجد غيرها . و(الأكناف) : النواحي ، واحدها كنف[1]" .

كما هو ملاحظ فإن الطبيخي يشرح الشعر من ناحيته اللغوية ، وموضعه من الجملة إعرابا ، ويستعين بأمثلة من الشعر العربي ، وأيضا يأخذ بآراء العلماء في فك معضلات شروحه . وهو أمر يدعو إلى الوثوق بما يبنيه من أرضية أمام الأجيال . فهي –في مجملها– شروح تخلو من الذاتية والانفراد بالرأي.

–أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن **المرزوقي**: يشرح قول العباس بن البرداس :

"تَرى الرَّجُلَ النَّحيفَ فَتَزْدَريهِ وَفـــي أَثْوابِهِ أَسَـــدٌ مَزِيزُ

ويُعْجِبُك الطَّرِيزُ فتَبْتَليـــهِ فَيُخْلِـــفَ ظَنَّـــكَ الطَّرِيزُ

...[قائلا :] أن الرجال ليسوا بجرز يُطلب عظْمها وسُمنها ، لأن المرأ بأصغريه : قلبه ولسانه، فنقول : ترى الرجل الحسن المهزول الدقيق فتنحقره لضؤولته ، وإذا ضننت واستشففت ما وراء ظاهره وجدته أسدا مزيزا ، والمزيز هو الجلد الخفيف النافذ في الأمور ، ونروي يزيز وليس بجيد من طريق المعنى ، فكأن أصله يزئر فتقلبت الحركة إلى الزاء ، وأبدل من الهمزة باء ؛ كما يقال المرأة والكماة في المرأة والكمأة ، وإنما ضعف من طريق المعنى ، لأن تشبيهه زاد بالأسد ، لا فائدة لذكر الزئير معه ، إذ لا

[1]–شرح ديوان صريع الغواني مسلم بن الوليد الأنصاري ، م س ، ص 101 وما عبدها.

تدوم حاله على ذلك ، ووجهه على ضعفه لا يكون موردِ يزئِر توكيدا على التشبيه ، كما يستعار صفة المشبه به للمشبه وإن كان حصوله لو حصل ذما فيه تأكيدا للتشبيه على ذلك قوله:

أَزَلُّ إِنْ قِيدَ وإِنْ قادَ نَصَبْ ، والزليل من صفة الذئب ، ومنه قول آخر : صَكَّاءُ دِعْلِبةٌ إذا استدبرتها، والصك من صفة النعام ، وقوله : فيعجبك الطريز ، فالطريز الشاب الناعم ذو الكِدْنَةِ ، فيقول : ويتفق في الرجال من يعجبك خِلْقته ، فإذا بَلَوْتَه والمحتسب أخلاقه ، وجدته لا يصدق ظنك فيه ، بل يُخْلف ويخالف في كل [ما] يعتمد عليه أو تكِلُه إليه"[1] .

وشرحه أيضا لقول "جرير يرثي قيس بن ضرار :

وَبَاكِيةٍ مِنْ نَأْي قيسٍ وقدْ نَأَتْ بعينـــي نوىً بينَ طويلٍ بِعادُها

أظن استعمال الدمع ليس بُمْنْتَه عنِ العين حتى يضمحل سَوادها

وحُقَّ لقيسٍ أن تُباحَ له الحِمى وأنْ تُفقر الوَجْناءُ إنْ خَفَّ زَادُها

قوله الباكية من نأي قيس ألمّ فيه بقول الآخر :

وكنتُ أرى كالموتِ من بينِ ليلةٍ فكيف بَيْنِي كان ميعاده الحَسْرُ

فيقول : رب المرأة باكية لبُعد قيس عن مقرّ عِزّه ، ومَسْكن فَخره ، ونأي قيس الساعة لمنتوى بُعده طويل ، والنوى : وجهة القوم التي ينووها ، وهي مؤنثة . وأضاف النوى إلى السيف –وهو العِزاف– لأن العزوف من تلك النوى كان مفارقة الأحياء ، وانتقال إلى دار القرار ، فالبيت سببها ومقتضيها ، وارتفع بعادها بطويل ، والضمير منها يعود إلى النوى ، والواو من قوله : وقد نأت واو الحال .

وقوله : أظن استعمال الدمع : يريد أن أوقات البكاء متصلة ، أي آماد انقطاع الدموغ غير منقطعة ، والعين شؤونها لا تثبت لذلك ولا تقوى به ، فلا شك أن مولاها يبطُل ، وذلك أن مسببات الأشياء إنما تقوى وتدوم بقوة أسبابها ومقتضياتها ، فما دام سبب البكاء –وهو الحزن والهلع– يملك الباكي ويقود زمامه ، فالدمع سائل ذارف ، وسواد العين مشف على الطول هالك.

وقوله : حق لقيس أن تباح له الحمى ، الأصل في الحمى الماء والكلأ ، ولما كان العزيز منهم يستبيح الأحمية ، ويحفظه حمى نفسه ويمنع منه كل أحد . وإذا قال : أحميت هذا المكان : أي جعلته حمى : كان يُتجنب ويُتحامى إجلالا وخوفا منه ، استعير من بعد للقلب ، حق لعين وللمصاب به أن يباح

---

[1]-المرزوقي ، شرح ديوان الحماسة ، م س ، 810-811 .

له من القلوب ما كان حمى ، فلا ينزل به غمٌ ، ولا يمتلكه سرور ، أي حُق للجزع به أن يبلغ من القلب حدا لم يبلغ من شيء ، وقد أخرجوا هذا المعنى في معارض لأنه معنى صحيح حكيم شريف، فقال كثير في الحب يصف امرأة:

أباحَتْ حمًى لم يرْعَهُ الناس قبلها وحلَّتْ قِلاعاً لمْ تكنْ قَبْلُ حُلَّتْ

يقول : بلغت من القلب هذا المبلغ ، وأخذه منه عبد الله بن الصمّة الطثري وقال :

وحلّت محلا لم يكن حُلّ قبلها وهانت مراقيها لريّا وذُلّتِ

وأخذه أبو نواس فقال :

مُباحة ساحة القلوب لهُ يرتعُ فيها أطاييبَ الثَّمر

وأخرجه على وجه آخر فقال ينفي :

بصحْنِ خدِّكم يغِضْ ماؤه ولَـمْ يخُضْه أعيـنُ الناسِ

فنقل إلى الخد وغمض كما نرى ، وقال آخر يصف ناقة:

حمْراءُ منها ضخْمةُ المكان ، يريد عظيمة المكان من القلب . وقوله : وإن تعقر الوجْناء إن حق زادُها: كان الواحد منهم إذا مرَّ بقبر رئيس وكان في صحبته أحب أن ينوب عن القبور في الضيافة ، وإن لم يساعده من الطعام ما يدعو الناس إليه ، عقر ناقته إكراما له ، لذلك قال : وأن تعقر الوجناء إن حق زادها ، والوجناء : الناقة الصلبة ، أخذ من الوجهين ، وهو الأرض الصلبة ، فمن روى : أن حق زادُها بفتح الهمزة ، فالمراد أن حق زادها ، ومن روى : إن حق زادها بكسر الهمزة ، فهي للشرط . وقد اعتذر بعضهم من ترك ذلك ؛ فلولا السّفار وبعد خرق مهمّة لتركتها تحبو على العُرقوب ، يعني ناقته . وقد حكى ابن الأعرابي حكاية مليحة قال : كان رجل يواصل امرأة فخرج في سفر له ، وعاد وقد استبدلت به ، فأتاها لعادته . فقالت :

ألَمْ ترَ أنَّ الماءَ بُدِّلَ حاضراً وأن شِعاب القلبِ بعدك حُلّتِ

فأجابها :

فإنْ تكُ حُلّتْ فالشِّعاب كثيرة وقد نهِلَتْ منها قُلُوصِي وعلَّتِ"[1] .

---

[1]-المرزوقي ، شرح ديوان الحماسة ، م س ، ص 780 وما بعدها .

على العموم فقد شكّلت الشروح في مرحلة من مراحل النقد الأدبي جسر تواصل بين جيلين (قدماء ومحدثين) ، وبين عالَمين (مشرق ومغرب) . فكانت ضرورة لا غنى عنها ، فهي أعمال لا تقل أهمية عن الإبداعات والتآليف التي سبقتها . بل هي أكثر أهمية من ذلك . فلولاها لظل القديم مغلقا ، وبقي الحديث من غير أصول ، وكانت القطيعة ، فجفت الينابيع ، وكان مصير النقد الأدبي والأدب في حد ذاته مجهول المصير . فالشروح كانت اجتهادات وجهود جبّارة دفعت عجلة الأدب والنقد على حد سواء خطوات كبيرة نحو الأمام ، خدمة للغة العربية أولا ، وللتراث العربي ثانيا . إنها الروح التي سكنت جسدا كاد يموت ، إنها أيضا راية رفعت لأجل كفاح علمي وأدبي ، راية لم توضع إلا وقد حملتها أجيال جديدة ، فكانت الاستمرارية ، وكانت الحياة ، وكان الخلود.

25-نظرية الموشح في ميزان النقد :
نماذج نصية من المشرق والمغرب والأندلس

إن اهتمام العربي بالشعر لم يتوقف عنده فقط ، بل انتقل هذا الاهتمام انتقال اللغة العربية والثقافة العربية نحو ربوع أخرى من العالم ، فشملت الشرق والغرب . خاصة وأن الأمر لم يعد مجرد عروض وقافية ، بل أصبح عِلما قائما بذاته ؛ إنه علم الموسيقى ، الذي عرفته بغداد أنذاك . فقد "انتقلت كثير من علوم الموسيقى التي ازدهرت في [هذا الموطن] ... إلى بلاد الأندلس [بفضل] العالم الموسيقي **زرياب** (ق3هـ) ... [الذي استقر] في بلاط الخليفة الأندلسي عبد الرحمن الثاني الذي أعجب بفنه وقرّبه إليه ، وقد أحْدث زرياب تطورا كبيرا في فن الغناء والموسيقى ، وأنشأ أول مدرسة لتعليم علوم الموسيقى والغناء على أصول منهجية اتبعتها مدارس أوربا فيما بعد ، وبفضل أساليبه الجديدة مهّد لنشأة الموشح . لكن موسيقى الموشحات تأثرت أيضا بامتزاج الموسيقات الوافدة بالموسيقات المحلية التي تعايشت روافدها في بلاد الأندلس ، وقد ظهرت في ذلك العصر قيمة جديدة هي قيمة اللحن كمادة سمعية عالية التذوق يمكن أن تتفوق في قيمتها على الكلمات ، ومن هنا نشأ اتجاه يضع الموسيقى والألحان أساسا تُطوّع له الكلمات ... [وقد] استمر ازدهار الموشحات في الأندلس لمدة خمسة قرون ...[و]في أواخر القرن التاسع الهجري [أي] عام 897هـ ... انتقلت إلى

سائر البلاد العربية كالمغرب العربي ومصر والشام من ناحية ، ووصلت أصداؤها بلاد أوربا[1]" من ناحية أخرى .

وعليه كان الموشح نتيجة التطورات الهامة التي حصلت في الشعر العربي من موسيقى وأغراض ولغة ، مضافا إليه موسيقى الأمم الأخرى خاصة الأندلس . وقد مرّ هذا النوع من الشعر (الموشح) بمراحل جعلته فنا قائما بذاته . فأصبحت له تسميات وأقسام وفنون منها : (الأسماط ، والأغصان) . وقد تحدث **ابن خلدون** في مقدمته عن الموشح فقال : ينظمون الموشح "أسماطا أسماطا وأغصانا أغصانا ، يُكثرون من أعاريضها المختلفة ، ويسمون المتعدد منها بيتا واحدا ، ويلتزمون عند قوافي تلك الأغصان وأوزانها متتاليا فيما بعد إلى آخر القطعة ، وأكثر ما تنتهي عندهم إلى سبعة أبيات ، ويشتمل كل بيت على أغصان عددها بحسب الأغراس والمذاهب ، وينسبون فيها ويمدحون كما يُفعل في القصائد[2]" .

وهذا **ابن سناء الملك** يعطي للموشح مفهوما حاصرا يقول : "الموشح كلام منظوم على وزن مخصوص . وهو يتألف في الأكثر من ستة أقفال وخمسة أبيات ، ويقال له التـام ، وفي الأقل من خمسة أقفال وخمسة أبيات يقال له الأقـرع . فالتام ما ابتدئ فيه بالأقفال ، والأقرع ما ابتدئ فيه بالأبيات . [معطيا أمثلة على ذلك قائلا] : فمثال التام موشح الأعمى ، وهو الذي سارت به الركبان: :

ضاحك عن جمان سافر عن بدر ضاق عنه الزمان وحواه صدري

فهذا الموشح ابتُدئ بقفلة ، ومثال الأقرع :

سطوة الحبيب أحلى من جَنى النحل

وعلى الكئيب أن يخضع الذل

ينا في حروب مع الحدق النُّجْل

ليس لي يدان بأحور فتان من رأى جفونه فقد أفسدت دينَه

---

[1]-الانترنيت : قوالب الغناء العربي – فن الموشح ، https://arabianmusic c.wordpress.com/2009/07/19

[2]-ابن خلدون ، المقدمة ، م س ، ص 542.

فهذا الموشح ابتُدئ ببيته[1]" .

وقد لقي هذا النوع من الشعر انتشارا واسعا بالجزيرة الخضراء (بلاد الأندلس) ، حتى أن المشارقة قد قلدوه. وكان مخترع هذا النوع" **مقدم بن معافر الفريري** ، وجاء **لابن زهـر** قوله :

ما لِلْمولَّهِ مِن سكرهِ لا يُفيقُ يا لهُ سكران
من غير خمر ما للكئيب المشوق يندب الأوطان
هل تستعادْ أيـــامُنا بالخليـجْ ولياليـنـــــا
أو نستفادْ من النسيـــم الأريجْ مسْـــكَ دارينا
وادِ يكـــــادْ حسنُ المكان البهيجْ أن يحيّينـــــا
نهـــــرٌ أضلهُ دَوْحٌ عليـــــه أينق مورقٌ فينان
والماءُ يجـــري وعائمٌ وغريـــــق مِنْ جنَى الرّيحان"[2] .

وقد كان للنقاد في هذا الفن آراء ، فمنهم من أعجب به ومنهم من رأى فيه عيوبا .

-فمن المعجبين المغنّون لسهولته ، وخفة أوزانه ، وتعدد قوافيه . وكذلك الشعراء الذين إذا أُعجبوا بموشح تباروا في مجاراته ومعارضته .

-ومن الناقمين من يجد في سماعه طربا ، وصورا لطيفة رقيقة ، لكنه عندما يتعمق فيه لا يجد فيه قيمة فنية ، وقد يقع الغموض فيها لركوب الصنعة اللفظية مجاراة للنغم . فيُرى أن لغة الموشحات ضعيفة ركيكة ، لأن الأندلسيين ليسوا بالعرب الخلّص ، فخرجوا عن قواعد اللغة ، وشردوا إلى سبل العامة"[3].

وعن الفروق بين العروض الخليلي والعروض الأندلسي الذي أنشئت وفقه الأزجال والموشحات نجد :

"-استعمال الأبحر المهملة كالمستطيل والممتد إلخ ، [و] تشطير البيت ؛ أي اقتصاره على شطر واحد في كل غصن أو سمط ... [و]وقوع العلل والزحافات المسموح بها في آخر تفاعيل البيت فقط في مواطن أخرى ، كقطع فاعلن في التفعيلة الثانية من البسيط وهو كثير ، [و]إضافة تفاعيل طارئة أو

---

[1]-القاضي السعيد أبي القاسم هبة الله بن جعفر بن سناء الملك ، دار الطراز في عمل الموشحات ، عني بتحقيقه ونشره : جودة الركابي ، دط ، دت ، ص 25 .

[2]- ابن خلدون ، المقدمة ، م س ، ص 544 .

[3]-حنا الفاخوري ، تاريخ الأدب العربي ، م س ، ص 815-814-816.

عدد يتراوح بين واحد وثلاثة من المقاطع المحايدة الكمية ، إما مسبقة وإما ملحقة وإما مقحمة في وسط تفاعيل البيت ، تركيب شطري البيت من بحرين يمختلفين ، وكذلك يجوز هذا التفاوت بين الأسماط والأغصان ... استبدال تفعيلة مختلفة الإيقاع بالتفعيلة الأصلية على أن يكون عدد مقاطعها نفسه، وهو كثير في الزجل وأقل في التوشيح ، مع أنه أكثر في العروض منه في الضرب . [و]جواز الاختزال في كل حرف علة بل جواز اعتبار كل مقطع غير منبور قصيرا ، أي عدم حسبان الحرف الساكن في الإيقاع ، وعلى عكس ذاك إشباع الحركة واعتبار مقطعه طويلا إذا ما كانت منبورة[1]" .

وعلى العموم فإن الموشح بأوزانه المتعددة ، وقوافيه المتنوعة ، ولغته البسيطة قد فتح آفاقا لانطلاق الشعراء نحو ما تطوقه أنفسهم من حرية ، فعمّ الأرجاء وملأ الدنيا شرقا وغربا . فكان لأصحابه أن جمعوا "بين الفصحى والعامية ... [وحرروا] الوزن والقافية و[رصّعوا] أبياتها بفنون صناعة النظم المختلفة من (تقابل ، وتناظر ، واستعراض أوزان ، وقوافي جديدة) تكسر ملل القصائد ... [و] يمكن تلحين الموشح على أي وزن موسيقي ... [إلا أنها] عُرفت ... [بـ] موازين خاصة غير معتادة[2]" .

ومن أمثلة النقد للموشحات والأزجال ، نجد **ابن قزمان** يقول في أخطل ابن نمارة معجبا بطريقته في التعبير عن معانيه من طريق الألفاظ المحتوية على الأصوات المواتية للمعنى ، وكذا قوة خياله التي تجعل المعنى مجسدا أمام المستمع حتى كأنه يراه ، إضافة إلى سهولة ما يعبر به من لغة ، يقول : "إنه نهج الطريق ، وطرّق فأحسن التطريق ، وجاء بالمعنى المضيء ، والغرض الشريق ، طبع سيال ، ومُعان لا يصحبه جهل الجهال ، يتصرف بأقسامه وقوافيه تصرّف البازي بخوافيه ، ويتخلّص من التغزّل إلى المديح ، بغرض سهل وكلام مليح ... قوله [في الأولى] :

طاقَ في خدّي وبُفْ في القنديل ،

أو قوله : طاقَ طَرْطَقْ يُفَلّسُ أسْطَوَّانْ

دُبَ دُرْدّبْ بصَخْرَ من رطلين ،

---

[1]-ديوان ابن قزمان القرطبي ، إصابة الأغراض في ذكر الأعراض ، تحقيق وتصدير فيديريكو كورينتي ، تقديم :محمود علي مكي ، المجلس الأعلى للثقافة ، المكتبة العربية . دط ، دت ، ص 11-12 .

[2]-قوالب الغناء العربي ،م س.

[فلفظ طاق مُواتٍ لصوت الضرب على الخد ، ولفظ بف مُواتٍ لصوت إطفاء القنديل] .

... [و] قوله [متخيلا الليل إنسانا يمتد مسترخيا مستريحا] :

قدَّر الله وساقُ الوسواسْ

(و) أمكرْتُ على عيون الناسْ

ولعبنا طول النهارْ بالكاسْ

وجاء الليلْ وامتدَّ مثل القتيل[1]" .

ه كما أن لابن قزمان رأي في لغة الموشح والزجل والتزام القواعد فيها يقول : "وليس اللحن في الكلام المعرَب أو الموشح بأقبح من الإعراب في الزجل ، [منوها بمن أتقنه قائلا :] ولا ينزّه عن هذا العار الجلل إلا أخطل رحمة الله عليه فإنه تحرر بنفسه وما سقط إلا في أشياء سقط فيها وهو مخطئ ، وتأخر عن تقدمها فهو مبطئ ، كقوله عفا الله عنه:

فمن عرسْ نُعمانتين

في روضِ تلك الوجنتين

وكقوله أيضا:

كسر اللهْ ساقَ كلِّ ثقيلْي

تعجّب الناسْ من قيلّةِ سعدي

[يعلق محقق الديوان قائلا :] يعاب فيه إعراب روض ، واستعمال تلك عوضا عن ذيك اللهجية ...[و] يعاب فيه إعراب قلة ، وصيغة تعجب الفصيحة"[2]. لأن الموشحات والأزجال جاءت بلهجة أبناء الأندلس المحلية.

وأيضا **ابن الأثير** ، فهو ممن أعجبوا بفن التوشيح ، ومثال إعجابه باستعارة "امرأة سمعها تندب ابنها وتقول فيه : (كيف لا أحزن لذهابه وهو أول درهم وقع في الكيس) ... [وأعجبه أيضا في معانيه حيث يقول :] "وبلغني أن قوماً ببغداد من رعاع العامة يطوفون بالليل في شهر رمضان على الحارات وينادون بالسحور، ويخرجون ذلك في كلام موزون على هيئة الشعر، وإن لم يكن من بحار

1-ديوان ابن قزمان ، م س ، ص 19-20 .

2- م ن ، ص 19 الهامش .

الشعر المنقولة عن العرب ،وسمعت شيئاً منه فوجدت فيه معاني حسنة مليحة ، ومعاني غريبة ، وإن لم تكن الألفاظ التي صيغت به فصيحة[1]" .

ولنا أيضا **ابن سناء الملك** الذي جدّد وقعّد في ميدان الموشحات ، فكان تجديده متمثلا في إبداعه لخرجاته يقول : "فكنت إذا عملت موشحاً لا أستعير خرجة غيري ، بل ابتكرها واخترعها ولا أرضى باستعارتها ؟ واخترعت أوزاناً ما وقعوا عليها (أي المغاربة)، ولم يبق شيء عملوه إلا عملته ، إلا الخرجات الأعجمية فلأنها كانت بربرية ، فلما اتفق لي أن تعلمت اللغة الفارسية عملت هذا الموشح وغيره ، وجعلت خرجته فارسية بدلاً من الخرجة البربرية[2]" . وتقعيده متمثلا في الاهتمام بألفاظ الخرجة قائلا : "قد تكون الخرجة عجمية اللفظ بشرط أن يكون لفظها في العجمي سفسافاً نفطياً ورمادياً زُطياً . والخرجة هي أبزار الموشح ومِلحه وسُكّره، ومِسكه وعنبره، وهي العاقبة ، وينبغي أن تكون حميدة، والخاتمة بل السابقة وإن كانت الأخيرة، وقولي السابقة لأنها التي ينبغي أن يسبق الخاطر إليها ويعملها مَن ينظم الموشح في الأول، قبل أن يتقيد بوزن أو قافية . والوزن خفيفا على القلب ، أنيقا عند السمع ، مطبوعا عند النفس ، حُلوا عند الذوق ، تناوَله وتنوله ، وعامَلَه وعَمِله ، وبنى عليه الموشح لأنه قد وجد الأساس وأمسك الذنَب ، ونصب عليه الراس"[3] .

وعليه فهي الأهم في الموشح كله. ما يدل على كون الموشح فنا قائما بذاته ، له خصائصه التي تميزه عن الشعر العربي القديم ، ولا يمكن أن يخلط بغيره من الفنون ، أو أن ينظم فيه من لا يعرف قواعده وخصائصه .

ويقول معبرا عن اختراعه يقول : "وقد آن أن أذكر وأسرد الموشحات ... وأذيّلها بموشحات لي ، على كل منها موشحٌ مضروبٌ على مثاله ، منسوجٌ في عدد الأقفال والأبيات ... وما شذّ عني إلا موشح أو موشحان وقد أبدلتهما بما هو خير منهما ... من موشحات اخترعتُ أوزانها ، واستخرجت من المعدن عقيقها ... وموشحات أوصلت أقفالها [إلى أحد عشر قفلا ، وما رأيت أحدا جمع لهذه العِدّة شملاً[4]" .

1-ابن الأثير، المثل السائر ،نسخةpdf .

2-إحسان عباس ، تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، م س ، ص 585 ، عن : فصوص الفصول، الورقة: 21ب.

3- القاضي السعيد أبي القاسم هبة الله بن جعفر بن سناء الملك ، دار الطراز ،م س ، ص 32 .

4-م ن ، ص 39 .

وهذا **القاضي الرئيس** ابن جبارة علي بن إسماعيل (ت632هـ) ألّف كتابه المعنون بـ (نظم الدر في نقد الشعر) مركزا فيه على "المآخذ والمساوئ في شعر ابن سناء الملك"[1] ؛ فمن حديثه عن المساوئ أنه "وقف عند قول ابن سناء الملك :

ألا فارفعي ذا الشعر عنا فإننا نغار عليه مـن ملاعبـــة الحجل

عجبت له إذ يطمئن معانقاً أما أذهل الخلخال خوف بني ذهل

بشوك القنا يحمون شهد رضابها ولابد دون الشهد من إبر النحل

فاتهمه بفساد المعنى ونقضه ، وأنه أراد أن يمدحهم فهجاهم ، لأنه جعل طعن رماحهم كإبر النحل ، وإبرة النحل لا أثر لها ولا ألم يحصل منها؟[2]".

كما هو ملاحظ من خلال النماذج النقدية السابقة أن الموشح قد نال حظه من النقد سواء تعلق الأمر بالشعراء أنفسهم أو النقاد لشعرهم . فلم يترك النقد لفظا أو معنى أو خرجة أو موسيقى أو خيال ...إلخ . لأنه مُبدَع ، وكل مُبدَع له من قِبل متلقيه ما يقال . فبين إعجاب وتقليد ، وأخذ ورد ، عرف الموشح طريقه إلى الاعتدال والانتشار.

26-قضايا النقد عند :
(حازم القرطاجني ، وابن حزم ، وابن شهيد ، وابن خلدون)

عرف النقد العربي لدى المشارقة تطورا ملحوظا من عصره الجاهلي إلى عصر بني العباس . وقد انتقل هذا الأخير إلى المغرب بواسطة المهتمين به من شعراء وبُلغاء ونقاد من الطرفين (مشرق ومغرب) . وقد كان النقد المشرقي دقيقا في مراميه ، وكان المغربي عميقا إلى أبعد الحدود ، والسبب اختلاف المشارب والذهنيات ، وتقدم الزمن ، وتراكم المعارف . ومن نقاد المغرب العربي والأندلس نجد : (حازم القرطاجني ، وابن حزم ، وابن شهيد ، وابن خلدون) ، وكان لهؤلاء باع في ميدان اللغة ، وخاصة ما تعلق بالنقد ، وفيمايلي عرض لبعض ما جادوا به :

✓ -أبو الحسن حازم القرطاجني :

1- إحسان عباس ، تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، م س ، ص586 ، عن : الغيث : 1 : 128.

2-م ن ، ص 587 ، عن م ن : 1 : 224 .

لم يترك حازم قضية نقدية شائكة إلا وأبدى رأيه فيها بكل عمق ومنطقية ، ومن أهم ما تناول قضية (ماهية الشعر ، والتخييل ، وأهداف الشعراء ومنطلقاتهم أو ما سماه بالمِنازع) . فمِن القضية الأولى (ماهية الشعر) يقول : الشعر : "كلام موزون مقفّى من شأنه أن يحبب إلى النفس ما قصد تحبيبه إليها ، ويكرّه إليها ما قصد تكريهه ، لتحمل بذلك على طلبه أو الهرب منه ، بما يتضمن من حسن تخييل له ، ومحاكاة مستقلة بنفسها أو متصورة بحسن هيأة تأليف الكلام ، أو قوة صدقه ، أو قوة شهرته ، أو بمجموع ذلك . وكل ذلك يتأكد بما يقترن به من إغراب . فإن الاستغراب والتعجب حركة للنفس إذا اقترنت بحركتها الخيالية قوى انفعالها وتأثيرها[1]" .

فالشعر لدى حازم ليس عنوانا للوزن والقافية فقط –كما أوضح علماء المشرق– ، إنما هو دقيق المسلك يتعلق الأمر بشكله ومضمونه وأهدافه ؛ فمن الشكل نجد (الوزن ، والقافية ، وحسن تأليف الكلام) ، ومن المضمون نجد (الخيال ، والمحاكاة ، والصدق ، والشهرة ، والإغراب) بمعنى الجديد الذي يعجب له المتلقي ، ومن الأهداف نجد (التحبيب ، والتكريه) بمعنى الإقناع والتأثير . وعليه فإن الشعر –على يدي حازم– عُلمت دقائقه ومخبآته وكان أكثر وضوحا ، ليعلم المتلقي أن الشعر غير محصور الماهية ، بل هو كل ما تعلق بالنظام اللغوي ، والفن الشعري ، والحاجة الإنسانية ، والإبداع . إنه باختصار علم الخاصة (الشعراء) من أجل العامة (المتلقين خاصتهم وعامتهم).

وعن التخييل قال : "التخييل هو قوام المعاني الشعرية، والإقناع هو قوام المعاني الخطابية، واستعمال الإقناعات في الأقاويل الشعرية سائغ، إذا كان ذلك على جهة الإلماع في الموضع بعد الموضع، كما أن التخاييل سائغ استعمالها في الأقاويل الخطابية في الموضع بعد الموضع ، وإنما ساغ لكليهما أن يستعمل يسيرا فيما تتقوم به الأخرى ، لأن الغرض في الصياغة واحد ، فهو إعمال الحيلة في إلقاء الكلام من النفوس بمحل القبول لتتأثر لمقتضاه ، فكانت الصناعتان متآخيتين لأجل إتفاق المقصد ... فلذلك ساغ الشاعر أن يخطب ، لكن في الأقل كلامه ، وللخطيب أن يشعر لكن في الأقل من كلامه"[2] .

والمعنى أن التخييل يشمل كل ما تعلق بالشعر من جمال (بيان وبديع وتصرف في مناحي المعاني والبناء اللغوي) . في حين أن الاقناع (الاحتجاج) أو كل ما تعلق به فهو مخصوص بالنثر أو

---

[1]–حازم القرطاجني ، المنهاج ، م س ، ص 71

[2]– م ن ، ص 361 .

الخطب على وجه الخصوص . لكن حازم لا يمنع من أن يدخل مخصوص الأول في الثاني ومخصوص الثاني في الأول ، شريطة ألا يتجاوز ما به يحدث النشاز . ليبقى الشعر شعرا والخطاب (النثر) خطابا . فالتحسين جائز ، والخلط ممنوع لدى حازم.

وعن المنازع يقول: "المنزع ... كيفية مأخذ الشاعر في بنيه نظمه وصيغة عباراته ، وما يتخذه أبدا قانونا في ذلك ... [كـ]منزع عبد الله بن المعتز في حمزياته ، والبحتري في طبقياته ، فإن منزعهما فيما ذهبا إليه من الأغراض مُبْدَع عجيب ... [و]مأخذ أبي الطيب في توطئة صدور الفصول للحِكم التي يوقعها في نهاياتها ، فإن ذلك كله منزع اختص به أو اختص بالإكثار منه والاعتناء به ... ويستحسن من جميع ذلك ما حسن موقعه من النفوس ولم يحسن ما كان بالضد من ذلك"[1] .

يأخذنا هذا النص إلى فكرة النظم في حد ذاته ، إذ لكل شاعر طريقته في إيصال معانيه إلى غيره من المتلقين . لكن يشترط حازم أن تكون الطريقة حسنة ، والمدخل طيب ، والهدف نبيل . وهذا يحيلنا إلى النزعة الدينية لدى الرجل ، فهو ينزع إلى الأخلاق في نظريته الشعرية . فالنفس البشرية مكرّمة ، وعلى الناظم أن يحترم هذا المبدأ ، فمهما كانت أغراضه ، فعليه اختيار طُرُقِه الطيبة إلى أهدافه النبيلة ، فلا يمنع أن يصحب النظم السليم الخيال الرائع والأخلاق النبيلة.

فالنتيجة المستقاة من رأي حازم النقدي حول فني الشعر والنثر هي : (احترام مبادئ النظم . لكل فن من فنون الأدب سبيله الذي يُنْسج فيه . كما أن الجمال الأدبي يشمل كلا من الألفاظ والمعاني والخيال والزخرف . وأيضا لا بد من المحافظة على السبل اللطيفة الطريفة من أجل الأهداف النبيلة).

✓ -أبو محمد علي بن حزم الأندلسي:

إن توجه ابن حزم النقدي –رغم تمكنه– ديني بالدرجة الأولى ، لذا ركزنا على مبدئه في الشعر من حيث مَرْآه الخاص يقول : "أما علم الشعر فإنه على ثلاثة أقسام : أحدها : أن لا يكون للإنسان علم غيره فهذا حرام . يبين ذلك قوله عليه السلام : لأن يملأ أو يمتلئ جوف أحدكم قيحا حتى يريه خير له من أن يمتلئ شعرا . والثاني : الاستكثار منه ، فلسنا نحبه وليس بحرام ، ولا يُأثم المستكثر منه إذا ضرب في علم دينه بنصيب . ولكن الاشتغال بغيره أفضل . والثالث : الأخذ منه بنصيب فهذا نحبه ونحض عليه ، لأن النبي عليه السلام قد استنشد الشعر . وأنشد حسان على منبره

[1]-م س ، ص 366.

عليه السلام وقال عليه السلام : إن من الشعر لحِكَما، وفيه عَوْن على الاستشهاد في النحو واللغة ، فهذا المِقدار هو الذي يحب الاقتصار عليه من رواية الشعر ، وفي هذا كفاية وحسبنا الله ونعم الوكيل . وأما من قال الشعر في الحكمة والزهد فقد أحسن وأجر ، وأما من قال معاتبا لصديقه ومراسلا له ،وراثيا من مات من إخوانه بما ليس باطلا ، ومادحا لمن استحق الحمد بالحق فليس بآثم ولا يكره ذلك ، وأما من قال هاجيا لمسلم ومادحا بالكذب ومشبّبا بحرم المسلمين فهو فاسق ، وقد بين الله هذا كله بقوله [في سورة الشعراء] : {والشُّعَراءُ يتْبَعُهُم الغَاوُونَ(224)}"[1] .

وعليه فهو يتخذ المنهج الذي انتهجه رسول الله (ص) انطلاقا مما حث عليه جل شأنه وعظُم سلطانه.

✓ -أبو عامر أحمد بن شهيد (ت426هـ) :

يقول في كتابه (حانوت عطّار) عن الشعراء وخاصة أبو عمر أحمد بن درّاج القسطلي : "والفرق بين أبي عُمَر وغيره أن أبا عمر مطبوعُ النظام ، شديدُ أسْر الكلام ؛ ثم زاد بما في أشعاره من الدّليل على العلم بالخَبَر واللغة والنسب ، وما تراه من حَوْكه للكلام ، وملْكه لأحرار الألفاظ ، وسعة صَدْره ، وجَيْشَة بحرِه ، وصحَة قدرته على البديع ، وطول طَلَقِه في الوصف ، وبُغْيتِه للمعنى وترديده ، وتلاعُبه به وتكريره ، وراحته بما يُتعبُ الناس ، وسَعَة نَفَسِه فيما يُضَيّقُ الأنفاس"[2] .

وهو نقد يخص الشعر ومتعلقاته ، إنه —حسب ابن شهيد– علم قائم بذاته ، فهو (لفظ ومعنى ، ومقدرة ذهنية ونفسية ، وتكوين فني ، وبراعة لغوية ، ومعرفة بالتاريخ والأمم) وغيرها كثير . فهو صنعة لا يركبها إلا بارع.

وقوله في تأثير البيئة المكانية والزمانية في أصحابها : "وكما أن لكل مقام مقالا ، فكذلك لكل عصر بيان ، ولكل دَهْر كلام ، ولكل طائفة من الأمم المتعاقبة نوعٌ من الخطابة ، وضرب من البلاغة ، لا يوافقُها غيرُه ، ولا تَهَشَّ لسواه . وكما أن للدنيا دولاً ، فكذلك لكلام نُقَلٌ وتَغايُرٌ في العادة . ألا ترى أن الزمان لمّا دار ، كيف أحال بعضَ الرسم الأول في هذا الفن إلى طريقة (عبد الحميد ، وابن المقفع ، وسهل بن هارون) وغيرهم من أهل البيان ؟ فالصنعة معهم أفسَحُ باعًا ،

---

[1]-رسائل ابن حزم ، م س، الرد على ابن النغريلة اليهودي ، ص 163-164 .

[2]- ابن بسام الشنتريني ، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، م س ، قسم 1 ، مجلد 1 ، ص 61.

وأشد ذراعا ، وأنْور شُعاعا ، لرُجحان تلك العقول ، واتساع تلك القرائح في العلوم . ثم دار الزمانُ دَوَرَانًا ، فكانت إحالةٌ أخرى إلى طريقة (إبراهيم بن العباس ، ومحمد بن الزّيات ، وابني وهب) ونظرائهم . فرقّت الطّباع ، وخفّ ثقلُ النفوس . ثم دار الزمانُ فاعترى أهله باللطائف صَلَفٌ ، وبرِقّة الكلام كَلَفٌ ، فكانت إحالةٌ أخرى إلى طريقة (البديع ، وشمس المعالي) وأصحابهما . وكذلك الشعراءُ انتقلوا عن العادة إلى الصنعة بانتقال الزمان ، وطلبَ كل ذي عصر ما يجوز فيه ، وتَهَشُّ له قلوبُ أهله ، فكان من (صريع الغواني ، وبشار ، وأبي نواس) وأصحابهم في البديع ما كان ، من استعمال أفانينه والزيادة في تفريع فُنونه . ثم جاء (أبو تمام) فأسرف في التجنيس ، وخرج عن العادة ، وطابَ ذلك منه ، وامتثله الناس ، فكل شِعْر لا يكون اليوم تجنيسًا أو ما يشبه تمُجّه الآذان . والتوسّطُ في الأمر أعدلُ ؛ ولذلك فضّل أهل البصرة (صريع الغواني) على (أبي تمام) لأنه لبس ديباجةَ المحدثين على لأمة العرب ، فتركّب له من الحسن بينهما ما تركَّب[1]" .

وهو حديث عن تطور الشعر من حيث البناء والأغراض وفقا لتطور الزمن ، واختلاط الثقافات . وهي قضية خاض فيها النقاد كابن سلام في طبقاته ، وابن رشيق في عمدته وغيرهما كثير . دلالة على عمق نظرات النقاد العرب القدامى إلى النصوص الأدبية . حتى كأنهم ينظّرون للأدب ، إن لم يكن الأمر فعلا تنظيرا.

✓ عبد الرحمن بن محمد بن خلدون :

تكلم ابن خلدون في كتابه المقدمة عن مواضيع كثيرة تخص اللغة العربية وعلومها ، فمن النقد تحديده لمفهومي الشعر والنثر يقول : "اعلم أن لسان العرب على فنّين : في الشعر المنظوم ، وهو الكلام الموزون المقفى ، ومعناه أن تكون أوزانه كلها على وزن واحد وهو القافية . وفي النثر وهو الكلام غير الموزون . وكل واحد من الفنين يشتمل على فنون ومذاهب في الكلام ، فأما الشعر فمنه المدح والهجاء والرثاء . وأما النثر فمنه السجع الذي يؤتى به قِطَعا ، ويلتزم في كل كلمتين منه قافية واحدة يسمى سجعا . ومنه المُرسل وهو الذي يطلق فيه الكلام إطلاقا ، ولا يقطع أجزاء بل يرسل إرسالا من غير تقييد بقافية ولا غيرها ، ويستعمل في الخطب والدعاء وترغيب الجمهور وترهيبهم . وأما القرآن وإن كان من المنثور ، إلا أنه خارج عن الوصفين ، وليس يسمى مرسلا مطلقا ولا

[1]- ابن بسام ، الذخيرة ،م س ، قسم 1 ، مجلد 1 ، ص 237-238.

مسجّعا، بل تفصيل آيات ينتهي إلى مقاطع ، يشهد الذوق بانتهاء الكلام عندها ... ويسمى آخر الآيات منها فواصل ؛ إذ ليست أسجاعا ولا التزم فيها ما يلتزم في السجع ، ولا هي أيضا قواف[1]" .

وكما هو ملاحظ فإن ابن خلدون قد فصَل بين الفنين ، فلكلٍ الشكل الذي يرد عليه ، والهدف الذي يُنشَأ لأجله . ولا يمكن الخلط بينهما أبدا . إلا أن القرآن الكريم يجمع بينهما . فله نظامه الخاص ومصطلحاته الخاصة ، وأهدافه التي أُنزل من أجلها . وعليه فإن النظر في الفنون لا بد له من فاحص مدقق عارف بالعلوم المختلفة والفنون المتنوعة حتى لا يخلط بينها ، ويفسد رونقها وجمالها ، ويذهب ماءها.

مُلحـــق
(تطبيـــقـــات)

تمعّن في النصوص الموالية ، ثم اذكر القضية التي يتناولها كل نص ، محددا باختصار النقاط التي عالجها:

1-يقول حازم القرطاجني : "كل ما ندر من المعاني فلم يوجد لهم نظير ، وهذه هي المرتبة العليا في الشعر ، من جهة استنباط المعاني ، مَن بلغها فقد بلغ الغاية القسوى من ذلك ، لأن ذلك يدل على نفاذ خاطرة ، وتَوقّد فكرة ؛ حيث استنبط معنى غريبا ، واستخرج من مكامن الشعر سِرا لطيفا ، فإذا ساعدته العبارة في ذلك وكانت في شرف صنعتها ... والحسن ظاهر ، وما كان بهذه الصفة فهو متحامي من الشعراء لقلة الطمع في نيله ؛ إذ لا يكون المعنى من الغرابة والحسن بحيث مرت العصور وتحاورت ذلك الموصوف الألسنة ، فلم تتغلغل الأفكار إلى مَكْمَنِه إلا وهو من صنف المحال وبُعد الغَور ؛ بحيث لا يوجد التهدي إلى مثله والتنبه إلى مظنة وجدانه في كل فكر . بل ذلك مقصور على بعض الأفكار ، وموجود لها في بعض الأحوال دون بعض ، والمعاني التي بهذه الصحة تسمى العُقم ، لأنها لا تُلْقَح ، ولا تحصل عنها نتيجة ، ولا يُقتدح منها ما يجري مجراها من المعاني ،

1-ابن خلدون ، المقدمة ، م س ، ص 519 .

فلذلك تحاماها الشعراء ، وسلّموها لأصحابها ، عِلما منهم أن من تعرض لها مُفتضح . ألا ترى أنهم عابوا على ابن الرومي —وحظه من الاختراع الحظ الأوفر– تعرضه لقول عنترة:

وخلا الذبابُ بها يُغَني وحده هزجا كفِعل الشارب المترنّم

غرِدا يسنُّ ذراعَه بذراعِه قدحَ المكب على الزناد الأجذم

بقوله يصف روضة:

وغرّد ربعي الذباب خلالها كما حثحث النشوان صنجًا مشرعا

فكانت بها زنج الذباب هناكم على شذوات الطير ضربا موقعا

على أن ابن الرومي قد نحى بالمعنى نحوا آخر في جعل تغريد الذباب ضربا موقعا على شذوات الطير وهذا تخييل ، محركا إلى ما قصده ابن الرومي تحريك النفوس إليه ، وإبلاغها به . فمثل هذه المعاني النادرة إذا وقع فيها مثل قول ابن الرومي وقع فيها زيادة ما من جهة ، وإن كان فيها تقصير من جهة أخرى بحيث أن يصحح عن قائليها في ما وقع لهم من التقصير إذا وقع لهم بإيزاء ذلك زيادة ، وإن كان ما قصروا عنه أجلّ مما زادوا ، هذا إن لم يكن سيء المقصر وعنه والمزية تفاوت كبير[1]" .

2–ويقول أيضا : "النظم صناعة ألفها الطبع ، والطبع هو استكمال للنفس في فهم أسرار الكلام، والبصيرة بالمذاهب والأغراض ، التي من شأن الكلام الشعري أن ينجز به نحوها ، فإذا أحاطت بذلك علما ، قويت على صوغ الكلام بحسبه عملا . وكان النفوذ في مقاصد النظم وأغراضه، وحسن التصرف في مذاهبه وأنحائه، وإنما يكونان بقوى فكرية ، واهتداءات خاطرية ، تتفاوت فيها أفكار الشعراء . فأول تلك القوى : ... القوة على التشبيه فيما لا يجري على السجية ، ولا يصدر من قريحة بما يجري على السجية... [الثانية] القوة على تصور كليات الشعر والمقاصد الواقعة فيها ، والمعاني الواقعة في تلك المقاصد لتوصل بهذا إلى اختيار ما يجب لها من القوافي ، ولبناء فصول للقصائد على ما يجب نحو ما أشرنا وما نشير إليه ، الثالثة : القوة على تصور صورة للقصيدة تكون بها أحسن ما يمكن ، وكيف يكون إنشاؤها أفضل من جهة وضع بعض المعاني والأبيات والفصول من بعض ، بالنظر إلى صدر القصيدة ومنعطفها من نسيب إلى مدح ، وبالنظر إلى ما يجعل خاتمتها إن كانت محتاجة إلى شيء معين . الرابعة : القوة على المعاني بالشعور بها واجتلابها من جميع

[1]–حازم ، المنهاج ، م س ، ص 194–195 .

جهاتها . الخامسة : القوة على ملاحظة الوجوه التي بها يقوى التناسب بين المعاني وإيقاع تلك النسب فيما بينها . السادسة : القوة على التهدي إلى العبارات الحسنة الوضع ، والدلالة على تلك المعاني . السابعة : القوة على الالتفات من حيز إلى حيز ، والخروج منه إليه ، والتوصل به إليه . التاسعة : القوة على تحسين وصل بعض الفصول لبعض والأبيات بعضها ببعض، وإلصاق بعض الكلام ببعض على الوجوه التي لا تجد النفوس عنها بقوة . العاشرة : القوة المائزة حسن الكلام من قبيحه بالنظر إلى تحسين الكلام وبالنسبة إلى الموضع الموقع فيه الكلام ، فقد يتفق لشاعر أن ينظم بيتين قاقيتهما واحدة ، فيكون أحدهما أحسن في نفس ، والآخر أحسن بالنسبة إلى المحل الذي يوقعه فيه من جهة لفظ أو معنى أو نظام أو أسلوب ،ففي مثل هذا الموضع يصير المرجوح راجحا ، والمفضول فاضلا ، وكثيرا مما ليست له هذه القوة يُسقط أحسن مما يثبت بالنسبة إلى المحل"[1].

3-وله أيضا قوله : "وأن يكون اللفظ حوشيا أو غريبا أو مشتركا ، فتعرض من ذلك ألا يعلم ما يدل عليه اللفظ ، أو أن يتخيل أنه دليل في الموقع الذي وضع فيه من الكلام على غير ما جيئ به للدلالة عليه ، فتعذر فهم المعنى لذلك . وقد يتفق مثل هذا بأن يعرض في تركيب اللفظ اشتباه يصيّره بمنزلة اللفظ المشترك نحو قول امرئ القيس:

تطعنهم سلكى ومخلوجة لفتـــك بأمين على نابل

ومن ذلك أن يقع في الكلام تقديم وتأخير ، أو يتخالف وضع الإسناد ، فيصير الكلام مقلوبا ... أو يقع بين بعض العبارة وما يرجع إليها فصل بقافية أو سجع ، فتخفى جهة المطالب بين الكلامين ، أو بأن تفرط العبارة في الطول فيتراخى بعض أجزائها عما يستند إليه وماهو منه بسبب ، فلا يشعر باستناده إليه أو اقتضائه له ، لا سيما إذا وقع في الكلام اعتراضات وفصول ، وكان مشتملا على أشياء يمكن أن ترجع إلى كل واحد منها ذلك الشيء"[2] .

4-وقوله : "إن الأقاويل الشعرية يحسن موقعها في النفوس من حيث تُختار مواد اللفظ ، وتُنتقى أفضلها ، وتركب التركيب الملائم المتشاكل ، وتستقصى بأجزاء العبارات التي هي الألفاظ الدالة على أجزاء المعاني المحتاج إليها ، حتى تكون حسنة إعراب الجملة. والتفاصيل عن جملة

---

[1]-م س ، ص 200-201 .

[2]-م ن ، ص 173-174 .

المعنى ... يكون التخيل ... حتى تتشكل الجملة بتشكل أجزائها، فتقوم صورته بذلك في الخيال الذهني على حد ما هي عليه[1]" .

5-وقوله : "من أمثلة الأخذ المستهجن قول أبي كريمة :

قفاهُ وجهٌ ، ثم وجه الذي قفاهُ وجهٌ يشبه البدرَا

أخذه من قول أبي نواس:

بأبي أنت منْ مليحٍ بديعٍ بذّ حسْنَ الوجوهِ حسنُ قَفَاكَ

وأحسن ابن الرومي فيه قال:

ما ساءني إعراضه ولكن سرّني عنّي القفاه عوضٌ من كل شيءٍ حسَنُ. "

6-ويقول حازم :"اعلم أن هذه القوة لا تدرك بحرص ، ولا تنال بجهد ، بل قد يُمنحها الحريص ، ويُمنحها غير الحريص ... ذلك جرير والفرزدق ، فإن جريرا على عفّته نسيبه في غاية الرقّة وحسن الأسلوب ، والفرزدق على عهره وشدة وَلَعِه بالنساء فشعره في نهاية الجفاء وقبح الأسلوب، مع حِرصه على أن يرقّ ويحسن أسلوبه ، وحسده على جرير حتى أنشده :

متى كانَ الخِيام بـذِي طلـوح سقيــتِ الغيثَ أيتها الخِيامُ

يا أخت ناجية بن مرّة إنني أخشى عليكِ بنيّ إن طلبوا دمي

فقال : قَاتَلَه الله ما كان أحوجني مع فِسْقي إلى رِقَّة شعره ، وما كان مع عِفَّتِه إلى خشونة شعري ، وكان الفرزدق أجّل عاما في أن يصنع بيتا رقيقا في النسيب"[2] .

7-يقول ابن شرف : "وأما (القيسيان [قيس بن الملوح ، وحسن بن ذريح الكناني] وجميل ، وغيلان ، والطثري ، والدمني) ... وسحيم الربحي ، فطبقة عشِقة توَّاقة ، قد استحوذت الصبابة على أفكارهم ، واستعرضت دواعي الحب معاني أشعارهم ، فكلهم مشغول بهواه لا يتعداه إلى سواه . وأما (كُثير) فحسن النسيب فصيحُه ، لطيف العِتاب مليحُه ، شجي ذكر الاغتراب قرحه، جامع إلى ذلك ... جزالة مدح الخلفاء . أما (الرمّاح والكميت والطرماح ونصيب) فشعراء معاصرة ومناقضة ومفاخرة ، فأما نصيب فأمدح القوم ، والطرماح أهجاهم ، فالرماح أنسبهم نسيبا ،

---

[1]-م س ، ص 119 .

[2]-م ن ، 343-344 .

والكميت أشبههم نسيبا . وأما (بشار) فأول المولّدين ، وآخر المخضرمين ، وممن لحق بالدولتين ...شعره ... يلين حتى يستعطف ، ويقوى حتى يتكشّف ، وقد طال عمره ، وكثُر شعره ، وطما بحرُه ، وبقي في البلاد ذِكره ... وأما (أبو نواس) فأول الناس في خرم القياس ، وذلك أنه ترك السُنّة الأولى ، ونكب عن الطريقة المثلى ، وجعل الجِد هزلا ، والصعب سهلا ، فهلهل المشدود ، وبلبل المنضد ، وخلخل المنجد ، وترك الدعائم ... وصادق الأفهام حتى كلّت ، وأسباب العربية قد تخلخلت وانحلت ، والفصاحات قد سمتت وملّت ، فقال فمال الناس إلى ما عرفوه ، وعلِقت نفوسهم بما انفرد منها شعره ، وأعْلَوا شعره ، وشُغفوا بأسخفه ، وكلفوا بأضْعفه ، وكان ساعده أقوى ، وسراجه أضوى ... وخالف فشُهر وعُرف ... وأغرب فذكر ، واستظرف حتى التزم تُجار هذه الأكلاف ، وأسواقهم أوسع الأسواق ... وأما (صريع) فكلامه مُرصَّع ، ونِظامه مصنّع ، وغزله مستعذَب مستغرَب ، وجملة شعره صحيحة الأُصول ، قليلة الفصول . وأما (العباس بن الأحنف(فمتغزل بهواه ، ومنعزل لما سِواه ، رفع نفسه عن المدح والهجاء ، ووضعها بين يدي هواه من النساء ، قد رقق الشغفُ كلامه ، وثقفت قوة الطبع نظامُه ، فله رِقّة العُشاق ، وجودة الحُذاق . وأما (البحتري) فلفظه ماء ثجاج ، ودُرٌ رجْراج ، ومعناه سِراج وهاج ، على أهدى منهاج ، يسبقه شعره إلى ما يجيش به صدره ... ولين خيال إن ... شربته أرواك ، وأن قدحته أوراك ، طبع لا تكل فيه يعيبه ، ولا عساه بثنية ،لا يمل كثيره ولا يستنكف غزيره ، ولم يهِف أيام الحلم ، ولم يصف زمن الهرم . أما (ابن المعتز) فملِك النظام ... له التشبيهات المثلية ، والاستعارات الشكلية ، والإشارات السحرية ، والعبارات الجهرية ... والطرائق الفنونية ، والافتخارات الملكية .. والغزل الزائف ، والعتاب الشائق ، ورصف الحسن الفائق ... وأما (ابن الرومي) فشجرة الاختراع ، وثمرة الابتداع ، وله في الهجاء ما ليس له في الإطراء ، فتح فيه أبوابا ، ووصل منه أسبابا"[1] .

8-وجاء في حديث الأربعاء لطه حسين نماذج من الشعر العربي قوله : "ومن أجل إمتاع الآخر صدَق الشاعر العربي ، فكان مبدعا في كل الأغراض ، فمنهم من ألِف ناقته وأحبها "واشتدت الألفة بينهما ، فرفعها إلى مستواه ، فاتخذ منها صديقة مصاحبة ، وجعلها إنسانة تقاسمه المشاعر وتشاطره الهموم ، فأضفى عليها من صفات العقلاء ووجدان الأصدقاء ، فناجاها وتسمّع إلى

---

[1]-ابن شرف ، أعلام الكلام ،م س ، ص 21 وما بعدها .

شكواها وعبّر عنها ، وكأنه لسانها إذا نطقت أو وجدانها إذا أفصحت ... [ومثاله أن عبّر] طه حسين ... عن بعض أبيات المثقب العبدي [قائلا] : "وإنما أقف بك عند هذه الأبيات لأنها خليقة بأعظم الإعجاب وأقواها حقا:

إذا ما قُمْت أُرْحلُها بِلَيْلٍ تأَوَّهت آهَةَ الرَّجُلِ الحزينِ
تقُولُ إذا دَرأْتُ لَها وضِينِي أَهَــذا دينُه أَبــدًا وَدِيني
أَكُــلَّ الدَّهْرِ حِل وارْتِحالٌ أمَا يُبقِي عَليَّ وما يَقِينِي

[ومنهم من نقل معاناته مع قومه مثل] قول طرفة :

إِلَى أَنْ تَحَامَتْنِي العَشِيرَةُ كُلُّهَا وَأُفْرِدْتُ إِفْرَادَ البَعِيرِ المعَبَّدِ

ويقول الشنفرى:

وَلِي دُونَكُم أَهْلُونَ : سَيِّدٌ عَمَلَّــسٌ وَأَرْقَط زَهْلُــولٌ وَعَرْفَاء جيال
هُمُ الأَهْلُ ، لاَ مُسْتَوْدع السِّرِّ ذَائِعٌ لَدَيْهُم وَلَا الجَانِي بِمَا جَز يَخْذل

ويقول عُرْوَة [مصورا للغني والفقير]:

دعيني للغِــنى أَسْعَى فَإِنِّي رَأَيْــتُ النَّاسَ شَرُّهُم الفَقِيرُ
وَأَبْعَدُهُم وَأَهْوَنُهُم عَلَيْهِم وَإِنْ أَمْسَى لَهُ حَسَب وخِيرُ
وُيُقْصِيهِ النَّدِيُّ وَتَزدَرِيــهِ حَلِيلَتُــهُ ، وَيَنْهَرُهُ الصَّغِيرُ
ويُلفِي ذُو الغِــنَى وَلَهُ جَلاَلٌ يَكَادُ فُؤَادُ صَاحِبِهِ يَطِيرُ
قَلِيــلٌ ذَنْبُهُ وَالذَّنْــبُ جَمٌّ وَلَكِنْ لِلْغِنَى رَبٌّ غَــفُورُ

و[يصوّر] عروى بن الورد [ولاءه لقبيلته]:

وهَلْ أنا إلاَّ منْ غزَيَّةَ إن غَوَتْ غَويْتُ وَلَإِنْ تَرْشُدْ غُزَيَّةُ أَرْشُد"[1]

ويـ[يصف] البحتري [الربيع مانحا إياه الحياة قائلا]:

"أَتَاكَ الرَّبِيعُ الطَّلْقُ يَخْتَالُ ضَاحِكا مِنَ الحُسْنِ حَتَّى كَادَ أَنْ يَتَكَلَّمَا
وَقَدْ نَبــهَ النَّيْرُوزُ فِي غَسَقِ الدُّجَى أَوَائِــلَ وَرْدٍ كُنَّ بِالأَمْسِ نُوَّمَا
يُفَتِّحُــهَا بَرَدُ النَّــدَى فَكَأَنَّــهُ يَبُــثُّ حَدِيثــًا كَانَ قَبْل مُكتَّمَا
وَمِــنْ شَجَــرٍ رَدَّ الرَّبِيعُ لِبَاسَــهُ عَلَيْــهِ كَمَا نَشَرَتْ وَشْيًا مُنَمْنَمَا

[1]–طه حسين ، حديث الأربعاء ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، القاهرة ، مصر ، دت ، ص 317.

وَرَقَّ نَسِيـمُ الرِّيـحِ حَتَّى حَسِبْتُهُ يَجِـيءُ بِأَنْفَـاسِ الأَحِبـَّةِ نُعَّمَا"[1]

وقوله أيضا : "الا ترى إلى هذه الأبيات القليلة ؟ كيف تقف الشاعر [لبيد] أمامك ؟ وتمثله تمثيلا صادقا ، فتحببه إليك ، وتعطفك عليه ... وتستمتع بالاستماع له :

إذا القومُ قالوا مَنْ فتى خِلْتُ أنني عُنِيـتُ فَلَمْ أَكْسَـــلْ ولم أتبلّدِ
ولسْتُ بِحلاّلِ التِّلاعِ مخافـــةً ولكن متى يسترفِدِ القومُ أرْفـــدِ
وإنْ تَبْغِنِي في حلْقةِ القومِ تَلْقَنِي وإنْ تلْتمِسْنِي في الحوانيتِ تصْطدِ
متى تأتِنِي أصبُحْكَ كأسًا رويّةً وإنْ كُنتَ عنها في غِنى فاغْنى وارْدَدِ
وإنْ يلتقي الحيّ الجمعُ تلاقنـــي إلى ذِرْوَةِ البيت الشريـفِ المصمَّدِ

فانظر إليه وهو يتقدم إليك ظريفا ، لبقا رشيقا ، حازما مع ذلك كل الحزم ، واثقا بنفسه أشد الثقة ، راض عنها كل الرضى ، شاعرا بواجبه الاجتماعي أوضح الشعور وأقواه ، يؤمن بأنه قد خلق لقومه قبل أن يُخلق لنفسه ، فهو ... يجبهم إذا دعوا وإن لم يوجهوا الدعوة إليه ، كأنهم لا يستطيعون أو لا ينبغي أن يدعو غيره ، وكأنه هو ... الفتى الذي يختصر شباب قومه اختصارا ويمثلهم تمثيلا ، ويحتمل عنهم أثقال القبيلة ... وإذا اطمأن الرجل له أن يشعر بواجبه أصدق الشعور ، ويؤديه أحسن الأداء[2]... [و] يقول لبيد :

وجَزورٍ أيْسارٍ دَعَوْتُ لحتفهـا بمعـالقٍ متشابهٍ أجسامها
أدعو بهن لعاقِرٍ أو مُطْفِـــلٍ بُذِلت لجيران الجميع لِحامُها
فالضيفُ والجارُ الجنيبُ كأنَّما هبطا تبَالَةَ مخصّبا أهضامَها
تأوي إلى الأطْنَابِ كلّ زريّـة مِثل البليّةِ قالِـصٌ أهدامَها
يكللون إذا الرماحُ تناوَحَـتْ خُلُجًـا تمدُّ شوارعا أيتامُها

فهو يتحدث عن عادته ، حيث كان يقامر إلى نحر الإبل لا يبتغي بذلك ربحا ولا كسبا ، إنما يبتغي إطعام الجائعين الذين كانوا يأوون إليه ، منهم الضيف ... والجار ... والعاقر ... والبائسة ، وكل

---

[1]-أحمد الشايب ، أصول النقد الأدبي ، م س ، ص 77 .

[2]-طه حسين ، حديث الأربعاء ، م س ، ج1 ، ص 68-69 .

هؤلاء يرزقون عنده رغدا ، تُقدم لهم الجفان قد ملئت بالثريد ، وكللت باللحم ، فهم ينعمون كأنهم نزلوا (تبالة)وقد ...كثر منها الرزق"[1] .

9-يقول ابن قتيبة: "المطبوع مِن [الشعراء] مَن... اقتدر على القوافي ، وأراك في صدر بيته عجُزه ... وتبيّنْت على شعره رونق الطبع ووشي الغريزة ، وإذا امتُحن لم يتلعثم[2]" .

10-يقول ابن سلام الجمحي : "وللشعر صناعة وثقافةيعرفها أهل العلم كسائر أصناف العلم والصناعات منها ما تثقفه العين ، ومنها ما تثقله اليد ، ومنها ما يثقفه اللسان ، من ذلك اللؤلؤ والياقوت ، لا يُعرف بصفة ولا وزن دون المعاينة ممن يبصره ، ومن ذلك الجهبذة بالدينار والدرهم لا يعرف جودتهما ... ولا حس ولا صفة ويعرفها الناقد عند المعاينة ، فيعرف بهرجها وزائفها وستوقها ومفرغها ، ومنه البصر بغريب ... وإن كثرة المدارسة تعين على العلم[3]" .

-ويقول أيضا : "الطبقة الأولى : امرؤ القيس ... ونابغة بني ذبيان ، وزهير بن أبي سلمى ، والأعشى[4]".

11-ويقول ابن حزم الأندلسي : "أما بعد أيدك الله وإياي بالتوفيق، وأعاننا بلطفه على أداء حقوقه ، فإن رغبت أن أقدم لك في الغناء الملهي أمباح هو أم من المحظور . فقد وردت أحاديث بالمنع منه وأحاديث بإباحته ،وأنا أذكر الأحاديث المانعة وأنبّه على عِللها ، وأذكر الأحاديث المبيحة له وأنبّه إلى صحتها إنشاء الله ... فالأحاديث المانعة : ... عن عائشة أم المؤمنين عن النبي (ص) أنه قال : إن الله حرّم المُغنية وبيعها وثمنها وتعليمها والاستماع إليها ... [و] عن علي بن أبي طالب قال : قال رسول الله (ص) : إذا عمِلت أُمَّتي خمس عشرة خِصلة حلّ بها البلاء ... أن رسول الله (ص) نهى عن[هن] ... وأنا أنهاكم عنهن : ألا إن منهن الغناء والنوح...وقد أنزل الله ذلك في كتابه [في سورة لقمان] : {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ (6)}... [و] عن أبي هلال قال رسول الله : من جلس إلى قينة صُبّ في أذنيه الآنُك ... قال تعالى [في سورة الأنعام] : {وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ(119)} ... أن كل شيء حرمه الله علينا قد فصّله لنا ،

---

[1]-م س ، 50 .

[2]-ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ، م س ، ج1، ص 90.

[3]-ابن سلام ، الطبقات ، م س ، ص 36-37 .

[4]-م ن ، 41 .

وما لم يفصِّل لنا فهو حلال... [و] عن عائشة أم المؤمنين : أن أبا بكر دخل عليها وعندها جاريتان تغنيان في أيام منى ... فنهرهما أبو بكر ... فقال [رسول الله] : دعْهُما يا أبا بكر فإنها أيام عيد .... [و] قال الله تعالى [في سورة يونس] : {فَمَاذَا بَعْدَ الحَقِّ إِلاَّ الضَّلاَلْ(32)}. [و] قال رسول الل [ص] : إنما الأعمال بالنِّيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى"[1].

12-ويقول الجاحظ : "أحسن الكلام ما كان قليله يغنيك عن كثيره ، معناه في ظاهر لفظه ، وكان الله عز وجل قد ألبسه من الجلالة ،وغشاه من نور الحكمة على حسب نية صاحبه وتقوى خالقه . فإذا كان المعنى شريفا واللفظ بليغا، كان صحيح الطبع ، بعيدا عن الاستكراه ، ومنزّها عن الاحتلال ، مصونا عن التكلف ، صنع في القلب صنيع الغيث في التربة الكريمة ، ومتى فصلت الكلمة على هذه الشريطة ، ونفذت من قائلها على هذه الصفة أصْحَبَها الله من التوثيق ، ومَنَحَها من التأييد ما لا يمتنع من تعظيمها صدور الجبابرة ، ولا يذهل عن فهمها عقول الجهلة . وقد [قيل] : الكلمة إذا خرجت من القلب ، وقعت في القلب ، وإذا خرجت من اللسان لم تتجاوز الآذان"[2].

13-قال أبو الفرج قدامة بن جعفر : "العلم بالشعر ينقسم أقساما ، فقسم يُنسب إلى علم عروضه ووزنه ، وقسم ينسب إلى علم قوافيه ومقاطعه ، وقسم ينسب إلى علم غريبه ولغته ، وقسم ينسب إلى علم معانيه والمقصد به ، وقسم ينسب إلى جيده ورديئه... [فعلى] اللفظ أن يكون سَمْحا ، سهل مخارج الحروف من مواضعها ، عليه رونق الفصاحة مع الخلو من البشاعة من سائر النعوت للشعر [كقول الشاعر] :

ولما قضَينا مِن مِنَى كل حاجة ومَسَّح بالأركان مَن هو ماسح

وشُدت على دهم المهارى رِحالها وسالت بأعناق المطي الأباطح

-[فأما] الوزن : أن يكون سهل العروض من أشعار يوجد فيها ، وإن خلت من أكثر نعوت الشعر ،قال الأسود بن يعفر :

هم الأسرة الدنيا ، وهم عدد الحصا واخواننا من أمنا وأبينا

---

[1]-ابن حزم ، رسائل ابن حزم ، م س ، ص 430 وما بعدها .

[2]-الجاحظ ، البيان والتبيين ، م س ، ج1 ، ص 61 .

-[وأما] القوافي : أن تكون عذبة الحرف ، سلسلة المخرج ، وأن تقصد لتصير مقطع المصراع الأول في البيت الأول من القصيدة ، قبل قافيتها ، فإن الفحول المجيدين من الشعراء القدماء والمحدثين يترقون ذلك ولا يكادون يعدِلون عنه ، وربما صرَّعوا أحيانا أخرى من القصيدة بعد البيت الأول ، وذلك يكون من اقتدار الشاعر وسِعة بحره ... قال امرؤ القيس :

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزلِ بسقط اللوى بين الدخول فحوملِ

ثم أتى بعد هذا البيت بأبيات فقال :

أفاطم مهلاً بعض هذا التدلّل إن كنت قد أزمعت صرمي فاجْمُلِي

ثم قال :

ألا أيها الليل الطويل ألا انجلي بصبح وما الإصباح منك بأمثل

-[وأما] المعاني : أن يكون المعنى مواجها للغرض المقصود ، غير عادل عن الأمر المطلوب... [كـ] قول أبي نواس :

يقضي حياء ، ويقضى من مهابته فما يكْلَم إلا حين يبتسم

وقد أحسن حين أتى بما يُنبئ عن عظم الشيء الذي وصفه بهذا التقسيم ، وهي أن يبتدئ الشاعر فيضع أقساما فيستوفيها ، ولا يغادر قسما منها ، مثال ذلك قول نصيب :

فقال فريق القوم لا ، وفريقهم نعم وفريق قال ويحك لا أدري.

-[وأما] صحة التقسيم : كقول الفرزدق :

لقد جئت قوما لو لجأتَ إليهم طريدَ دمٍ أو حاملا ثقل مغرم

فلمّا كان هذا البيت محتاجا إلى تفسير قال:

لألفيت فيهم مُعطيا أو مُطاعنا وراءك سزرا بالوشيج المُقوم[1]" .

[1]-أبو الفرج قدامة بن جعفر ، نقد الشعر ، م س ، ص 8 وما بعدها.

14-يقول حازم القرطاجني : "الشعر كلام مخيل موزون مختص في لسان العرب ، بزيادة التقفية إلى ذلك ، و... مقدمات مخيلة صادقة كاذبة أو .. لا يشترط فيها بما هي ثقة غير التخيل[1]" .

15- ويقول : "أخبرنا يونس بن حبيب أن علماء البصرة كانوا يقدمون امرأ القيس بن حُجْر ، وأن أهل الكوفة كانوا يقدمون الأعشى ، وأن أهل الحجاز والبادية يقدمون زهيرا والنابغة ، وأخبرنا يونس كالمتعجب أن ابن أبي إسحاق كان يقول أشعر أهل الجاهلية مرقش ، وأشعر أهل الإسلام كثير ، ولم يقبل هذا ولم يشِع ، وأخبرني شعيب بن صخر بن هارون بن ابراهيم قال : سمعت قائلا يقول للفرزدق : من أشعر الناس يا أبا فراس ، قال : ذو القروح يعني امرأ القيس ، قال حين يقول ماذا ؟ قال : حين يقول :

وقاهُمْ خَدُّهم ببني أبيهم وبالأشْقَينِ ما كانَ العِقابْ[2]" .

16-قال صريع الغواني يمدح يزيد بن مَزْبَد الشيباني :

لَوْلا يَزيدُ لأَضْحَى المُلْكُ مُطَّرحًا أَوْ مَائِلَ السَّمْكِ أَوْ مُسْتَرْخِي الطِّوَلِ
سَـــلَّ الخليفةُ سَيْفًا مِنْ بَني مَطرٍ أقـــــامَ قائِمُهُ مَنْ كان ذا مَيَلِ
كَـــمْ صائِلٍ في ذَرا تمْهِيدِ مَمْلَكَةٍ لـــولا يَزِيدُ بَني شيْبَان لم يصُلِ
نَابُ الإمَامِ الذِي يَفْتَرُّ عَنْهُ إذا مَا افْتَرَّتِ الحَرْبُ عَنْ أَنْيابها العُصُلِ
مَنْ كان يَخْتِلُ قِرْنًا عِنْدَ موْقِفِـــه فـــــإن قِرْن يَزيدٍ غيْرُ مُخْتَتَلِ
سَدّ الثُّغورَ يَزيدٌ بَعْدَمَا انْفرَجَتْ بقائِـــمِ السَّيْفِ لا بِالخَتْلِ والحِيَلِ
كَمْ قَدْ أَذّاقَ حِمَامَ المَوْتِ مِنْ بَطلٍ حَامِي الحَقِيقَةِ لا يُؤْتَى مِنَ الوَهَلِ
أَغَرُّ أَبْيَضُ يُغْشَى البَيْضَ أَبْيَضَ لا يَرْضـــى لِمَوْلاهُ يوْمَ الرَّوْعِ بالفَشَلِ
يغْشى الوَغَى وَشِهابُ المَوْتِ في يَدِهِ يَرْمي الفَوارِسَ والأَبْطَالَ بالشُّعَلِ
يَفْتَرُّ عَلى مُهجٍ في يوم ذِي رَهَـــجٍ كَأَنَّهُ أَجَـــلٌ يَسْعَى إلـــى أَمَلِ
ينَالُ بِالرِّفْقِ مَا يَعْيَا الرِّجـــالُ بِهِ كالمَوْتِ مُسْتَعْجِلاً يَأْتِي عَلَـى مَهَلِ

---

[1]-حازم القرطاجني ، منهاج البلغاء ، ج2 ، ص 89.

[2]-ابن سلام الجمحي ، طبقات فحول الشعراء ، م س ، ص 41 . الأشقين : ابن قتيبة.

[يقول الطبيخي شارحا هذه الأبيات] :

(مطّرحا) : أي مخذولا ، (أو مائل اسمك أو مسترخى الطول) ، يريد : لولا يزيد لدخل الملك عاهات تفسده . وضرب السمك والطول مثلا . وإنما يكون ذلك للقبّة فإذا امتدّت حبالها وقام رداها على عمود استقام أمرها . (أقام) : أي قوّم ، و(قائم السيف) : نصابُه ، فجعله للنّصل كله ، إذ لا يقوم النصل إلا بالنّصاب . وقوله : (سلّ الخليفة سيفا من بني مطر) أي بعث قائدا قوّم له من خرج عن طاعته ، ويُروى : (حاط الخلافة سيف) . يقول : كم (رجل صائل) أي هائج . (في تمهيد مملكة) : أي في بسط مملكة . لولا يزيد الذي يحمي الثغور على العدو (لم يَصُل) هذا الصائل في مكانه ، ولشغله خوف العدو بنفسه .

يقول : إن يزيد عدّه الإمام حاضرة يدفع له ما فاجأه من الأمر ، كما ناب السبع عدّته إذا فاجأه أمر . (يفترّ عنه) : أي يُبديه لعدوّه مثل السبع الذي يبدى السبع عن أنيابه ، وجعلها (عصلا) ، لأن الأنياب العصل هي أشد بأسًا من المستقيمة . و(العُصُل) : التي اعوجّت فصارت أطرافها مائلة إلى الخلف ؛ واحدها أعصل.

يقول : من كان يستغفل قرنا عند موقفه ، (فإن قِرن يزيد [غير] مختتل) أي ليس يأخذه يزيد على ختُلة بل يهاجمه بالمضاربة ، وذلك لشجاعته ، و(الختلة) الاستراق والخديعة . ويُروى (شَدَّ ؛ وشَكَّ) بالدال والكاف ، (بعدما انفرجت) : أي بعدما انفتحت وداخلها العدو . وسدها بقائم السيف لا بالمدارة والحيل إلا بالقَهْرة.

يقول : كم قد قَتَل (من بَطل حامي الحَقيقة) ، أي يحمى كل ما حقَّ له أن يحميه كالرجل يحمي أهله وعشيرته ورعيّته إن كان أميرا يحميهم من أن يصيبهم عدو (لا يُوتى من الوهل) ، يقول : إن ذلك البطل لا يؤتى في نفسه من وَهَلٍ : أي جبن ، ولكنه غاية في النجدة ، وهو مع ذلك من بأسه قتله يزيد.

(أغرّ) أي مشهور في المجد والشرف ، (أبيض) : أي نقيّ من العُيوب : يغشى البيض التي على رؤس الفرسان ، (أبيض) : أي سيفا أبيض ، (لا يرضى لمولاه) : أي للضارب به ، (يوم الرَّوع بالفشل) : أي بالشهامة ، وهو أن ينبو السيف عن القطع ، وصف بذلك يزيد ، و(الفشل) : الكلل والكلال أيضا . يعني : (شهاب الموت) السيف ، (يرمي الفوارس والأبطال بالشُّعل) : شبه السيف بشعلة نار في لمعانه ، والشعلة : اللهيب ، أي يضربهم بالسيف كأنه يضربهم بشعلة نار .

يقول : (يفترّ) : أي يبتسم من قلة مبالاته بالحرب ، و(إذا تغيّر وجه الفارس البطل) ، من خوف هول الحرب وشدته . يقول : (ينال بالرِّفق ما يَعْيا الرجال به) وإن احتالوا ، أي يعمل عمل الموت في النفاذ والاستعجال . وإن جاء مهلاً ، يريد : أن هذا الرجل يأخذ أمره على مهل ، حتى يأتي على جميع مطالبه كالموت في تنفيذ الخلق على تماهل[1]" .

17-إن "اعتبار ما تكون عليه المعاني من صحة وكمال ومطابقة للغرض المقصود بها ، وحسن موقع في النفس يكون بالنظر إلى ما للمعنى عليه في نفسه ، وبالنظر إلى ما يقترن به من الكلام ، وتكون له به علقة ، وبالنظر إلى الغرض الذي يكون الكلام مقولا فيه ، وبالنظر إلى حال الشيء الذي يتعلق به القول[2]" .

18-يقول حازم : "ومن ذلك أن تكون اللفظة أو الألفاظ مشتركة فدلّ على معنيين أو أكثر ، لا في حال واحدة ، فيجب للناظم أن ينوه باللفظة أو الألفاظ التي بهذه الصفة من القرائن ما يخلّص معناها إلى المفهوم الذي قصده ، حتى يكون المعنى مستبينا . وذلك حيث يقصد البيان ، وينبغي ألا يكثر من هذا النوع حيث يقصد الإبانة عن المعاني ، ومما ورد من ذلك فاضطرب الناس في تأويله قول الحارث بن حلّزة :

زغموا أنّ كلّ من ضرب العَيْرَ موالٍ لنا وأنَّى الولاءُ

فقيل أراد بالعير الوتد ، وأراد بالضاربين العرب ، لأنهم كانوا أصحاب عمد ، وقيل أراد عير العين وهو ما تتأمنها أي كل من ضرب عير عينه بحقنة ، وقيل أراد بالعير ما يطفو على الحوض من الأقذاء ، وأصله التشديد ، وهو العائر والعيّر ، فخفف ... وقيل فيه وجوه أخرى غير هذه ... ومنه أن تكون الكلمة وُصِلت بحرف أو حذف منها حرف ، فتتصل بكلمة يحتمل لفظها أن يكون الحرف الموصول بالأول داخلا عليها أو من جملة حروفها أن يكون قد دخل على الثانية حرف يخيل لك أنه

---

[1]-شرح ديوان صريع الغواني مسلم بن الوليد الأنصاري ، م س ، ص 7 وما بعدها.

[2]-حازم القرطاجني ، المنهاج ، ص 130.

صلة الأول أو تتمة لما نقص منها ، فيعرض عن هذا فهم الكلام على غير وجهه ، ومن هذا قول امرئ القيس:

نطعنُهم سلكى ومخلوجةً لَفْتَكَ لأمْين على نابل

لأن الكاف محتملة أن تكون ضميرا مضافا إليها ما قبلها ، وأن تكون حرفا جارا لما بعدها ، ومن هذا ما روي عن أن الأصمعي أنشد يوما:

لم ينالُوا مثلَ الذي نلتُ منهم وسواءٌ ما نلتُ منهم ونالوا

ثم قال لأصحابه : كيف أوجب في آخر البيت ما نُفى في أوله ؟ فقالوا : لا ندري . قال : قد أجَلتكم فيه شهرا ، قالوا : لو أجَلتنا فيه سنة ما علمناه ، فقال : إنما هو لمي ترخيم لمياء ، ثم قال : نالوا مثل الذي نلت منهم ، فهذا إيجاب ، أنهم نالوا وليس بنفي على ما يتوهم سامعه ... فيجب أن يتحفظ في الكلام المقصود به البيان ، فهو وقوع تلك الحروف التي يسبق الوهم إلى أنها مستخدم إلى غير الحيز الذي اسندت إليه . فإن ذلك مستهلك للمعاني وحاجب للأفكار عن حقائق المقصود بالكلام ... ومن ذلك الإخلال بموضع الكلام وإزالة ألفاظه عن مراتبها حتى يصير المتأخر متقدما ، والمتقدم متأخرا ، فتتداخل الألفاظ بعضها على بعض ، فتشكل العبارة ، ولا يتحقق نظامها قبل التقديم والتأخير ، ولا يعلم كيف كان هذا المذهب رديء جدا في الكلام ، وكان همّام بن غالب الفرزدق يكثر من هذا النوع ، فكأنه كان يقصده ، ومنه قوله:

ومثلهُ في النّاس إلا مملّكا أبو أمّه حيٌّ أبوه يقاربُه

يريد : ومن مثله في الناس حي يقاربه إلا مملكا أبو أمه أبوه ، يعني بالملك هشاما ، والممدوح خاله ، فأبوه أبو أمه ، فقد أساء العبارة عما أراد[1]" .

[1]-حازم القرطاجني ، المنهاج ، ص 185 وما بعدها.

19-يقول ابن سلام الجمحي : "لم يكن لأوائل العرب من الشعر إلا الأبيات يقولها الرجل في حادثة ، وإنما قُصِّدت القصائد ، وطوّل الشعر على عهد عبد المطلب ، وهاشم بن عبد مناف ، وذلك يدل على إسقاط عاد وثمود وحمير وتُبّع ... وكان أول من قصّد القصائد وذكر الوقائع المهلهل بن ربيعة التغلبي في قتل أخيه كليب وائل قتلتْه بنو شيبان ، وكان اسم المهلهل عديًّا ، وإنما سمي مهلهلا لهلهلة شعره كهلهلة الثوب وهو اضطرابه واختلافه ... وكان شعراء الجاهلية في ربيعة أولهم المهلهل والمرقّشان ، وسعد بن مالك ، وطرَفة بن العبد ، وعمرو بن قَمِيّة ، والحارث بن حلِّزة ، والمتلمِّس ، والأعشى ، والمسيَّب بن عَلَس ، ثم تحول في قيس فمنهم النابغة الذبياني . وهم يعدّون زهير بن أبي سُلمى بن عبد الله بن غطفان ، وابنه كعبا ولبيد والنابغة الجعدي ، والحطيئة ، والشمّاخ ، ومزوِّد ، وخِداش بن زهير ، ثم آل ذلك إلى تميم فلم يزل فيهم إلى اليوم . كان امرؤ القيس بن حجر بعد مهلهل ، ومهلهل خاله ، وطرفة ، وعبيد ، وعمرو بن قيمّة ، والمتلمّس في عصر واحد .

وكان من الشعراء من يتألَّه في جاهليته ، ويتعفّف في شعره ، ولا يستَبْهِر بالفواحش ، ولا يَتَهَكَّم في الهجاء ، ومنهم من كان ينعِي على نفسه ويتعهّر ، ومنهم امرؤ القيس ، والأعشى ، وكان الفرزدق أَقْوَل أهل الإسلام في هذا الفن ، وكان جرير مع إفراطه في الهجاء يعفّ عن ذكر النساء ، كان لا يشبّب إلا بامرأة يملكها[1]" .

20-ويقول أيضا : "أخبرني ابان بن عثمان البجلي قال : مرّ لبيد بالكوفة في بني نهد فأتبعوه رسولا سؤولا يسأله : مَن أشعر الناس ؟ ... فاحتج لامرئ القيس ... [وذلك] ليس أنه قال ما لم يقولوا ، ولكنه سبق العرب إلى أشياء ابتدعها استحسنتْها العرب ، واتبعته فيها الشعراء : من استيقاف صَحْبه ، والبكاء في الديار ، ورِقَّة النسيب ، وقرب المأخذ ، وشبّه النساء بالظباء والبيض ، والخيل بالعقبان والعصِي ، وقيّد الأوابد ، وأجاد التشبيه ، وفصل بين النسيب وبين المعنى ، وكان أحسن طبقته تشبيها. وأحسن الإسلاميين تشبيها ذو الرُّمة . وقال من أحتجّ للنابغة كان أحسنَهم

---

[1]-ابن سلام الجمحي ، طبقات فحول الشعراء ، ص 35 وما بعدها.

ديباجة شِعر وأكثرهم رونق كلام ، وأجزلهم بيتا ، كأن شعره كلامٌ ليس فيه تكلّف . والمنطق على المتكلّم أوسع منه على الشاعر ، والشاعر يحتاج إلى البناء والعروض والقوافي ، والمتكلم المطلق يتخيّر الكلام وإنما نبغ النابغة بعدما احتنك وهلك قبل أن يُهْتَرَ"[1] .

21-يقول حازم : "وليس يعمد في الكلام أيضا أن يكون من الخفة بحيث يوجد فيه طيش ، ولا من القِصر بحيث يوجد فيه انبثار ، لكن المحمود من ذلك ماله حق من الرصانة لا تبلغ به إلى الاستثقاف ، وقِسط من الكمال لا يبلغ به إلى الإسآم والأضجار ، فإن الكلام المنقطع الأجزاء المنبتر التراكيب غير ملذوذ ولا مستحلى ، وهو شبه الرشفات المنقطعة التي لا تروي غليل . والكلام المتناهي في الطول يشبه استقصاء الجوع ، فلا شفاء مع التقطيع المخل ، ولا راحة مع التطويل الممل ، ولكن خير الأمور أوساطها ، ولا يحذف من المقاييس ما يكون في قوة الكلام دليل عليه ما مقدمه أو نتيجة أو قضية مستثناة ، وهذا المحذوف قد يكون القصد به طي المقدمة التي تظهر منها الكذب ، وقد تكون مقدمات القياس كلها صادقة ، وتطوى إحداها لما ذكرته من قصد التخفيف خاصة"[2] .

22-ويقول : "ولما كانت النفوس تحب الافتنان في مذاهب الكلام ، وترتاح للنقلة من بعض ذلك إلى بعض ، ليجدد نشاطها بتجدد الكلام عليها ، وكانت معاونة الشيء على تحصيل الغاية المقصودة به بما يجدي في ذلك جدواه أدعى إلى تحصيلها من ترك المعاونة . كانت المراوحة بين المعاني الشعرية والمعاني الخطابية أعود براحة النفس ، وأعون على تحصيل الغرض المقصود ، فوجب أن يكون الشعر المراوح بين معانيه أفضل من الشعر الذي لا مراوحة فيه، وأن تكون الخطبة التي وقعت المراوحة بين معانيها أفضل من التي لا مراوحة فيها . ولتواخي الصناعة وتداخل أقاويل كلتيهما على الأخرى قال قائل :

---

[1]-م س ، ص 42.

[2]- حازم القرطاجني : منهاج البلغاء وسراج الأدباء م س ، ص 65 .

وما الشعر إلاّ خطبة من مؤلّف يجيء بحقٍّ أو يجيء بباطل[1]" .

23-ويقول أيضا : "ينبغي أن تكون الأقاويل لمقطعة الواقعة في الشعر نابعة لأقاويل مخيلة ، مؤكدة لمعانيها ، مناسبة لها في ما قُصد بها من الأغراض ، وأن تكون المخيّلة هي العمدة ، وكذلك الخطابة ينبغي أن تكون الأقاويل المخيلة الواقعة فيها نابعة لأقاويل مقنعة مناسبة لها ، مؤكدة لمعانيها ، وأن تكون الأقاويل المقنعة هي العمدة ، وينبغي ألا يستكثر في كلتا الصناعتين مما ليس أصيلا فيها ، كالتخييل في الخطابة والإقناع في الشعر ، بل يؤدى في كلتيهما باليسر من ذلك على سبيل الإلماح"[2] .

24-جعل الآمدي "لموازنته قيمة حقيقية وذلك بأمرين : [الأول] أنه لم يقصرها على أبي تمام والبحتري ، بل أحاط بكل معنى عرض له عند الشعراء المختلفين ، فإذا تكلم عن التسليم على الديار ... لم يورد ما قاله الشاعران فحسب ، وإنما يورد ما قاله غيرهما ، ويقارن بين الجميع ، حتى لتعتبر موازنته موسوعة في المعاني الشعرية التي تناولها شعراء العرب في كافة العصور . [والثاني] أنه لا يقف فيها عند مجرد المفاضلة بين الشاعرين ، بل يتعداها إلى إيضاح خصائص كل منهما وما انفرد به دون صاحبه أو دون غيره من الشعراء"[3] .

25-يرى حازم أن "المعاني هي الصور الحاصلة في الأذهان عن الأشياء الموجودة في الأعيان ، فكل شيء له وجود خارج الذهن فإنه إذا أدرك حصلت له صورة في الذهن تطابق لما أدرك منه . فإذا عبّر عن تلك الصورة الذهنية الحاصلة عن الإدراك أقام اللفظ المعبر به هيئة تلك الصورة الذهنية في أفهام السامعين وأذهانهم ، فصار للمعنى وجود آخر من جهة دلالة الألفاظ . فإذا احتيج إلى وضع رسوم من الخط تدل على الألفاظ من لم يتهيّأ له سمعها من المتلفظ بها صارت رسوم الخط تقيم في

---

[1]-م س ، ص 361.

[2]- م ن ، ص 362.

[3]-محمد منذور ، النقد المنهجي عند العرب ، م س ، ص 364 .

الأفهام هيآت الألفاظ فتقوم بها في الأذهان صور المعاني فيكون لها أيضا وجود من جهة دلالة الخط على الألفاظ الدالة عليها"[1] .

26-يقول محمد كريم الكواز : ''أخذ الشعراء في المنزعين جميعا يعنون عناية شديدة بالعربية ، وراح فريق منهم إلى البادية كي يتزود من منابعها الأصلية ، يتقدمهم بشار وأبو نواس ، ومن أقام منهم في الحاضرة لزم اللغويين في المساجد الجامعة ، يروي عنهم الشعر القديم ، وما يزال يرويه حتى تستقيم له سليقته العربية ، وحتى يغدو كأنه عربي أصيل . وقد مضوا يلائمون بين لغة الشعر القديم ، وبين ما عاشوا فيه من حضارة ورقي عقلي ، مستخدمين كل ما يملكون ، وبذلك ثبّتوا الأسلوب المولّد ، كما ثبّته الكتّاب والمترجمون ... أمثال ابن المقفع ، وهو أسلوب يمتاز بالكلمة المنتخبة الرشيقة ، وبالمعنى المصيب الدقيق . وقد انبعثوا يحاولون التجديد ، فأدخلوا الشعر التعليمي ، ومرنوا له وزن الرجز مرانة واسعة ، واستحدثوا كثيرا من الأوزان ، كما استحدثوا كثيرا من المعاني ، يرفدهم عقلهم الراقي ، وما ثقفوه من الفلسفة والفكر الأجنبي ، وهم في ذلك كله لا ينسون الشعر القديم وألفاظه ومعانيه ، وكأنما تحوّل تحت أبصارهم إلى ما يشبه جذاذات العلماء حين يصوغون كتابا ، فهم دائما يستمدون منه ، وعيونهم دائما مصوبة إليه . فظل الشعر القديم حيا في هذا العصر ، بل لعله حيي حينئذ حياة أكثر خصبا من حياته القديمة ، فقد عاد ليُبعث بعثا جديدا ، ويتمثل فيه العصر بطاقاته الحضارية والعقلية ، وكأنما انمحت الفروق بين البوادي وحواضر العراق ، فحياة تلك الحواضر وحياة الصحراء تلتقي جميعا هذا اللقاء الحي المثمر ، الذي كان يتحول فيه كل معنى قديم إلى صورة عباسية جديدة ... [ومثاله] قول بشار : مازلت أروّي في بيت امرئ القيس :

كأنَّ قلوبَ الطيرِ رطباً ويابساً لدى وكرها العُنَّابُ والحشفُ البالي

... حتى صنعتُ :

1- حازم القرطاجني ، منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، م س ، ص 18-19 .

كأن مثارَ النقع فوق رؤوسنا وأسيافَنا ليلٌ تهاوى كواكبه

وهو إنما يريد مجرد تشبيه شيئين بشيئين ، إذ التشبيهان مختلفان[1]" .

27-"يقول أبو نواس :

تدور علينا الراح في عسجدية حَبَتْها بأنواع التصاوير فارس

قرارتُها كسرى وفي جَنَبَاتها مها تدرّيها بالقسيّ الفوارس

فللخمر ما زرَّت عليه جيوبها وللماء ما حازت عليه القلانس

أخذه أبو الحسين بن أحمد بن يحي الكاتب فقال:

ومدامة لا يبتغي مـــن ربّه أحـــدٌ جَبَاه بها لديه مزيدا

في كأسها صورٌ يُظنُّ لحسنها عُربًا برزن من الجنان وغيدا

قد صُفّ في كاساتها صورٌ حلت للشاربين بها كواعِبُ غيدا

فإذا جرى فيها المزاج تقسَّمت ذهبـــا ودرًّا توأمـــاً وفريدا

فكأنَّهن لبِسْن ذاك مجاسدًا وجعلـــن ذا لنُحـــورهن عقودا

فهذا من أبدع ما قيل في هذا المعنى وأحسنه[2]" .

28-يقول قدامة بن جعفر : "يحتاج الشاعر إلى تعلم العروض ليكون معيارا له على قوله ، وميزانا على ظنه ؛ والنحو ليُصلح به من لسانه ، ويقيم به إعرابَه ، والنسب وأيامِ العرب والناس ليستعين بذلك على معرفة المناقب والمثالب فيذكرهما فيمن قصده بمدح أو ذم ؛ وأن يروي الشعر ليعرف مسالك الشعراء ومذاهبهم وتصرّفهم فيحتذي منهاجهم ويسلك سبيلهم . فإذا لم يجتمع له هذا فليس ينبغي أن يتعرّض لقول الشعر ، فإنه ما أقام على الإمساك معذور ، فمتى تعرّض لما يظهر فيه عيبُه خطؤه كان مذموما . وقد قال الشاعر :

الشعرُ صَعْبٌ وطويلٌ سُلَّمُهْ إذا ارتقى فيه الذي لا يَعلَمُهْ

زَلَّتْ به على الحضيضِ قَدَمُهْ يُريدُ أن يُعْرِبَـهُ فيُعْجِمـهْ

---

[1]-محمد كريم الكواز ، البلاغة والنقد المصطلح والنشأة والتجديد ، م س ، ص 164 .

[2]- ابن طباطبا ، عيار الشعر ، ، م س ، ص 79-80 .

فإذا كملت فيه هذه الأدوات ورأى من طبعه انقيادا لقول الشعر ، وسماحة به قاله وتكلفه ، وإلا لم يُكرِه عليه نفسه ؛ فالقليل مما تسمح به النفس ويأتى به الطبع خير من الكثير الذي يُحمل فيه عليها . وإن أعِينَ مع هذا بأن يكون في شرف من قومه ومحل من أهل دهره ، كان قليل ما يأتى به من الصوب كثيرا ، وكثيره جليلا خطيرا[1]" .

29-يقول ابن حزم : "البلاغة قد تختلف في اللغات على قدر ما يستحسن أهل كل لغة من مواقع ألفاظها على المعاني التي تتفق في كل لغة ، وقد تكون معدودة في البلاغة ألفاظ مستغربة . فإذا كثر استعمالهم لها لم تُعد في البلاغة ولا استحسنت ... وهذا الذي ذكرناه ينقسم قسمين : أحدهما مائل إلى الألفاظ المعهودة عند العامة كبلاغة عمرو بن بحر الجاحظ ، وقسم مائل إلى الألفاظ غير المعهودة عند العامة كبلاغة الحسن البصري وسهل بن هارون ، ثم يحدث بينهما قسم ثالث أخذ من كلا الوجهي كبلاغة صاحب ترجمة كليلة ودمنة ابن المقفع كان أو غيره . ثم بلاغة الناس تحت هذه الطرائق التي ذكرناها . وأما نظم القرآن فإن منزله تعالى مُنع من القدرة على مثله ، وحال بين البلغاء وبين المجيء بما يشبهه ، وقد كان أحدث ابن دراج عندنا نوعا من البلاغة ما بين الخطب والرسائل . وأما المتأخريون فإنا نقول : إنهم مبعدون عن البلاغة ومقربون من الصلف والتزيد ، حاشا الحاتمي وبديع الزمان ، فهما مائلان نحو طريقة سهل بن هارون "[2] .

30-يقول ابن سناء الملك عن الموشحات : "فها أنت ترى مباينَةً ظاهرة ، ومخالفةَ بعضها لبعض مخالفةً واضحة . وهذا القسم لا يجْسُر على عمله إلا الراسخون في العلم من أهل هذه الصناعة ، ومن استحق منهم على أهل عصره الإمامة . فأما مَن كان طُفَيْليا على هذه المائدة ، فإنه إذا سمع هذا الموشح ورأى مباينة أوزان أقفاله لأوزان أبياته ظن أن هذا جائز في كل موشح ، فعمل ما لا يجوز عمله ، وما لا يُمشِّيه التلحين له ، وتظهر فضيحته فيه[وقت غنائه] ، فإن المغني ببعض الآلات يحتاج إلى أن يغيّر شدَ الأوتار عند خروجه من القفل إلى البيت ، وعند خروجه من البيت إلى القفل ، وهذا مكانٌ ينبغي أن يُلحظ ويُحفظ . ومثاله على ذلك قول بعضهم :

الحب يجنيك لذة العَذَل واللّوم فيه أحلى من القُبل
لكل شيء من الهوى سببُ جَدّ الهوى بي وأصله اللعبُ

---

[1]-أبو الفرج قدامة بن جعفر ، نقد النثر ، م س ، ص 83-84 .

[2]-ابن حزم ، رسائل ابن حزم ، رسالة التقريب لحد المنطق ، م س ، ص 351-352 .

وأن لو كان جَـــدٌّ يُغني كان الإحســـان من الحسن[1]".

-الإجابة الأنموذجية-

سنجيب عما سبق ذكره في التطبيقات السابقة باختصار ، وهي إجابة عامة تقتضي من كل طالب الإضافة أو التغيير ، لكن الموضوع يبقى ذاته.

1-تناول حازم قضية الفحولة ، إذ يعد أن من سَبَق إلى معان مستجادة ، بقيت ملكه ، ولن يستطيع تقليدها أحد . وبذلك فهو المُقتَدى به . إلا أن مَن أضاف وحاول الاقتراب منها والإتيان بمثلها ، فزاد عليها أو قصّر ، فقد أفسدها ، وبان تقصيره . ومحاولة ابن الرومي أفضل مثال على ذلك.

2-قضية النظم قد أفاض فيها حازم في هذا النص ، فبيّن منطلقاتها ووجوهها ؛ حيث اعتبر منطلقها الطبع ، أي ما يملكه الواحد ولا يملكه الآخرون ، وهو تقريبا ما يدل على الموهبة . وهذه الأخيرة مضافة إلى ما يتعلمه الناظم يجعلان صاحبهما قادرا على الإحاطة بما يتطلبه الشعر من آليات . فالشعر صناعة لا بد لها من مُحترف يعي أغراضه من (مدح وفخر ورثاء ...إلخ) ، ووسائله الإبلاغية سواء تعلق الأمر بـ (فصاحة أو بلاغة) ، وفنونه التي يقتضيها من (بيان وبديع وبحور وقوافي ...إلخ) ، وحدوده التي يليق بها كـ (عدم الخلط بينه وبين النثر) إلا في حدود إبداع لطيف .

3-يعالج النص قضية الوضوح والغموض في الشعر ؛ حيث أن الخطأ في استخدام لوازم اللغة من نحو وصرف يجعل المتكلم يبتعد عن متلقيه ؛ إذ يقع في الإغلاق فتبتعد معانيه عما أريد لها . ويذكر نماذج عن ذلك كالألفاظ الغريبة ، والمشتركة التي لا توضح المقصود منها بدقة ، كما أن لسوء اختيار مواضع الكلمات في التراكيب عيٌ يُبعِدها عن مبتغى قائلها ، كالابتعاد بها عن أختها ، أو عزلها عن سياقها ومدارها الذي يُفترض أن تكون فيه . كل هذا وغيره كثير يفسد المعنى ويجعله بعيدا

1-ابن سناء الملك، دار الطراز ،م س ، ص 36 .

عن المتلقين وبالتالي يبقى المتكلم بعيدا عن دائرة التواصل ، فما بالك والأمر متعلق بشعر أو نثر أي الفن .

4-في النص حديث عن قضية النظم ، فالعملية –حسب حازم- محتاجة إلى اختيار ، حتى تقع الموقع الحسن في قلوب متلقيها . فاختيار الألفاظ ، والمعاني ، والقوالب التي توضع فيها مهم جدا ، والمعرفة بالنحو أمر لا غنى عنه ، كما أن لعملية التصور أو إعطاء الشكل النهائي للنص المُبدع أمر ضروري حيث يتخيل المبدع لمن يُوجه نصه ، ومتى يُعلن عنه ، وبأي طريقة يطرحه . كل هذا لا بد أن يوضع في الحُسبان حتى ينجح الشاعر في مهمته.

5-قضية السرقة ، أو الأخذ تناولها حازم في هذا النص ، وبيّن مَن أحسن الأخذ ، ومن أفسده ، بذكر نماذج لكل من أبي كريهة وابن الرومي ؛ حيث أخذ الأول فأفسد ، وأخذ الثاني فأجاد . وبغض النظر عن كون الأخذ أو السرقة جائز في عالم الشعر والنقد أم لا ، فإن حازم يعتبره جائزا ، لكن حين يكون الإبداع .

6-موضوع الفحولة قد تعددت معاييره لدى النقاد ، ويعرض حازم في هذا النص إلى أحدها وهو قوة التعبير عن المقصود ، أي الموهبة . ويضرب مثالين عن ذلك جرير والفرزدق ؛ حيث أن أحدهما يُحسن التعبير عما يقصد ، والآخر لا ، رغم ممارسته لما يريد التعبير عنه . وعليه فالأمر حسب حازم لا يعود إلى التجربة الشعرية ، ولكنه يعود إلى موهبة لا تُؤتى إلا للقليل من المبدعين . وبالتالي ففكرة التفوق والترأُّس في الشعر تعود في هذا النص إلى المقدرة الفكرية والنفسية واللغوية على عرض المواضيع.

7-في النص موضوع المفاضلة بين الشعراء ، أو الموازنة بينهم . سواء تعلق الأمر بالأغراض أو القيمة الشعرية ، أو النظم ، أو المقامات ، أو الأزمنة ، أو الإبداع . كلٌ حسب ما برع فيه أو فشل . فابن شرف قد وصف كلٌ بما وجد ، ليضع لمتلقي نقده صورة واضحة ، فيحكم –بين هؤلاء- بما يراه جديرا . وهي طريقة بارعة منطقية لعرض الصور النقدية ابتعادا عن كل انحياز ، واقترابا من الوصف الصادق.

8- يعد الصدق في الشعر العربي أساس الإبداع ، فالشاعر العربي كان دائما ناقلا لواقعه دون ابتعاد عنه ، فصدقه هو الطاقة الخفية التي تجعله متألقا . فهو في كل ما يعبّر عنه صادق لا يتبنى غيره ، فإن تحدث إلى الطبيعة أو إلى الحيوان أو عن الإنسان امرأة أو رجلا كان غاية في ذكر الحقيقة ،

لكن يختلف كل شاعر عن أخيه في طريقة عرضه لهذا الواقع ، بما يجده ملائما لفضائه الزماني ، وفضائه المكاني ، ولمن يوجه هذا الإبداع ، فسواء تعلق الأمر بعصر ما قبل الإسلام أو ما تلاه من عصور . فالشاعر العربي أبدا متعلق بواقعه ، متألق بالخيال نحو إبداع صور نادرة للجمال . ويتجسد ذلك أكثر في النص من خلال شعر الشنفرى والبحتري ولبيد .

9-يتحدث ابن قتيبة عن قضية الفحولة ، فالشاعر الفحل هو من امتلك موهبة الإبداع ، وكان الشعر غريزته التي وُلِدَت معه ، و نستطيع اكتشاف ذلك من خلال انسياب القول منه انسيابا ، فلا يجد صعوبة في أيٍ من نواحيه ، سواء تعلق الأمر بسبك وَحَداته ، أو التفنن في رسم حسناته ، كما أنه يرتجله ارتجالا في أي وقت وأي مكان وأمام أيٍّ كان . إنه الطبع والسليقة والغريزة كما يقول . ومَن أوتي هذه السِّمة فهو شاعر فحل.

10-لا يتوقف الأمر عند ابن سلام على الطبع وحسب ، بل لا بد للفحولة من تدريب ومدارسة ، فهي عِلم لا بد من أخْذه عن أربابه . فالشاعر –حسبه- لا بد أن يكون ناقدا قبل كل شيء ، فهو ينقد شعره قبل أن يقدمه إلى غيره ، فإذا توفر فيه هذا العلم أجاد وأبدع وتميّز . فالشعر يشبه الأشياء الثمينة ، وعلى الشاعر انتقاء لغته وأوزانه وقوافيه ومعانيه ، كما تُختار الأحجار الكريمة ، والمعادن النادرة ، فيُخرج منها صافيها ومختارها ليعرضه على الناس فنا يقع الموقع الحسن لديهم.
وهو بتصنيفه أيضا للشعراء طبقات ، يقرّ بفحولتهم ، فهو يرتبهم وفقا لتقدمهم وبراعتهم ، فيجعل الطبقة الأولى أو المرتبة الأولى لشعراء العصر الجاهلي أو شعراء المنتخبات والمعلقات وهم أربعة.

11-يوضّح ابن حزم في هذا النص موقف الدين من الشعر ، حتى يفصل في قضية طال النقاش حولها ، فهو متّبع في ذلك نقد النبي محمد (ص) وصحابته الكرام كعلي بن أبي طالب وأبي بكر . متبعا في ذلك كلام الله وسنة نبيه ، غير متّبع لهوى . فالشعر المتبِع لأخلاق الإسلام هو مباح ومشجَّع عليه ، أما غيره فهو غير مباح وضروري تركه والابتعاد عنه لأنه مضلٌّ يبعد عما أمر به الله ، ويزيد من فساد الخاصة والعامة .

12- يوضح الجاحظ فكرة بلاغية غاية في الأهمية هي قضية اللفظ والمعنى . فهذان العنصران إذا تم اختيارهما بصدق من قبل صاحبهما ، وكان ينوي بهما خيرا ، أيده الله بالفلاح . فنيّة القول الحسن الخاضعة لشرط الأخلاق النبيلة ، والنوايا الحسنة يكون لها التوفيق بإذنه تعالى . فالترفع عن

سَفِيه القول وساقطه ، والابتعاد عن غريبه وبعيده ، والسعي إلى جديده يجعل الكلام يلقى القبول من طرف مَن يوجّه له .

13-يتعرض قدامة في نصه هذا إلى قضية عمود الشعر ، فهو يحدده في اللفظ والمعنى والوزن والقافية والغريب (المُبدَع) وحسن التقسيم . فيشترط في اللفظ شروط فصاحته ، سواء تعلق الأمر بالمخارج أو الاستعمال أو غيرهما ، ويشترط في الوزن القرب من النفس ، والخلو من الصعب حتى يلقى قبول الآذان والأنفس . كما أن للقافية حضور في الشعر العربي المنتخب ؛ حيث أن أبلغ ما في الأمر أن تكون معروفة منذ الوهلة الأولى لقراءة البيت ، وهي دليل اقتدار الشعراء . ومن عمود الشعر أيضا أن يختار الناظم معانيه وأن تكون بقدر الحاجة لا ضعفا ينتابها ، ولا زيادة تُفسدها ، فلكل مقام مقاله الذي يناسبه إن طولا أو قِصرا .

14-يرى حازم أن الشعر لا بد فيه من الصدق ، لكن لا ينقصه التخييل أو ما يعرف بالجمال الفني من تشبيه واستعارة وغيرهما .

15-يتناول النص قضية الفحولة أو تقدم شاعر على آخر ، أو المفاضلة بين الشعراء . فكان لكل من النقاد معاييره التي يقيس إثرها جودة الشعر ، ومقدرة الشعراء . فبين علماء البصرة ، وعلماء الكوفة ، وسكان البادية ، وسكان الحواضر بَوْن شاسع أو تقارب إلى حد ما في ما ينظرون إليه من شعر ، وما يرونه من جودة وتقدم . وبه فإن قضية المفاضلة بين الشعراء أو الفحولة لا تعود إلى منطلقات علمية قارة ، أو ملاحظات ذوقية عامة ، بل مزيج بين هذا وذاك . فكلما انتمى أحد النقاد إلى بيئة ثقافية معينة إلا وسار على منوال متلقيها سواء تعلق الأمر بجودة الشعر أو كثرته ، أو تميزه .

16-يتناول النص قضية الشروح ، وقد اعتمد الطبيخي في شرحه لديوان صريع الغواني على منهج خاص هو : التفسير اللغوي للألفاظ الصعبة أو التي تحتمل التأويل ، وكذا إعطاء المعنى القريب والبعيد الذي يقصده الشاعر حسب الموقع الذي يحتلّه اللفظ ، إضافة إلى ذكره لأبعاد ما يبتغيه الشاعر ، مستفيضا في ذلك حتى وإن لم توجد في الأبيات من خلال أمثلة متعارف عليها لدى العرب ، لأنه مقتدر وأدرى بعوالم الشعر والشعراء معا .

17-بعبّر حازم في هذا النص عن فكرة النظم ؛ حيث يذكر شروطا عديدة لاستقامة المعنى ، ووصوله إلى المبتغى والمرتجى وهو الإفهام ، منها : اختيار الألفاظ التي تؤدي المعنى الصحيح ، وتركيبها مع أخواتها تركيبا صحيحا ، ويقصد توفر شروط الفصاحة من تآلف الأصوات والمخارج ، والابتعاد عن تعدد المعنى كغموضه وحوشيته ، وغيرهما . كما يجب التأكيد على مواتاة الكلام لموضوع المتكلم ، إضافة إلى اختيار اللفظ والمعنى الذي تألفه النفس لا تمجه ، دون أن يُهمل المتكلم تلاحم كلامه مع بعضه البعض في تسلسل منطقي مقبول لا متنافر ، وضبط المقام الذي يحسن الكلام فيه ، وأهم من ذلك النظر إلى من يستقبل الكلام ، وأحواله التي تسمح بتقبله ، وإلا سكت المتكلم وأرجى كلامه إلى غير وقت ومقام .

18-يحدّث حازم القرطاجني متلقيه عن فكرة الغموض في الكلام ، إذ أن اللفظ الذي يؤدي معاني كثيرة قد توهم المتلقي بمعنى غير الذي قصده المتكلم ، فيذهب الهدف من الخطاب . لذا وجب أن يوضح صاحبها معناها بقرائن أي بألفاظ أخرى تُخرجها إلى المعنى المقصود ، وبيت شعر الحارث خير دليل على ذلك ، إذ اختلف الناس في فهم مقصده لتعدد معاني ألفاظه ، وبذلك ذهب الغرض المقصود من وراء البيت . وكذلك الخطأ في النحو أي قواعد العربية فتأخذ العبارات والجمل دلائل أخرى غير التي أريد بها فيكون الغموض والإبهام بدل البيان . كبيت الأصمعي . كما أن اختيار اللفظ وصحة القاعدة لا يعد سببا أوحد في ذهاب المعاني ، بل أيضا لاختيار مواضع الألفاظ دور في ذلك ، فإن اضطر الشاعر اضطرارا عروضيا ، لا يعطيه ذلك سببا للإخلال بمواضع الكلم ، فلكل وحدة لغوية مكانها الذي يليق بها ، وإن غُير لا بد أن يختار له موضع التغيير وإلا ذهب المقصود وراء الإجادة . فإن كان الغرض مباغتة المتلقي ، فالغرض الأول والأخير هو الإفهام والإمتاع في غير إغلاق . وشعر الفرزدق خير مثال على استغلاق المعنى لولا معرفة المقربين منه من يقصد من الممدوحين .

19-لمّا كثر انتحال الشعر بنِسبته إلى غير أهله ، و تَقَوُّل غير ما قيل ، وتخطئة المتأخرين في البدايات الأولى له ، جاء ابن سلام الجمحي بمنطق وعلم صحّح به ما قد ورد خاطئا ، فتكلم عن بداياته الأولى ، وشكله ، وتطوره ، ومَن كان له الشعر ، وكيف كانت مكانته بين الناس عامة وأصحابه من الشعراء خاصة ، وأين اشتُهر ، وكيف انتقل . ضاربا لكل ذلك أمثلة صحيحة تستند إلى أدلة منطقية دقيقة المصادر . وتحدّث عن أغراض الشعر وصفات الشعراء وشعرهم في كل من العصرين الجاهلي والإسلامي . وبه كان كتابه (طبقات فحول الشعراء) خير دليل للقارئ على صِحّة الشعر ، ومكانة الشعراء ، كلٌ حسب ما لديه من مَلَكة شعرية ومكانة أدبية في عصره وبين ذويه ، وما تميز به بشهادة شهود النقد والأدب . كما أن تكلُّمه عن فحولة امرئ القيس كان لها أدلتها من صحيح الرواة ، لأن شعره قد شاع ، ومكانته قد عَلَت بين الناس والشعراء لإبداعه فيما لم يأتوا به من قبله ، فكان سبَّاقا إليه ، وذِكر ابن سلام لمناحي إبداعه فيه استدلال على ما ذهب إليه . وهو منهج الناقد العالم الذي لا يقول قولا نابعا من هواه أو ذوقه الخاص . ولم يكتف ابن سلام بذلك بل تكلم عن شهرة كل شاعر في غرض ما وسِمة ما من سمات الشعر ، إضافة إلى حديثه عن معْتَمَدات الشاعر والناثر ، فلكل منهم آلياته التي وجب الالتزام بها ليُحرز التقدم والتفوق والجودة . وبه كان التنظير من قِبَل ابن سلام وغيره كثير من النقاد لكل من الشعر والنثر .

20-يعرض ابن سلام إلى قضية الإبداع ، التي هي من أساسيات الشاعر الفحل . فامرؤ القيس لم يُغرِب ولم يوحِش ، ولم يأتِ بما هو غير وارد لدى العرب ، بل أتى بكل ما استساغته نفسه ، واختاره فكره ، وأولعت به جوارحه ، ورغبت فيه قبيلته ، وسهُل مأتاه . إنه سهل قريب صحيح ملبي للطلب . فلَقي الترحيب واتُّبع .

21-ولحازم أيضا رأي في قضية الإيجاز والإطناب ، فلكل منهما فوائده ، إذ لو تعلق الأمر بالتطويل كان أجود ، ولو تعلق بالتقصير كان أَفْيد . وإن وُضع الواحد منهما في غير موضعه ولا مقامه كان فساد الكلام . كما أن للإيجاز شروط يجب اتباعها ، كعدم حذف ماهو مهم يريد به

دليل أو نتيجة يُخلَص إليها . وأيضا للإطناب شروط ، فلا يطنب المتكلم حتى يكون كلامه بغير فائدة ، يُشعِر المتلقي بالملل وعدم الجدوى . لذا فالمطلوب من المتكلم إن أراد الإفادة أن يسلك في كل مسلك حقه لا إملال في الإطالة ، ولا احتياج عند الحذف . وخير الأمور ما جمع بينهما .

22 و 23-يشجع حازم قضية التنويع بين الشعر والنثر ، فيقول إن الالتزام بقواعد الشعر كلها ممل ، والالتزام بقواعد النثر كلها ممل أيضا ، فلا بأس أن يُراوح المؤلف بين هذا وذاك ، حتى يُذهب الملل ، ويجدد نشاط المستمع ، وتحصل الفائدة من وراء كلامه . لأن النفوس تبتغي التنويع والتجديد والترويح . وفيه تشجيع على تجويد الكلام أيا كان نوعه شعرا أو نثرا . لكن يشترط الرجل في عدم الإكثار من هذا بداخل ذاك حتى تفسد الصنعة . لأن من سمات الشعر الوزن والخيال ، وإذا دخلا في النثر كان أجود ، ومن سمات النثر المنطق والاستدلال وإن ناب الشعر شيء منه كان أفضل ، لكن الإكثار منه في غير موضعه يجعل الكلام فاسدا . لذا وجب الالتزام لغرض الفائدة دون الإخلال.

24-تناول الآمدي في كتابه الموازنة منهجا خاصا به ، حيث جعل من البحتري وأبي تمام انموذجين لمعالجة قضايا نقدية غاية في الأهمية آنذاك ، كالأغراض الشعرية ، والمعاني المُبْدَعة ، والرصانة ، والأصالة ، والتجديد ، كما لم يكتف الرجل بما تميز به كل من الشاعرين مفاضلا بينهما وحسب ، بل يذكر نماذج أخرى من الشعراء المتقدمين منهم والمتأخرين ، لاتساع معرفة الرجل بميدان الشعر والأدب عامة ، وإعطاء بحثه قيمة تفيد المتلقي أيا كان اهتمامه ومستواه الفكري . وبه كان كتاب الموازنة مرجعا هاما لكل مستنفع في مجال النقد والأدب على وجه العموم .

25-يرسم حازم القرطاجني مخططا للقارئ عن كيفية تشكّل اللغة عامة ، فهي عبارة عن أشياء موجودة في الواقع ، لها ما يقابلها من المعاني في الأذهان ، وهذه المعاني التي في الأذهان تعادلها ألفاظ صوتية تعبر عنها لتُخرجها إلى المتلقي ، وهذه الألفاظ الصوتية لها ما يدل عليها من صور مكتوبة . وبذلك فاللغة لها عدة سمات : موجودة بالفعل ، ومفهومة في الذهن ، ومنطوقة بالأفواه ،

ومكتوبة على الورق أو غيره من الوسائل . وبأي منها شاء المتكلم أو المتلقي التواصل كان له ذلك ، فهي دائرية في علاقاتها . فالمتكلم يعبر عن الواقع وما في ذهنه بالنطق أو الكتابة ، كما للمتلقي أن يرُدَّ سواء كلاما أو كتابة . المهم في الأمر التواصل من طريق اللغة .

26-يعالج هذا النص قضية التجديد في الشعر ؛ إذ يعد البعض أن شعراء العصر العباسي قد انقطعوا كلية عن الشعر القديم ، وأنهم أبدعوا كل جديد ، وذلك راجع إلى دخول الأعاجم إلى بلاد العرب ودخولهم تحت لواء الدولة الإسلامية . فهذا النص يثبت أن ذلك غير صحيح ، بل جملة الأمر أن الشعراء المحدثين قد تتلمذوا على الشعراء الأوائل ، وأضافوا من عندياتهم حتى أبدعوا شعرا جديدا فيه من القديم والجديد ما يحلو لكل سامع ، وما يطيب لكل مستعذب للأدب . وشعر بشار بن برد خير دليل على ذلك ، فهو إن غيّر المعنى واللفظ فقد حافظ على الوزن والصيغة النحوية وكذا طريقة صياغة المعنى المشبه . وبه فهو مبدع في غير سرقة ولا انسلاخ من ضوابط الشعر العربي .

27-تناول ابن طباطبا قضية السرقة في الشعر ، وقد ذكر انموذج أبي نواس ، مبينا أن السرقة مباحة إن هي جاءت على أصولها ؛ حيث يضيف التالي على معنى الأول ما يزيده رونقا وبهاء ، ويزيده توضيحا وإبانة ، فحين وصف أبو نواس كؤوس الخمر الفارسية المزدانة بصور كسرى وفرسانه ، وكيفية ترائي الخمر عبر زجاجها مختلطا بالماء يزيد من شهوة الشاربين . أخذ أبو الحسين الموضوع نفسه وأضاف إليه شرحا واتساعا في المعنى ؛ حيث وصف شعور شاربها ، وما تبدو عليه الصور التي حليت بها كؤوسها كأنها حقيقية بها حياة ، وكيف امتزجت الصور والشاربين واعتدل مزاجهم حتى كأنهم أضحوا في عالم آخر غير الذي هُم فيه ، عالم أشبه بالخيال . وفيه إضافة حسنة تُحسب لأبي الحسين ، وهذه لا تعد سرقة بالنسبة إلى ابن طباطبا ، ببل هي إبداع .

28-وجب -حسب قدامة بن جعفر- توفر عدة وسائل ليبلغ الشاعر مرتبة الشعراء ، ويبلغ مرماه الفني ، وهذه الوسائل هي : علم العروض ، والنحو ، والتاريخ من أنساب وأخبار ، وكثرة رواية الشعر بمختلف مذاهبه . وإلا أتعب نفسه ولم يبلغ مُناه ، وتعرض للذم وخاب أمله .

29-فكرة البلاغة عند ابن حزم تختلف من قوم إلى قوم ، فماهو بليغ لدى قوم ليس ببليغ لدى الآخرين والعكس صحيح ، وعليه فالبلاغة يحددها الناس مجتمعون وفقا لعاداتهم وتقاليدهم وأذواقهم ومستوياتهم العلمية والفنية وغيرها من المقاييس ، كما أنها تنقسم إلى مراتب : كبلاغة المختصين في ميدان علوم اللغة ، وبلاغة المختصين في الفقه والفلسفة ، وبلاغة الأدباء ، وبلاغة عامة الناس ، وقد كان ولا زال القرآن الكريم لا ينتسب إلى تلك المراتب وله مرتبته الخاصة التي لا يقاس ولا يقارن –بحسبها- مع بقية المستويات البلاغية ، لأنه من إنتاج الخالق لكل شيء ، المانح لكل البلاغات.

30-إن خبرة ابن سناء الملك في ميدان الشعر وخاصة الموشحات ،جعله يعطي للراغب في عمل الموشح نصائح لا يخرج عنها ، فهو يشترط التدرب عليها والتبحر فيها لغرض إتقانها وإلا كانت عيوبه كثيرة ، ونفّر منه الخاص والعام ، وشوّه الصناعة . فإضافة إلى كون العامل على هذا الفن يتقن قواعده ، فلا بد له من سمع دقيق وذوق رفيع حتى لا يؤذي السمع الذي هو أول المتلقين له ، ويؤذي النفس التي هي المقصد وراء الإمتاع والإطراب . فرهافة الحِس مطلوبة ، ودقة الاختيار مرغوبة ، وبراعة التركيب إجبارية ، وعليه فمن لم يؤت جودة التدريب ، وكثرة الممارسة ، وحب الفن سقط إنتاجه الشعري ، وبان عيبه ، وطرد من مائدة الفنانين ، خاصة إن تعلق الأمر بعرض بضاعته على أهل الغناء وأصحاب الآلات الموسيقية ، فهم أبدا لا يخطئون الحس ، ولا يقبلون السّقط مما يُعرض عليهم .

الخـــــاتمة

جاء النقد العربي موازيا في الزمان والمكان للأدب العربي . فمنذ عصر ما قبل الإسلام (العصر الجاهلي) والعربي يبدع وأخوه يوجه له ملاحظات حتى استقام ووصل إلى أوج تطوره سواء تعلق الأمر بالألفاظ أو التراكيب أو المعاني أو الوزن أو العرف.

وقد جاء هذا البحث المتواضع مجملا لمواضيع شتى للنقد العربي القديم ، فكان لنا أن تحدثنا عن مفهومه وتطوره عبر الأزمنة من (الجاهلية ، وصدر الإسلام ، وعصر بني أمية ، والعصر العباسي)، وعبر الأمكنة من أرض المشرق والمغرب وبلاد الأندلس.

فكان في بداياته الأولى بسيطا عميقا غير معلل . ليغدو مع الرسول (ص) أخلاقيا سائرا على ما أمر به الله تعالى . لينمو مع الصحابة وخاصة عمر بن الخطاب ، متخذا التعليل سمة له . ليصير بعدها في أواخر عصر بني أمية مبنيا على المنطق ، بعيدا عن العصبية القبلية ، ليبلغ أوج علميته في عصر بني العباس.

ومن أبرز النقاد العرب : (النابغة الذبياني ، وأم جندب ، وربيعة بن حذار الأسدي ، ورسول الله (ص) ، وعمر بن الخطاب ، والجاحظ ، وعبد القاهر الجرجاني ، والقاضي الجرجاني ، وابن قتيبة ، وابن طباطبا ، وابن الأثير ، والآمدي ، وعبد الكريم النهشلي ، وابن رشيق ، وابن شرف، وحازم القرطاجني ، وابن حزم ، وابن شهيد ...إلخ) ؛ حيث تناول هؤلاء قضايا شتى مثل : (الصدق ، والسرقة ، واللفظ والمعنى ، وعمود الشعر ، والفحولة ، والموازنات ، والغموض ، والنظم ، والشعر والنثر ، والانتحال ، والتأويل ، والشروح ، والموشح ، والإعجاز وغيرها كثير.

وقد تميز النقد العربي بالتنوع والثراء ؛ حيث كان النقاد اللغويون ، والأدباء ، والفلاسفة ، فأنتجوا ثروة نقدية أخذت الأدب العربي من البداوة إلى الحضارة ، ومن التعقيد إلى الوضوح ، ومن البساطة إلى العمق ، ومن التقيد بعمود الشعر إلى التنويع فيه وفي خصائصه حتى ساير مختلف الثقافات فأخذ منها جميعا وتطور محتويا لها كلها . فانتقل بمعية أدبه نحو مختلف الأمصار الإسلامية ، محددا للمفاهيم ، محافظا على الطبوع ، ناقلا له نحو درجات عليا من التهذيب والإبلاغ . فكان

مدرسة للوافدين إليه من عرب وعجم.

أُلفت في النقد العربي القديم الكثير من الكتب منها : (البيان والتبيين للجاحظ ، والبديع لابن قتيبة ، وعيار الشعر لابن طباطبا ، والمثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لابن الأثير ، والموازنة للآمدي ، ودلائل الإعجاز لعبد القاهرة الجرجاني ، والعمدة لابن رشيق ، وأعلام الكلام لابن شرف ، ومنهاج البلغاء وسراج الأدباء لحازم القرطاجني ، ورسائل ابن حزم ، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي ...إلخ).

وبهذا كان هذا البحث مجملا لمختلف القضايا النقدية للفترة الممتدة من العصر الجاهلي إلى عصر بني العباس . وإن كان هدفنا التوفيق ، فإننا قد بذلنا قصارى جهدنا لنبلغ ذلك والله ولي التوفيق والحمد لله ربي العالمين.

قائمة المصادر والمراجع

I-المراجع التراثية :

أ-الكتب:

1-أبو إسحاق إبراهيم بن علي الحصري القيروان ، زهر الآداب وثمر الألباب ، عارضه بمخطوطات القاهرة ، وحققه وضبطه وشرحه ووضع فهارسه : محمد علي البجاوي ، ط2 ، دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي وشركاه (دت) .

2-أبو بكر محمد بن يحي الصولي ، أخبار أبي تمام ، نشره وحققه وعلق عليه : خليل محمود عساكر ، محمد عبده عزام ، نظير الإسلام الهندي ، (دط) ، (دت) .

3-أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني ، إعجاز القرآن ، (دط) . دار المعارف ، مصر (دت).

4-أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري ، كتاب الصناعتين الكتابة والشعر ، تحقيق علي محمد البجاوي ، ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، ط1 ، 1952 .

5-أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري ، كتاب الصناعتين الكتابة والشعر ، حققه وضبط نصه ، مفيد قميحة ، ط1 ، دار الكتب العلمية بيوت ، لبنان ، 1981 .

6-أبو الوليد بن رشد ، تلخيص كتاب أرسطوطاليس في الشعر ، ومعه جوامع الشعر للفارابي ، تحقيق وتعليق : محمد سليم سالم ، (دط) ، القاهرة ، 1981 .

7-أبو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي ، جمهرة أشعار العرب ، قام بتحقيقه شرحا وتقديما وتبويبا : خليل شرف الدين ، دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، 1999.

8- ابن حزم ، رسائل ابن حزم ، تح : إحسان عباس ، ط1 ،المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، 1983 .

9-ابن حزم ، رسائل ابن حزم الأندلسي ، تحقيق : إحسان عباس ، ط2 ، المؤسسة العربية لدراسات والنشر ، بيروت ، 1987.

10-أبو الحسن حازم القرطاجني ، منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، تقديم وتحقيق : محمد الحبيب بن الخوجة ، ط3 ، دار العرب الإسلامي ، 1986 .

11-أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني ، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، تحقيق : إحسان عباس ، (دط) ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، 1997 .

12-أبو يعقوب ابن أبي بكر محمد بن علي السكاكي ، مفتاح العلوم ، ضبط وكتب هوامشه وعلق عليه : نعيم زرزور ، ط2 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1987 .

13- عبد الكريم النهشلي القيرواني ، الممتع في صنعة الشعر ، تحقيق : محمد زغلول سلام ، منشأة المعارف ،الاسكندرية ، جلال حزى وشركاه ، (دط) ، (دت) .

14-عبد الله الحسن بن أحمد الزوزني ، شرح المعلقات السبع ، تحقيق محمد الفاضلي ، (دط) ،المكتبة العصرية صيدا بيروت ،2004.

15-عبد الله محمد بن المكرّم بن أبي الحسن بن أحمد الأنصاري ، لسان العرب ، تحقيق : عبد الله علي الكبير ، محمد أحمد حسب الله ، هاشم محمد الشاذلي ، سيد رمضان أحمد ، (دط) .

16-أبو عبد الله محمد بن عمران بن موسى المرزباني ، الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء ،تحقيق وتقديم : محمد حسين شمس الدين ، ط1، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 1995.

17-محمد أحمد بن طباطبا العلوي ، عيار الشعر ، شرح وتحقيق : عباس عبد الساتر ، مراجعة : نعيم زرزور ، منشورات محمد علي بيضون ، ط2 ، دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان ، 2005.

18-أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ، أدب الكاتب ، اعتنى به وراجعه : درويش جويدي ، ط1 ، المكتبة العصرية صيدا بيروت ، 2002.

19-لسان الدين أبو عبد الله محمد بن الخطيب ، الإحاطة في أخبار غرناطة ، تقديم ومراجعة وتعليق : بوزياني الدراجي ، دار الأمل للدراسات والنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2009 .

20-ابن سلام الجمحي ، طبقات الشعراء ، (دط) ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 2001 .

21-أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي ، ديوان الحماسة لأبي تمام ، علق عليه وكتب هوامشه : عز بن الشيخ ، وضع فهارسه العامة : إبراهيم شمس الدين ، ط1 ، منشورات محمد علي بيضون ، دارالكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 2003 .

22- علي بن عبد العزيز الجرجاني ، الوساطة بين المتنبي وخصومه ،تحقيق وشرح : محمد أبو الفضل إبراهيم ، وعلي محمد البجاوي ، طبع مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ، (دط) ، (دت).

23-أبو الفرج قدامة بن جعفر ، نقد النثر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، (دط) ، 1980 .

24-أبو الفتح عثمان بن جني النحوي ، الفَسْر ، شرح ابن جني الكبير على ديوان المتنبي ، حققه وقدم له : رضا رجب ، دار الينابيع ، دمشق ، ط1 ، 2004 .

25-عبد القاهر الجرجاني ، أسرار البلاغة ، تحقيق : محمد الفاضلي ، ط2 ، المكتبة العصرية، صيدا ، بيروت ، 1999 .

26-عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز في علم المعاني ، اختار النصوص وقدم لها : محمد عزام ، (دط) ، منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ، دمشق ، 1988 .

27-أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي ، الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري ، تحقيق : السيد أحمد صقر ، ط4 ، دار المعارف ، (دت) .

28- القاضي السعيد أبي القاسم هبة الله بن جعفر ابن سناء الملك ، دار الطراز في عمل الموشحات ، عني بتحقيقه ونشره : جودة الركابي ، دط ، دت .

29-القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني ، الوساطة بين المتنبي وخصومه ، تحقيق وشرح : محمد أبو الفضل إبراهيم ، علي محمد البجاوي ، (دط) ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ، (دت).

30-ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ، تحقيق : أحمد محمد شاكر ، (دط) ، دار المعارف ، القاهرة ، (دت) .

31-أبو الفرج قدامة بن جعفر ، نقد الشعر ، ط1 ، مطبعة الجوائب ، الأستانة ، قسطنطينية ، 1302 .

32-الرماني ، والخطابي ، وعبد القاهر الجرجاني ، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن في الدراسات القرآنية والنقد الأدبي ، حققها وعلق عليها : محمد خلف الله أحمد ، ومحمد زغلول سلام ، ط3 ، دار المعارف بمصر ، (دت).

33-ابن رشيق ،العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، حققه وفصّله وعلق فهارسه : محمد محي الدين عبد الحميد ، ط5 ، دار الجليل للنشر والتوزيع والطباعة ، بيروت ، لبنان ، 1981.

34-ابن رشيق ، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده pdf ، .

35-ابن شرف ، أعلام الكلام ، مكتبة الخانجي ، ط1 ، مصر ، 1926 .

36- ابن شرف القيرواني ، مسائل الانتقاد. pdf ،

37-الخالِديّيْن (أبو بكر محمد ، وأبو عثمان سعيد ابني هاشم) ،كتاب الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والجاهلية والمخضرمين ، حققه وعلق عليه : السيد محمد يوسف ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، (دط) ، القاهرة ، 1965.

38-ضياء الدين بن الأثير ،كفاية الطالب في نقد كلام الشاعر والكاتب ، تح : نوال حمودة القيس ، حاتم صلع الضامن ، هلال ناجي . (دط) ، (دت) .

39-ضياء الدين بن الأثير ،المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، قدمه وحققه وعلق عليه : أحمد الحوفي ، وبدوي طبانة ، دار نهضة مصر للطبع والنشر الفجالة ، القاهرة .

40-ضياء الدين نصر الله بن محمد بن عبد الكريم الموصلي ، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، نسخة pdf .

41-خمس رسائل : الإيجاز والإعجاز لأبي منصور الثعالبي النيسابوري ، وبرد الأكباد في الاعداد له أيضا ، ومنتخبات البيان والتبيين لأبي المكارم عمرو بن بحر الجاحظ ، وأحاسن المحاسن ، لأبي الحسن بن الحسين الرخجي ، وغاية الأرب في معاني ما يجري على ألسن العامة في محاوراتهم وأمثالهم من كلام العرب لأبي طالب المفضل بن سلمة ، ط1 ، مطبعة الجوائب قسطنطينية ، 1301.

42-مقدمة ابن خلدون ، ضبط وشرح وتقديم : محمد الاسكندراني ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، 2006 .

ب-الدواوين:

43- ديوان البحتري ، عني بتحقيقه وشرحه والتعليق عليه : حسن كامل الصّيرفي ، ط3 ، دار المعارف ، القاهرة ، (دت) .

44-ديوان جرير ، دار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ، 1986 .

45- ديوان حسان بن ثابت ، شرحه وكتب هوامشه وقدم له عبد أ.مهنَّا ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ط2 ، 1994 .

46-كعب بن زهير ، الديوان ، حققه وشرحه وقدم له : علي فاغور ، ط 1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان 1987 . مضافا إليها : ط2 ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 1997 .

47-ديوان المتنبي ، دار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ، دط ، 1983 .

48- ديوان أبي نواس ،برواية الصولي ، تحقيق : بهجت عبد الغفور الحديثي ، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث ، دار الكتب الوطنية ، ط1 ، 2010.

49-شرح ديوان عنترة ، الخطيب التبريزي ، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه : مجيد طراد ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط1 ، 1996 .

50-ديوان الفرزدق ، شرحه وضبطه وقدم له : علي فاغور ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ط1 ، 1987 .

51-شرح ديوان صريع الغواني (مسلم بن الوليد الأنصاري) ، عني بتحقيقه والتعليق عليه : سامي الدهان ، ط3 ، دار المعارف ، القاهرة ، (دت) .

52- ديوان ابن قزمان القرطبي ، إصابة الأغراض في ذكر الأعراض ، تحقيق وتصدير فيديريكو كورينتي ، تقديم :محمود علي مكي ، المجلس الأعلى للثقافة ، المكتبة العربية . دط ، دت .

53-ديوان قيس بن الملوّح (مجنون ليلى) ، رواية أبي بكر الوالبي ، دراسة وتعليق : يسري عبد الغني ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1999 .

54-ديوان ابن الرومي ، شرح : أحمد حسين بسج ، ج1 ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط3 ، 2002.

55-شرح ديوان أبي تمام ، الخطيب التبريزي ، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه : راجي الأسمر ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط2 ، 1994 .

56-ديوان الخنساء ، اعتنى به وشرحه : حمدو طماس ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ط2 ، 2004 .

II-المراجع الحديثة :

1-الكتب :

أ-العربية:

57-أحمد الشايب ، أصول النقد الأدبي ، ط 10 ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، 1994 .

58-أحمد أمين ، ظهر الإسلام ، ط1 ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، 2005 .

59-أحمد زكي صفوت ، جمهرة خطب العرب في العصور العربية الزاهرة ، العصر الجاهلي ، عصر صدر الإسلام ، ط1 ، شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى لباني الحلبي وأولاده ، مصر ، 1923.

60-إحسان عباس ، تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، نقد الشعر من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري ، ط4 ،دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، ، 1983.

61-جابر عصفور ، مفهوم الشعر ، دراسة في التراث النقدي ، ط5 ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1995 .

62-وحيد صبحي كبّابة ، الخصومة بين الطائيين وعمود الشعر العربي ، دراسة ، (دط) ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، 1997 .

63-أبو حاتم السجستاني ، فحولة الشعراءpdf ، .

64-حنا الفاخوري ، تاريخ الأدب العربي ، ط12 ، المكتبة البوليسية ، 1987 .

65-حني عبد الجليل يوسف ، الأدب الجاهلي قضايا وفنون ونصوص ، ط1 ، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ، القاهرة ، 2001 .

66-طه أحمد إبراهيم ، تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 1985 .

67-طه حسين ، حديث الأربعاء ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، القاهرة ، مصر ، دت .

68-عبد الله شريط ، تاريخ الثقافة والأدب في المشرق والمغرب ، ط3 ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1983 .

69-محمد كريم الكواز ، البلاغة والنقد ، المصطلح والنشأة والتجديد ، الانتشار العربي ، ط1 ، 2006 .

70-محمد رضوان الداية ، تاريخ النقد الأدبي في الأندلس ، ط2 ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، 1993.

71-مصطفى عبد الرحمن إبراهيم ، في النقد الأدبي القديم عند العرب ، (دط) ، مكة للطباعة ، 1998 .

72-سعد إسماعيل شلبي ، الأصول الفنية للشعر الجاهلي ، ط2 ، مزيدة ومنقحة ، نشر مكتبة غريب ، (دت).

73-عبد العزيز حمودة ، المرايا المقعرة ، نحو نظرية نقدية عربية ، مطابع الوطن ، الكويت ، (دط) ، 2001.

74-فائق مصطفى ، وعبد الرضا علي ، في النقد الأدبي الحديث منطلقات وتطبيقات ، (ط1) ، دار الكتب للطباعة والنشر ، جامعة الموصل ، 1989 .

75-عبد الرؤوف أبو السعد ، مفهوم الشعر في ضوء نظريات النقد العربي ، ط1 ، دار المعارف ، القاهرة ، (دت) .

76-شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي ، العصر الجاهلي ، ط 11 ، دار المعارف ، القاهرة ،(دت) .

ب-المترجمة :

77-أرسطو ، فن الشعر ، ترجمة وتقديم وتعليق : إبراهيم حمادة ، نشر مكتبة الأنجلو المصرية) ،دت. (

78-أرسطوطاليس ، الخطاب ، الترجمة العربية القديمة ، حققه وعلق عليه : عبد الرحمن بدوي، الناشر ، وكالة المطبوعات ، الكويت ، دار القلم ، بيروت ، لبنان ، 1979.

79-لانسون ومايبه ، النقد المنهجي عند العرب ، منهج البحث في الأدب واللغة ، ترجمة : محمد منذور ، ، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، 1996 .

2-المجلات :

80-مجلة جامعة أم القرى للبحوث العلمية ، عدد 15 ،سنة 1997.

81-مجلة الداعي الشهرية ، دار العلوم ديوبند ، عدد 6 ، السنة 34 ، جمهورية مصر العربية ،2010 .

82-مجلة إنسانيات، في الأنثروبولوجيا والعلوم الاجتماعية ، الجزائر ، 2010 | 50.

83- مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية ، 4-2010 .

84-مجلة إضاءات نقدية ، السنة الثانية ، عدد 7 ، خريف 1391 ش/ أيلول 2012م.

85-حوليات جامعة قالمة للغات والآداب ، ع 12 ، ديسمبر 2015 .

86-مجلة جيل للدراسات الأدبية والفكرية ، مركز جيل للبحث العلمي ، العام الخامس ، ع 45 ، 2018 .

87-السجل العلمي لندوة الدراسات البلاغية : الواقع والمأمول ، 21-22/6/1432 ، وزارة التعليم العالي ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، كلية اللغة العربية ، قسم البلاغة والنقد ومنهج الأدب الإسلامي ، المملكة العربية السعودية .

3-الرسائل:

88-أماني حسن محمد محمد ، المصطلح النقدي الأدبي حتى القرن الخامس الهجري ، إشراف : مشهور حبّازي ، رسالة مقدمة لاستكمال متطلبات الحصول على درجة الماجستير ، كلية الدراسات العليا والبحث العلمي ، جامعة القدس المفتوحة في برنامج اللغة العربية وآدابها ، فلسطين ، كانون الثاني 2019 .

89-بشير كحيل ، المتنبي في النقد القيرواني ، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في النقد ، إشراف : مختار نويوات ، معهد اللغة والأدب العربي ، جامعة عنابة ، (التاريخ غير واضح ، نسخة pdf) .

90-ديْوَل طاهر ، السرقة الشعرية في التراث النقدي ، المصطلح والمفهوم (المنصف لابن وكيع انموذجا) ، مذكرة من متطلبات شهادة الماجستير في اللغة والأدب العربي ، تخصص النقد العربي ومصطلحاته ، إشراف : موساوي أحمد ، جامعة قاصدي مرباح ، ورقلة ، 2011-2012 .

91-وليد عثماني ، مفهوم الفحولة وموضوعاتها في الشعرية العربية القديمة (دراسة تحليلية) ، مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الأدب العربي ، تخصص شعرية عربية ، إشراف : إسماعيل زردومي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة الحاج لخضر باتنة ، 2008-2009 .

92-عبد الله بن محمد العضيبي ، النقد عند الشعراء حتى نهاية القرن الرابع الهجري ، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في الأدب ، إشراف : محمد أبو الأنوار ، قسم الدراسات العليا العربية ، فرع الأدب ، كلية اللغة العربية ، جامعة أم القرى ، المملكة العربية السعودية ، 1991 .

93-محمد مربي الحارثي ، ابن قتيبة ونقد الشعر ، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير ، إشراف : عبد الحكيم حسان عمر ،قسم الدراسات العليا العربية ، فرع الأدب ، كلية الشريعة ، الدراسات الإسلامية ، مكة المكرمة ، جامعة الملك عبد العزيز ، 1976 .

94- الحافظ أبي الفضل جلال الدين عبد الرحمن ابن أبي بكر السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن ، تحقيق : مركز الدراسات القرآنية ، المملكة العربية السعودية ، دط ، دت ، ج5 ، 1893 .

95-محمد علي أبو حمدة ، أبو القاسم الآمدي وكتاب الموازنة بين الطائيين ، رسالة قدمت لنيل درجة أستاذ في الآداب ، دائرة اللغة العربية ، الجامعة الأميركية ،بيروت ، 1968 .

96-محمد التجاني محجوبي ، القضايا النقدية عند فلاسفة الأندلس ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في اللغة العربية وآدابها تخصص أدب أندلسي ، إشراف : كمال عجالي ، جامعة الحاج لخضرر باتنة ، قسم اللغة العربية وآدابها ، 2008-2009 .

97- عمارة زينب ، المنظوم والمنثور في نقد ابن الأثير في ضوء الشعرية الحديثة ، مذكرة لنيل شهادة الماجسيتير ، إشراف : مصطف درواش ، قسم الأدب العربي ، جامعة مولود معمري تيزي وزو ، 2011 .

98-رضية بنت عبد العزيز بن شعيب بن محمد تكروني ،الأسس الجمالية في النقد الأدبي عند الجاحظ ، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها ، تخصص بلاغة ونقد ، إشراف : محمد بن إبراهيم شادي ، جامعة أم القرى ، المملكة العربية السعودية ، 2002 .

4-الانترنيت:

99-دروس في النقد الأدبي ، (دون مؤلف) ، (الأنترنيت) pdf .

100-بوابة السيرة النبوية ، ذكر سنة تسع وتسميتها سنة الوفود ونزول سورة الفتح ، عن الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام (للسهيلي) ، https://www.alsirah.com ، 2019 .

101-مفهوم الشعر عند قدامة من خلال كتابه نقد الشعر - شبكة الألوكة الأنترنيت : .Error! Hyperlink reference not valid

102-: https://www.marefa.org/ .

103-نصر حامد أبو زيد ، إشكالية تأويل القرآن قديما وحديثا1، maaber@ses-net.org

104-فالح الربيعي ، أثر المعتزلة على الأدب العربي ، رسالة التقريب ، العدد 19-20 ، 1419 ، إيران والعرب ، (المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية) ، الأنترنيت .

105-قوالب الغناء العربي – فن الموشح ، https://arabianmusic.wordpress.com/2009/07/19

فهرس الموضوعات

-السداسي الأول-

1-النقد العربي مفهومه وتطوره وجغرافيته في المشرق والمغرب 3
2-بيبليوغرافيا المصنفات النقدية في المشرق والمغرب 23
3-النقد الانطباعي مفهومه ومجالاته ونماذج من نصوصه 26
4-مفهوم الشعر عند النقاد المشارقة والمغاربة 28
5-قضية الانتحال وتأصيل الشعر (نماذج نصية من المشرق والمغرب والأندلس) 32
6-قضية الفحولة عند النقاد (نماذج نصية من المشرق والمغرب والأندلس) 35
7-قضية عمود الشعر (نماذج نصية من المشرق والمغرب والأندلس) 42
8-قضية اللفظ والمعنى عند (ابن قتيبة وابن طباطبا و قدامه بن جعفر...إلخ) 46
9-قضية اللفظ والمعنى عند (ابن رشيق ، ابن شرف ، حازم القرطاجني ...إلخ) 49
10- قضية الصدق (نماذج نصية من المشرق والمغرب والأندلس) 54
11- الموازنات النقدية (نماذج نصية من المشرق والمغرب والأندلس) 59
12- نظرية النظم (نماذج نصية من المشرق والمغرب والأندلس) 67
13-النقد البلاغي (نماذج نصية من المشرق والمغرب والأندلس) 75
14-تراجم أعلام النقد في المشرق 79

-السداسي الثاني-

15-قضية الوضوح والغموض (نماذج نصية من المشرق والمغرب والأندلس) 87
16-السرقات الأدبية (نماذج نصية من المشرق والمغرب والأندلس) 91
17-المؤثرات الأجنبية في النقد العربي (نماذج نصية من المشرق والمغرب والأندلس) 101
18-أثر المعتزلة في النقد الأدبي (نماذج نصية من المشرق والمغرب والأندلس) 106
19-قضايا النقد عند الفلاسفة (نماذج نصية من المشرق والمغرب والأندلس) 115
20-مفهوم النثر في التراث النقدي (نماذج نصية من المشرق والمغرب والأندلس) 128

21-النقد وقضية الإعجاز (نماذج نصية من المشرق والمغرب والأندلس) 132
22-قضية التأويل بين القديم والجديد 137
23-قضية المنظوم والمنثور (نماذج نصية من المشرق والمغرب والأندلس) 141
24-البعد النقدي للشروح (نماذج نصية من المشرق والمغرب والأندلس) 152
25-نظرية الموشح في ميزان النقد (نماذج نصية من المشرق والمغرب والأندلس) 165
26-قضايا النقد عند (حازم . وابن حزم. وابن رشد . وابن خلدون) 171
27-ملحق (تطبيقات) 176
28-الإجابة الانموذجية 196
خاتمة 205
قائمة المصادر والمراجع 211
فهرس الموضوعات 217

4. المعلقات العشر. التبريزي.
5. تاريخ الأدب. مصطفى صادق الرافعي.

عنوان الليسانس: **اللسانيات العامة**
السداسي: **الأول**
الأستاذ المسؤول عن الوحدة التعليمية الأساسية :
الأستاذ المسؤول على المادة :
المادة : **النقد الأدبي القديم**
أهداف التعليم :
المعارف المسبقة المطلوبة :
محتوى المادة :

السداسي الأول: وحدة التعليم الأساسية | مادة: مادة: النقد الأدبي القديم (1) | المعامل:02 | الرصيد:04

1 النقد العربي مفهومه وتطوره وجغرافيته في المشرق والمغرب
2 بيبليوغرافيا المصنفات النقدية في المشرق والمغرب
3 النقد الانطباعي مفهومه ومجالاته ونماذج من نصوصه
4 مفهوم الشعر عند النقاد المشارقة والمغاربة
5 قضية الانتحال وتأصيل الشعر (نماذج نصية من المشرق والأندلس والمغرب)
6 قضية الفحولة عند النقاد (نماذج نصية من المشرق والأندلس والمغرب)
7 قضية عمود الشعر (نماذج نصية من المشرق والأندلس والمغرب)
8 قضية اللفظ والمعنى عند ابن قتيبة وابن طباطبا و قدامه بن جعفر
9 قضية اللفظ والمعنى عند نقاد الأندلس والمغرب العربي
10 قضية الصدق (نماذج نصية من المشرق والأندلس والمغرب)
11 الموازنات النقدية (نماذج نصية من المشرق والأندلس والمغرب)
12 نظرية النظم (نماذج نصية من المشرق والأندلس والمغرب)
13 النقد البلاغي (نماذج نصية من المشرق والأندلس والمغرب)
14 تراجم أعلام النقد في المشرق. الجرجاني...

طريقة التقييم :
يجري تقييم المحاضرات عن طريق امتحان في نهاية السداسي، بينما يكون تقييم الأعمال الموجهة متواصلا طوال السداسي

المراجع : (*كتب،ومطبوعات ، مواقع انترنت*، إلخ)

1. في الأدب العربي. شوقي ضيف.
2. الخصومة بين القدماء والمحدثين فى النقد العربى القديم - عثمان موافى
3. قضايا النقد القديم - محمد صايل وعبد المعطى نمر
4. قضايا النقد الأدبى - بدوى طبانة

ب. كتاب الصناعتين. أبو هلال العسكري.
ج. العقد الفريد. ابن عبد ربه.

السداسي: الثاني جذع مشترك
ميدان الليسانس: الأدب العربي
استاذ المسؤول عن الوحدة التعليمية الأساسية :
استاذ المسؤول على المادة :
المادة : ا النقد الأدبي القديم
أهداف التعليم :
المعارف المسبقة المطلوبة :
محتوى المادة :

السداسي الثاني: وحدة التعليم الأساسية | مادة: النقد الأدبي القديم (2) | المعامل:02 | الرصيد:04

1 قضية الوضوح والغموض (نماذج نصية من المشرق والأندلس والمغرب)
2 السرقات الأدبية (نماذج نصية من المشرق والأندلس والمغرب)
3 المؤثرات الأجنبية في النقد العربي (نماذج نصية من المشرق والأندلس والمغرب)
4 أثر المعتزلة في النقد الأدبي (نماذج نصية من المشرق والأندلس والمغرب)
5 قضايا النقد عند الفلاسفة (نماذج نصية من المشرق والأندلس والمغرب)
6 مفهوم النثر في التراث النقدي (نماذج نصية من المشرق والأندلس والمغرب)
7 النقد وقضية الإعجاز (نماذج نصية من المشرق والأندلس والمغرب)
8 قضية التأويل بين القديم والجديد
9 قضية المنظوم والمنثور (نماذج نصية من المشرق والأندلس والمغرب)
10 قضية اللفظ والمعنى
11 البعد النقدي للشروح (نماذج نصية من المشرق والأندلس والمغرب)
12 نظرية الموشح في ميزان النقد (نماذج نصية من المشرق والأندلس والمغرب)
13 قضايا النقد عند حازم القرطاجني . ابن حزم.ابن رشد . وابن خلدون
14 تراجم أعلام النقد في الأندلس والمغرب . ابن شهيد وابن حزم، حازم القرطاجني

طريقة التقييم :
يتم تقييم المحاضرات عن طريق امتحان في نهاية السداسي، بينما يكون تقييم الأعمال الموجهة أعمالا طوال السداسي

المراجع : (*كتب،ومطبوعات ، مواقع انترنت، إلخ*)
1. طبقات فحول الشعراء. ابن سلام الجمحي.
2. الوساطة بين المتنبي وخصومه. عبد العزيز الجرجاني.
3. الموازنة بين الطائيين. الآمدي
4. الخصومة بين القدماء والمحدثين فى النقد العربى القديم - عثمان موافى
5. تاريخ النقد الأدبى والبلاغة- محمد زغلول سلام

الميدان: الليسانس: الأدب العربي المؤسسة : جامعة
السنة الجامعية : 2014 / 2015